



المحتوى

٢	التعليم والتنمية التحرير	الإفئاضة
٤	الإسلام والمسلمون في جنوب السودان د. يونس بول دي مانيال	قراءات إسلامية
١٢	جماعة (بوكو حرام) .. نشأتها ومبادئها وأعمالها في نيجيريا د. أحمد مرتضى	قراءات إسلامية
٢٥	مقدمة الملف	
٢٦	مواقف التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا .. الأسباب وسبل العلاج د. علي يعقوب	
٣٣	النمو التحصيلي في المدارس العربية في نيجيريا- العوائق والحلول د. الأويي لقمان أولاتجو	
٤٢	التعليم الإسلامي بشرق أفريقيا: أوغندا نموذجا د. آدم بمبا	
٥٤	واقع التعليم الإسلامي في شرق إفريقيا (النموذج الكيني) د. عبد المنعم حسن الملك عثمان	
٦٤	المرأة والتعليم الإسلامي العربي في إفريقيا (نيجيريا نموذجا) د. محمد الرابع أول سعاد	
٧٢	مظاهر تأثير التعليم الغربي في التعليم الإسلامي في إفريقيا محمد البشر سمبلا	
٧٨	خريجو التعليم العربي وسوق العمل ومجالاته في غرب إفريقيا د. هارون المهدي	
٨٨	متطلبات تطوير التعليم الإسلامي في غرب أفريقيا د. قاسم بدماصي	
١٠٠	خاتمة الملف: حول التعليم الإسلامي في إفريقيا د. أبوبكر عبد الله شعيب	
١٠٥	إعداد: تحرير المجلة	
١١٩	لقاء مجلة (قراءات إفريقية) مع معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي حوار: رأفت صلاح الدين - أحمد مقدم النهدي	
١٢٧	تقرير حول تدشين مشروع مناهج العلوم الشرعية للمدارس الإفريقية التحرير	



رئيس مجلس الإدارة
خالد بن عبد الله القواز

fawaz@qiraat.org

رئيس التحرير

د. إبراهيم العامر

info@qiraat.org

مدير التحرير

رأفت صلاح الدين

editors@qiraat.org

الهيئة الاستشارية

المشير: عبدالرحمن سوار الذهب (السودان)

د. إبراهيم أبو عباة (السعودية)

أ. إبراهيم كنتاوا (مالي)

د. حقار محمد أحمد (تشاد)

أ. د. حمدي عبد الرحمن حسن (مصر)

د. عبدالرحمن السميط (الكويت)

أ. د. عبدالقصور البوسعيدي (كينيا)

د. محمد أحمد لوح (السنغال)

د. محمد الثاني عمر (نيجيريا)

هيئة التحرير

أ. د. محمد عاشور مهدي عاشور

د. جلال الدين محمد صالح

د. ربيع محمد القمر الحاج

أ. محمد العقيد محمد أحمد

أ. بسام المسلماني

أ. محمد عبدالعزيز الهواري

المراسلات: بريطانيا - لندن:

7 Bridges Place,

Parsons Green Fulham,

London SW6 4HW, UK

هاتف: 0044-207-4718261

فاكس: 0044-207-7364255

المملكة العربية السعودية - الرياض:

هاتف: 0096614944949

فاكس: 0096614942900

جمهورية مصر العربية - القاهرة:

هاتف: 002 02 24731201

فاكس: 002 02 24731202

جمهورية السودان - الخرطوم:

هاتف: 00249183255666

فاكس: 00249183252499

التسويق/ التوزيع: marketing@qiraat.org

أسعار البيع والإشتراك السنوي لمجلة قراءات إفريقية

اشتراكات		سعر البيع	الدول	الجهة
مؤسسات	أفراد			
٢٠ دولار	١٠ دولار	١.٥ دولار	مصر وإفريقيا	
١٠٠ ريال	٦٠ ريال	١٠ ريال	السعودية والخليج	
٣٠ دولار	٢٠ دولار	-	أوروبا وأمريكا	

المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

التعليم والتنمية

للأسر والعائلات، وفي هذه الفترة نزع «فوتا» قيادة الحركة الثقافية من حوض نهر النيجر^(١).

لقد أضحى من نافلة القول: أنه لا يمكن فصل التنمية عن التعليم؛ إذ إن كلاً منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به؛ فالتعليم يوفر الخامات البشرية المدربة، والكوادر المؤهلة لقيادة عجلة التنمية، وإحداث التغيير والتقدم المرغوبين في المجتمعات، أما النمو الاقتصادي والأزدهار والتنمية فيؤسّر الإمكانات المادية الضرورية لتوفير بيئات تعليمية جيدة، ونشر المعرفة العلمية لجميع المواطنين، والسير قدماً في طريق البحث العلمي الخلاق.

لقد أوّلى الاقتصاديون والاجتماعيون وكبار المفكرين أهمية بالغة بالفرد المتعلم بوصفه عنصراً مفعلاً لديناميكية التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فمالك بن نبي - مثلاً - رأى أنه العنصر المؤسس للحضارة، كما قد يكون سبباً في انهيار الحضارة وانحطاطها، حيث قال: «القضية إذن ليست قضية أدوات ولا إمكانات (...)، إن القضية كامنة في أنفسنا، إن علينا أن ندرس أولاً الجهاز الاجتماعي الأول وهو الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن: سكن المجتمع والتاريخ»^(٢)، وقال: «لا يقاس غنى مجتمع بكمية ما يملك من أشياء، بل بمقدار ما فيه من أفكار»^(٣)، والتعليم هو التربة الخصبة لتنمية الأفكار وتقدم الحضارة. وإذا كانت التنمية البشرية حسبما يعرفها المجلس الاقتصادي الاجتماعي للأمم المتحدة هي عملية تنمية مهارات ومعارف وقدرات أفراد الجنس البشري؛ فإن الحضن الطبيعي الملائم لتحقيق هذه الخصائص هو النظام التربوي والتعليمي، فكلمة ارتفعت نوعية التعليم وحققت نجاعة في إكساب أفرادها هذه الخصائص والسمات: ارتفع مستوى التنمية البشرية، ودفع الحركية الاقتصادية والاجتماعية إلى الأمام.

لقد أجريت عدة دراسات ميدانية تبحث في العلاقة بين نوعية

التعليم هو حجر الزاوية في العملية التنموية، لما له من دور عظيم في تحقيق حاجات النهضة الحضارية ومتطلباتها لكل أمة، فهو الممين الذي يمدّ المجتمعات بالخبرات المتخصصة في كل المجالات، والتي تتولى عملية البناء والتطوير.

ومعيار التنمية هو الإنسان، ومدى نموه وتطوره في جانب المعرفة والخبرة، حسب المفهوم الجديد المحدد لعلاقة التنمية اللصيقة بالتعليم، فكلمة كانت عملية التعليم تسير في مسارها الصحيح، وتتوفر لها الإمكانات التي بها تستطيع أن تخرّج علماء على مستوى مناسب من الخبرة والتخصص؛ استطاعت عملية التنمية بذلك أن تؤتي ثمارها.

وإذا طبقنا هذا المعيار على مسألة النهضة الإسلامية في إفريقيا؛ فلا يمكن لها أن تتجج ويتحقق لها البروز الحضاري إلا عبر الاهتمام بمستوى راقٍ من التعليم، يحقق متطلبات المشروع الإسلامي الكبير، فالتعليم يعدّ الممين الدافق الذي يمثل الانطلاقة السليمة للنهوض بالمسلمين في إفريقيا من التخلف والتدهور والانحطاط الحضاري، وتحقيق تنمية شاملة، سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الدول، وبه تتحقق مشاريع النهضة الحضارية المرجوة.

وقد كان للممالك الإسلامية في التاريخ القديم اهتمام بالغ بالتعليم، مثل مملكة مالي ومملكة صنغي ومملكة سوكوتو، والتي كان لها دور كبير في نشر التعليم، وقد بدأت من خلال هذه الممالك وغيرها أولى تجارب التعليم النظامي.

ففي الدولة الإمامية في فوتا تورو، التي كانت تقع في الشمال الشرقي لجمهورية السنغال، بنى الشيخ عبد القادر كُنْ (أحد أئمة هذه الدولة) قرابة أربعين مسجداً جامعاً في البلاد، وأسس في كل مسجد حلقات علمية للصغار والكبار لدراسة القرآن الكريم، والعلوم الشرعية واللغوية، وأسس المدارس القرآنية، والحلقات العلمية في أنحاء البلاد، ولا تكاد قرية أو مدينة في عصره تخلو من مدرسة أو حلقة علمية مهما كانت صغيرة، وفي عهده أسست مدينة جولوون (thiologne) التي أصبحت مدرستها من أشهر المدارس في الدولة المتخصصة في الدراسات الأدبية واللغوية، وأنجبت فعولاً من علماء اللغة والأدب، بل إن ما يزيد على ٦٠٪ من العلماء، وبخاصة من الفلانيين في «فوتا» وغيرها، هم من تلاميذها.

وظهر «في هذا الإقليم علماء أكثر من علماء تمبكتو»، وازدهرت الثقافة الإسلامية في «فوتا» ازدهاراً واسعاً، وأصبح إتقان اللغة العربية والتعمق في علومها والعلوم الشرعية محل فخر ومباهاة

(١) د. علي يعقوب: الدولة الإمامية في فوتا تورو ودورها في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، مجلة قراءات إفريقية، العدد التاسع.

(٢) ابن نبي، مالك: شروط النهضة، دمشق - دار الفكر للطباعة والنشر - ١٩٨٤م، ص ٥٠.

(٣) ابن نبي، مالك: ميلاد مجتمع، دمشق - دار الفكر للطباعة والنشر - ١٩٨٤م، ص ٣٤.

التعليم ومؤشرات التنمية، كان من بينها دراسة اريك هانوشيك و ديس كيمكو Hanushek Eric and Dennis Kimko ٢٠٠٢ التي بحثت الفروق الدولية في نوعية التعليم، من خلال مجموعة من العوامل، وأثرها في تحقيق النمو السريع والمكاسب الاقتصادية التي تعود على الدولة بعد ١٠ إلى ٢٠ سنة، وأثبت الباحثان وجود علاقة ارتباطية قوية بينهما - (اريك هانوشيك ٢٠٠٥)^(١) -.

والدول الإفريقية، وهي تمر الآن بمرحلة محاض عسير للانعتاق من حالة الجهل والتخلف التي تمر بها، تضع نصب عينها الاهتمام بقضية التعليم لسير في طريق التنمية المرجوة، ومع معرفتنا بواقع التعليم في إفريقيا في الماضي ندرك جيداً أن إفريقيا اليوم غير إفريقيا الأمس، فقد خطت خطوات جيدة، وما زالت تحاول أن تغير من واقعها الأليم.

ونشهد الآن حدوث طفرات في مجال التعليم، بشقيه المدني والديني؛ غير مسبوق، واستطاعت بعض الدول في سنوات قليلة أن تطور من بنيتها التعليمية لتكون لبنة في صرح التنمية والنهضة المنشودة في إفريقيا، لأننا نعتقد جازمين أن إفريقيا هي قارة المستقبل، ويسيرها في سبيل التنمية والنهضة تستطيع دولها أن تكون رقماً مهماً في معادلة التقدم البشري.

في تقرير لليونسكو بتاريخ ٢٧ أبريل ٢٠١١م - نُشر في موقع يونسكو برس، جاء فيه: زاد الإنفاق الحقيقي على التعليم في بلدان إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى بأكثر من ٦٪ سنوياً خلال العقد الماضي، لكن على الرغم من هذه الاستثمارات؛ لا يزال عدد كبير من بلدان المنطقة بعيداً جداً عن توفير التعليم الابتدائي الجيد لجميع الأطفال.

ويقدم التقرير الصادر تحت عنوان «تمويل التعليم في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى: التصدي لتحديات التوسع والإنصاف والجودة» مجموعة من أشمل البيانات وأحدثها عن تمويل التعليم في ٤٥ بلداً إفريقياً، وبوجه عام؛ اقترن ارتفاع الاستثمارات بعدد من النتائج المدهشة، فبين عامي ٢٠٠٠م و ٢٠٠٨م ازداد عدد الأطفال الملحقين بالمدارس الابتدائية بنسبة ٤٨٪، مرتفعاً من ٨٧ مليوناً إلى ١٢٩ مليوناً، كما أن معدلات القيد في التعليم ما قبل الابتدائي والتعليم الثانوي والعالى ارتفعت بأكثر من ٦٠٪ خلال الفترة عينها. في موزمبيق، على سبيل المثال، ازداد الإنفاق بأكثر من ١٢٪ سنوياً في المتوسط، كما نجحت بوروندي منذ عام ١٩٩٩م في زيادة عدد الطلبة الملحقين بالتعليم الابتدائي بمقدار ثلاثة أضعاف،

(١) زقاوة أحمد: جودة التعليم وآفاق التنمية البشرية، موقع ديوان العرب، ٢٠ أغسطس ٢٠٠٦م.

وذلك عن طريق اتخاذ ثلاث خطوات رئيسية:
أولاً: قامت الحكومة خلال العقد الماضي بزيادة استثماراتها في مجال التعليم، مما أدى إلى ارتفاع الإنفاق على التعليم العام من ٢.٢٪ إلى ٨.٢٪ من إجمالي الناتج المحلي منذ عام ١٩٩٩م.
ثانياً: عمدت الحكومة إلى تخصيص قدر أكبر من هذه الموارد للتعليم الابتدائي، وأفضى ذلك إلى ارتفاع الإنفاق على التعليم الابتدائي - الذي وصل إلى مستوى مطابق تقريباً لمستوى الإنفاق على التعليم الثانوي في عام ١٩٩٩م - بمقدار الضعف في عام ٢٠٠٩م، وشكّل هذا الإنفاق ٥٢٪ من إجمالي الإنفاق الحكومي على التعليم.

ثالثاً: ونتيجة لإعادة توزيع الموارد، تمكّنت الحكومة أيضاً من إلغاء رسوم المدارس الابتدائية في عام ٢٠٠٥م.

وأدت هذه الجهود إلى تراجع عدد الأطفال غير الملحقين بالمدارس ممن هم في سنّ التعليم الابتدائي من ٧٢٢.٠٠٠ في عام ١٩٩٩م إلى ١٠.٠٠٠ في عام ٢٠٠٩م، وفقاً لبيانات معهد اليونسكو للإحصاء.

ويحظى التعليم في المتوسط بأكثر من ١٨٪ من إجمالي الإنفاق العام في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، مقابل ١٥٪ في مناطق أخرى، وتخصص المنطقة بوجه عام ٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي لمجال التعليم، وتحلّ بذلك المرتبة الثانية بعد منطقة أمريكا الشمالية وأوروبا التي تخصص ٥.٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي للتعليم.

ويفيد التقرير بأنه ينبغي للحكومات أن تبحث في إمكانية تخصيص المزيد من الموارد للمراحل الدنيا من التعليم؛ إذا كانت لا تزال بعيدة عن تحقيق هدف تعميم التعليم الابتدائي^(٢).

هذا التقرير يُعد مؤشراً على التطور والاهتمام بقضية التعليم في إفريقيا، وإن كان دون المستوى المأمول، فهي بدايات تبين أن الأمر في سبيله للتوسع والازدهار.

ومجلة «قراءات إفريقية» إيماناً منها برسالتها، وهي أن تكون رائدة في توجيه المجتمعات الإفريقية نحو النهوض والتنمية، تتح في هذا العدد ملف التعليم الإسلامي العربي العام في إفريقيا؛ لأنه أحد الركائز المهمة في عملية البناء، محاولة تركيز الضوء على واقعه، ومعوقاته، وسبل تطويره، ودوره في خدمة القارة وتنميتها.

(٢) انظر:

http://www.unesco.org/new/ar/media-services/single-view/news/education_investment_jump_in_sub_saharan_africa_pays_dividends_with_more_children_in_school_than_ever_says_unesco_report

الإسلام والمسلمون في «جنوب السودان» والتوقعات المستقبلية

د. يونايس بول دي مانيال (*)

مقدمة:

القبلي وهيمنة بعض القبائل على غيرها، وقامت السلطنات الإقليمية كسلطنة الفونج في أواسط السودان، وتُسمى أيضاً مملكة سنار، والسلطنة الزرقاء وعاصمتها سنار، ومملكة الفور في غرب السودان وعاصمتها الفاشر، وتمتد حدودها من «وادي» غرباً حتى حدود كردفان شرقاً.

وقامت في كردفان مملكتان، هما: مملكة تقلي في الجنوب، والمسبغات في الشمال، ويُطلق اسم مملكة كردفان أحياناً ليعني تجوزاً مملكة المسبغات، وكانت عاصمتها الأبيض^(٢).

وبما أن السلطنات الثلاث كانت جغرافياً مجاورة للجنوب، إلا أن الجنوب لم يتأثر بإسلامية أي منها لأسباب تخص كل سلطنة والمجموعة الجنوبية المجاورة لها.

فترة الحكم المصري - التركي (١٨٢٠م) - (١٨٨٥م):

اهتم الحكم التركي بجمع المال وتجنيد الرجال، ولم يؤسس دولة حديثة إلا فيما يخص بالمقدار الذي يحقق أهدافه الأساسية، ومع ذلك أخذ الإسلام طريقه إلى الجنوب مع العناصر التركية التي وصلت إلى الجنوب في ذلك الوقت.

عهد الحركة المهدية:

اقتصرت المهدية - نسبة إلى محمد أحمد المهدي^(٣) (١٨٤٤ - ١٨٨٥م) - على كونها حركة

طرات مستجدات وتغييرات في السودان بقيام الدولة الجديدة في الجنوب، الأمر الذي ستكون له آثاره على مجمل الأوضاع في الشمال والجنوب على حد سواء، وأوضاع المسلمين بصورة خاصة في جنوب السودان.

نحاول في هذا المقال، من خلال قراءة التاريخ والأوضاع الحالية وتداعياتها، تحليل واقع المسلمين، واستشراف مستقبل الإسلام في الدولة الجديدة في جنوب السودان، متبعين في ذلك المنهج الوصفي التاريخي التحليلي، ونأمل أن تسهم النتائج المنهجية والفكرية من هذه الدراسة في إعادة توجيه حركة الإسلام في «جنوب السودان» الحديث، وذلك بعد انفصاله وقيامه على أنقاض جنوب السودان القديم.

أولاً: خلفية تاريخية سياسية:

يُعد التاريخ السياسي لإقليم جنوب السودان من الملفات المهمة لفهم طبيعة السودان الخاصة؛ حيث تضافرت مجموعة من العوامل، وبخاصة في فترة الاستعمار البريطاني على تقسيم السودان معنوياً قبل تقسيمه حدودياً، وعلى تأجيج كثير من الصراعات فيه.

فترة ما قبل العهد التركي - المصري:

تبلورت صورة السودان الحالية في العهد التركي - المصري ١٨٢٠ - ١٨٨٥م، وقبل ذلك ساد الصراع

(٢) محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث، ٢٠٠٢م، مركز عبدالكريم ميرغني، ص ١٨ - ١٩.

(٣) محمد أحمد المهدي (١٨٤٤ - ١٨٨٥م): زعيم ديني سوداني كبير، قائد الثورة المهدية، أعلن دعوته سنة ١٨٨١م، قال إنه المهدي المنتظر، وسمى أتباعه الدراويش باسم «الأنصار».

(*) جامعة الزعيم الأزهرى - كلية العلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية - قسم الدراسات الاستراتيجية.

شعبية دينية ساعدت على تنامي الإحساس الوطني، ولكنها لم تتمكن من تغيير البنية الاجتماعية لتلك المجتمعات التقليدية؛ ولذلك بقيت العصبية القبلية موجودة، فقام الحكم الإنجليزي - المصري بإحيائها في إطار الإدارة الأهلية، ونقض سياسة المهدي التي حاولت استبدال القبلية بمفهوم الدعوة المهدي.

عمد الاستعمار كذلك إلى إبقاء الجنوب متخلفاً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وفكرياً

فترة الاستعمار البريطاني:

قامت السياسات الاستعمارية على إظهار الاختلافات الإثنية واللغوية والعرقية والدينية، وفرقت بريطانيا في التعامل مع الجنوب والشمال في عدة قضايا، من أهمها التعليم، فبدأت تظهر الاختلافات الثقافية.

وقد قامت الإدارة الإنجليزية بين ١٩٠٠-١٩٢٠م بقمع الحركات القبلية في الجنوب التي رفضت الخضوع لها، وظلت الإدارة البريطانية في السودان في خلال هذه الفترة تمارس سياسة فصل الجنوب دون أن تدعو صراحة إلى ذلك، وإنما تحت ستار تطوير الحكم المحلي فيه، فلم تعارض انتشار الإسلام، ولكنها أوصت بعدم تشجيعه.

كما عملت الإدارة البريطانية على تنصير الجنوب؛ ففتحت الطرق للإرساليات المسيحية لتتولى مهمة التعليم ونشر المسيحية بين الجنوبيين، وفي عام ١٩١٧م تم تكوين الفرقة الاستوائية بعد إجلاء جميع الشماليين من الجنوب، وجعل يوم الأحد عطلة رسمية عامة في الجنوب، وفي ١٩١٨م أصبحت اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية في الجنوب.

وفي عام ١٩٢١م أصبح مديرو المديرية الجنوبية لا يحضرون اجتماعات مديري

السودان في الخرطوم، ويعقدون اجتماعاتهم في الجنوب.

وفي سنة ١٩٢٢م صدر «قانون الجوازات والسفر»، وتبعه أمر «المناطق المقفولة».

وفي سنة ١٩٣٠م وضع السكرتير الإداري مذكرة ضمّنها الخطط العامة للاستراتيجية البريطانية التي عُرفت بـ «السياسة الجنوبية»، والتي بقيت مطبقة حتى عام ١٩٤٥م، وتقوم على المرتكزات الآتية:

١ - بناء سلسلة من الوحدات العرقية القبلية المكثفة ذاتياً، التي تقوم هيكلها على الأعراف والتقاليد المحلية.

٢ - إبعاد الإداريين والكتبة والفنيين الشماليين بالتدرج، واستبدال عناصر جنوبية بهم.

٣ - معرفة البريطانيين لعادات وتقاليد ولغات أهل الجنوب.

٤ - استعمال اللغة الإنجليزية، وإذا تعذر تُستعمل اللهجات المحلية^(١).

وترك الاحتلال منطقة الجنوب السوداني تحت سيطرة الإرساليات المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية؛ حيث قسموا الجنوب إلى مناطق نفوذ بين الإرساليتين، حتى القبيلة تم تقسيمها بين إرساليتين مختلفتين، وذلك إمعاناً في زرع الاختلاف وعدم التوحد حتى في المسيحية بين أبناء القبيلة الواحدة.

وعملوا على أن يكون الجنوب يختلف عن الشمال في كل شيء؛ بحجة المحافظة على خصوصيته! فمنعوا حركة التجار الشماليين المسلمين في الجنوب، وحرّموا كل ما له صلة بالإسلام من التداول في الجنوب، حتى الكنيسة القبطية نظراً لاستخدامها اللغة العربية!!

ثم ترك مهمة التعليم والخدمات الاجتماعية في يد الإرساليات الكنسية، واستمرت الإرساليات في السيطرة

(١) محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

العسكرية باتباع سياسة التذويب بالقوة مع الجنوبيين (أسلمة، وتعريب)، وقد أدى ذلك إلى مطالبة الأحزاب الجنوبية، وعلى رأسها «حزب سانو» باستقلال الجنوب، كما تم تشكيل «حركة أنانيا» التي بدأت عملياتها العسكرية في عام ١٩٦٣م، وبعد الشد والجذب تم بحث تسوية سلمية للصراع.

فترة الحكم الديمقراطي ١٩٦٤ - ١٩٧٠م
وجهد التسوية السلمية:
عُقد مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٦٥م.

مهما استبدت الحركة الشعبية وعملت على محاربة الإسلام والمسلمين فإن الإسلام هو مستقبل الجنوب

فترة حكم جعفر النميري، وقيام الحركة الشعبية لتحرير السودان:

في عام ١٩٧٢م في عهد حكم الرئيس جعفر النميري تم توقيع اتفاقية أديس أبابا، والتي أعطت للإقليم الجنوبي الحكم الذاتي في إطار السودان الموحد، إلا أنه في يوليو وسبتمبر من عام ١٩٨٣م أصدر الرئيس جعفر نميري عدة قرارات أطاحت بالاتفاقية، ومن تلك القرارات تقسيم الجنوب إلى ثلاثة أقاليم، ونقل الكتيبة (١٠٥) وبعض الجنود إلى الشمال، واتهام قائدها كاريينو كوانين باختلاس أموال، كما تم إرسال قنات لإخضاعها، فأدى ذلك إلى هروبها إلى الأدغال الاستوائية، لتصبح فيما بعد نواة للجيش الشعبي، ثم حدث تمرد وليم نون بنج، وانضمام العقيد جون قرنق للتمرد.

ثم تأسست الحركة الشعبية لتحرير السودان، والجناح العسكري (الجيش الشعبي لتحرير السودان)، وقامت بإعلان هدف الحركة، وهو «تأسيس سودان علماني جديد» قائم على المساواة والعدل الاقتصادي

على التعليم في الجنوب حتى عام ١٩٦٦م، وذلك حين رأت الحكومة أن تعطي الأمر عناية أكبر^(١)، وهو ما أدى إلى إحجام بعض المسلمين في الجنوب عن الالتحاق بالتعليم الكنسي، وهو ما أدى إلى تخلفهم اجتماعياً وثقافياً وفكرياً، وقد عمد الاستعمار كذلك إلى إبقاء الجنوب متخلفاً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وفكرياً.

ثانياً: مرحلة ما بعد الاستعمار (الحكومات الوطنية):

بعد الاستقلال (١٩٥٥م) تعاقبت الحكومات الوطنية (مدنية وعسكرية)، واهتمت بالتعليم والصحة، وصاحب ذلك زيادة في أعداد الإنسان والحيوان، ولكن لم يصاحب ذلك تحوّل في البنية الاجتماعية والاقتصادية، وظلّت الزراعة التقليدية والرعي التقليدي المتقل يشكّلان السمة الأساسية لتلك المجتمعات، بل انضمت قيادات الإدارة الأهلية إلى الحزبين السائدين في البلاد، فنقلت التناقضات الحضرية إلى النسيج الاجتماعي في الريف، الأمر الذي فاقم الفجوة العدائية الناتجة عن التنافس حول الموارد الطبيعية.

بدايات التمرد مع أول حكومة وطنية:

بعد جلاء القوات بريطانيا وانفصال السودان عن مصر: طالب الجنوبيون أن يكون لهم نظام خاص بهم داخل الدولة السودانية الموحدة، وهو الأخذ بنظام الفيدرالية، ولكن الحكومة رفضت الاقتراح معللة بأنه سيؤدى إلى انفصال الجنوب.

وفي أغسطس ١٩٥٥م تمرد بعض أعضاء الفرقة الجنوبية من الجيش السوداني؛ حيث كانت هناك شكوك لدى الجنوبيين في سياسات وزارة إسماعيل الأزهرى التي تشكلت في يناير من العام نفسه.

في ظل حكومة عبود العسكرية عام ١٩٥٨م:

بعد تولّي إبراهيم عبود السلطة قامت الحكومة

(١) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، ١٩٨٩م، وزارة الإعلام، ص ٢٢٨.

وتضاعفت الجهود الدولية من خلال «منظمة الإيقاد»، إلى أن تم توقيع اتفاق إطاري يُسمّى «بروتوكول ماشاكوس»، وذلك في ٢٠ يوليو من عام ٢٠٠٢م، والذي أعطى للجنوب حكماً ذاتياً لفترة انتقالية مدتها ٦ سنوات، وحق تقرير المصير، وفرصة للجنوبيين للتفكير في الانفصال، كذلك أعطى الفرصة في بناء مؤسسات الحكم الانتقالية باعتباره نوعاً من الضمانات، وفي ٩ يناير ٢٠٠٥م وقّعت الحكومة والحركة الشعبية لتحرير السودان «اتفاقية السلام الشامل» في نيفاشا، والذي نصّت بنوده على:

- حق تقرير المصير للجنوب عام ٢٠١١م.
- إجراء انتخابات عامة على كل المستويات في مدة لا تتجاوز عام ٢٠٠٩م.
- تقاسم السلطة بين الشمال والجنوب.
- تقاسم الثروة.
- إدارة المناطق المهمّشة بين الشمال والجنوب.
- الترتيبات الأمنية.

ثالثاً: الجغرافيا السياسية لجنوب السودان:

يضم إقليم الجنوب عشر ولايات، وحدوده: من الجنوب الشرقي إثيوبيا، وكينيا، ومن الجنوب أوغندا، ومن الجنوب الغربي جمهورية الكونغو الديمقراطية، ومن الغرب جمهورية إفريقيا الوسطى، ومن الشمال باقي ولايات السودان، وتبلغ مساحة جنوب السودان أكثر من ٦٠٠,٠٠٠ كم مربع تقريباً، وجنوب السودان منطقة مغلقة لا تطل على البحر أو المحيط.

الديانات:

يتكوّن سكان جنوب السودان من أتباع الديانات الإفريقية التقليدية، والوثنيين، والمسيحيين، بالإضافة إلى المسلمين من أهل السنّة، ويشكّل أتباع الديانات الإفريقية التقليدية والوثنيين أغلبية السكان، أما معظم المسيحيين فهم كاثوليك وأنجليكانيون على الرغم من نشاط الطوائف الأخرى أيضاً.

والاجتماعي في إطار السودان موحّد، وقامت برفع شعارات يسارية فحصلت على دعم من الرئيس الإثيوبي منغستو هيلاميريام.

الحكومة الديمقراطية بعد التميري:

بعد الإطاحة بنظام جعفر نميري عبر انتفاضة شعبية عام ١٩٨٥م؛ كان هناك أمل في التوصل إلى اتفاق مع الحركة، ولكنه فشل بعد اجتماع رئيس الوزراء الجديد الصادق المهدي (من قيادات حزب الأمة وزعماء طائفة الأنصار) مع قرقنق بعام ١٩٨٦م، وفي نوفمبر من عام ١٩٨٨م تم إبرام اتفاق بين قرقنق ومحمد عثمان الميرغني (زعيم طائفة الختمية، ومن قيادات الحزب الوطني الاتحادي) في أديس أبابا، وقد نصّ الاتفاق على تجميد قرارات سبتمبر ١٩٨٢م.

في ظل حكومة الإنقاذ:

الاتفاق السابق في عام ١٩٨٨م لم يأخذ طريقه إلى التنفيذ لانقلاب يونيو ١٩٨٩م بقيادة عمر البشير، وتبنّى الحكومة شعار «الجهاد الإسلامي» ضد القوى الجنوبية، مستعينة بتسليح ميليشيات قوات الدفاع الشعبي، وحققت الحكومة عدداً انتصارات عسكرية. وفي أغسطس ١٩٩١م، وبعد سقوط نظام منغستو في إثيوبيا، وانشقاق الحركة الشعبية، حاولت الحكومة الاستفادة من هذا الانشقاق فأجرت اتصالات منفردة مع د. لام أكل (زعيم ومؤسس حزب الحركة الشعبية لتحرير السودان - التغيير الديمقراطي)، توصلوا فيها إلى الاتفاق على وثيقة عُرفت باسم «وثيقة فرانكفورت»، ووُقعت في يناير من عام ١٩٩٢م، إلا أن الحكومة السودانية أنكرتها بعد ذلك.

في مايو ١٩٩٢م، وتحت رعاية الرئيس النيجيري إبراهيم بابنجيدا، أُجريت الجولة الأولى للمفاوضات في أبوجا، ثم الجولة الثانية في مايو من عام ١٩٩٢م، ولكن لم تسفر هذه المفاوضات عن شيء، وفي ١٩٩٧م وقّعت الحكومة «اتفاقية الخرطوم للسلام» مع الفصائل المنشقة عن الحركة بقيادة د. ريباك مشار و د.لام أكل وآخرين، ولكن لم تصمد.

الحبشة.

٢ - قبيلة الشلك:

هي أقل المجموعات الثلاث تعداداً، وتعيش على الضفة الغربية للنيل الأبيض، إلى الشمال من «ود أكونة» في الشمال، إلى بحيرة «نو» في الجنوب، وعلى الضفة الشرقية للنيل الأبيض إلى قرب من مدينة ملوط شمالاً، وإلى بحيرة «نو» جنوباً.

وقبيلة الشلك ذات نظام سياسي مركزي تحت قيادة ملك أو سلطان يُطلقون عليه لقب «الرت»، ويجمع «الرت» بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية في صيغة مشابهة للتقاليد المصرية الفرعونية القديمة.

ثانياً: النيليون الحاميون:

أُطلق عليها هذا الاسم نظراً لاشتراكها مع المجموعة النيلية في كثير من السمات السلافية واللغوية وفي نمط الحياة الاقتصادية (الاعتماد على تربية الماشية، وبخاصة البقر، والاعتزاز بها). إلا أن هنالك فرقاً بين المجموعتين وبخاصة لون بشرتهم الأقل سواداً من النيليون.

ومن أهم قبائل النيليون الحاميين: الباري والمنداري والتوبوسا والتوركنا واللاتوكا واللاتقا والديدنتا، وغيرهم.

ثالثاً: المجموعة السودانية^(٢):

ينتمي إلى «المجموعة السودانية» قبائل الزاندي التي تُعد ثاني أكبر مجموعة قبلية بعد قبيلة الدينكا بجنوب السودان، والمورو والمادي والبون جو والكريش، ويغلب على طبيعة الحياة الإنتاجية لهذه السلالة الزراعة وليس تربية الماشية؛ بسبب انتشار ذبابة التسي تسي في أماكن وجودها.

ومن أبرز قبائل هذه المجموعة الزاندي، ومجموعة الفراتيت، والتي تضم قبائل الكريش

ومعظم المسلمين ينتمون إلى المتصوفة وأنصار السنة المحمدية والإخوان المسلمون كما هو الحال في الشمال، ولا توجد شيعية في جنوب السودان ولا يهود.

المجموعات الإثنية:

يضم جنوب السودان ثلاث مجموعات إثنية رئيسية، هي: النيليون، والنيليون الحاميون، والمجموعة السودانية، ويأتي على رأس هذه الإثنيات من حيث العدد والنفوذ والقوة النيليون، ومن هذه السلالات انحدرت قبائل الجنوب السوداني مشكّلة نسيجاً اجتماعياً معقداً، نحاول هنا أن نبين بعض بنياته. أولاً: النيليون^(١):

ينتمي إلى هذه المجموعة ثلاث قبائل لها دور مهم في الجنوب السوداني، وهي الدينكا والنوير والشلك.

١ - قبيلة الدينكا:

وهي كبرى المجموعات الإثنية في السودان الذي يضم حوالي ٥٠٠ مجموعة إثنية غير الدينكا، وتضم قبيلة الدينكا اثني عشر بطناً من أبرزهم: (دينكا ملوال، أقار، بور، نقوك، ريك، توج، كيج).

٢ - قبيلة النوير:

يسكن النوير في فضاء جغرافي يقع أساساً في ولايات أعالي النيل وجنقلي والوحدة، وتنقسم قبيلة النوير بصفة عامة إلى مجموعتين: شرقية وغربية، أو الجيقي والجيكنج، وتتكون من خمسة بطون، هي: الجيقي وموطنهم في غرب النوير، ويضم منطقة بانتيو وميوم والليير، والقارجاك وفتجك، قاوير في أيود، واللوفي أكوبو وواط والجيكو، والجيكنج في الناصر وأولانق، ومجموعة مايوت بشرق أعالي النيل على الحدود الحبشية، ولهم امتداد داخل أراضي

(١) انظر: Audrey Butt, the Nilotes of the Sudan and Uganda. East Central Africa. part 4. International African Institute . London . pp 1- 4.

(٢) عبارة «المجموعة السودانية» اصطلاح سلالي عرقي، وليست اصطلاحاً سياسياً.

رابعاً: الإسلام.. حاضره ومستقبله في جنوب

السودان:

الإسلام الشعبي الذي جاء به الأتراك، وأحيته الحركة المهدية في الجنوب، تمثل في الطرق الصوفية في حواضر الجنوب، ومراكز السلطة التي يديرها المأمور، والذي صار اليوم محليات.

وبعد سقوط المهديّة في يد الحكم الثنائي (الإنجليزي - المصري)، ثم انفراد الإنجليز بحكم السودان، وضعت الحكومة استراتيجيات سياسية ودينية خاصة بجنوب السودان، على أنه جزء أو إقليم جيوبوليتيكي، حتى يمكن تحقيق مصالح الإنجليز فيه على المدى البعيد؛ إذا ما تم تنفيذ هذه الاستراتيجيات.

شهد الإسلام في هذه الفترة في الجنوب تضييقاً شديداً؛ لأن الحكم الثنائي أعاد فتح السودان أصلاً للقضاء على الأثر الديني للثورة المهدية، وكان الوجود المصري وجوداً رمزياً تمثل في رفع العلم المصري بجوار العلم الإنجليزي، وكانت السيطرة الفعلية للإنجليز، وخصوصاً بعد إبعاد الجيش المصري من السودان بعد ثورة ١٩٢٤م التي قادها تنظيم اللواء الأبيض بقيادة علي عبداللطيف^(١)، وعضوية عبيد حاج الأمين وصالح عبدالقادر وحسن صالح المطيعي وحسين شريف، وكانوا يمثلون خليطاً من القبائل السودانية والأصول العرقية التي يتكون منها السودان^(٢).

اهتم المسلمون ببناء المساجد في الجنوب، فتم بناء مسجد ملكال في عام ١٩٤٣م، ومسجد واو ومسجد جوبا ومليط ورومبيك وبور، وقد تم ذلك بمعاونة الحكومة المصرية في عهد الحكم المصري لارتباط هذه المناطق بـ «مستعمرات الري المصري»، ثم توقفت عملية بناء المساجد بعيد ثورة ٢٣ يوليو

والبلندا والفروقي في بحر الغزال الكبرى، في مناطق واو وراجا وديم زبير وخور شمام وغيرها، وهي فرع من مجموعة الزوج السودانيين.

اللغة:

توجد في جنوب السودان مجموعات قبلية ولغات أكثر من الشمال، ولغة التعليم والحكومة والأعمال هي الإنجليزية والعربية، وهما اللغتان الرسميتان في جنوب السودان منذ عام ١٩٥٦م.

واللغة العربية المتميزة في جنوب السودان، والتي تُعرف باسم «عربية جوبا»، تكوّنت في القرن التاسع عشر بين أحفاد العساكر السودانيين، وهي منحدرّة من لغة قبيلة باري التي تُستخدم على نطاق واسع في الإقليم الاستوائي، وأما ولايات أعالي النيل وبحر الغزال فيتحدثون باللغة العربية السودانية المستخدمة في الشمال بحكم التداخل والتواصل.

كما توجد ثلاث لغات إفريقية يتم استخدامها بشكل كبير، وهي «طوك جينق» (لغة دينكا) يتحدث بها الدينكا، و «طوك ناس» (لغة النوير)، ويتحدث بها النوير، وتُستعمل في ولاية الوحدة وولاية جونقلي وأعالي النيل، و «طوك شلو» (لغة مملكة الشلك)، وتُستخدم في ولاية أعالي النيل.

الاقتصاد:

يمتاز جنوب السودان بأنه منطقة غنية بالموارد الطبيعية، ويعد البترول من أهم الصادرات، حيث تتركز فيه ما نسبته ٨٥٪ من احتياطي السودان قبل الانفصال، وتتركز الثروة البترولية والمعادن في ولايتي الوحدة وأعالي النيل، كما يمتاز الجنوب بالأراضي الزراعية الخصبة، والموارد المائية السطحية (الأنهار، والأمطار) والجوفية.

ومنطقة جنوب السودان كذلك غنية بالثروة الحيوانية، والغابية بالإضافة إلى الحياة البرية، إلا أنها تقتصر إلى البنات الأساسية من الطرق والكباري والمصانع لاستغلال هذه الثروات، كما تقتصر إلى الفنادق والنزل.

(١) علي عبد اللطيف: ولد من أب من جبال النوبة وأم من قبيلة الدينكا، وكانا عبيدين وتحررا من الرق.

(٢) محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص ص ٤٣٨ - ٤٤٠.

وبما أن المجتمع الجنوبي متحرر جداً ومنفتح؛ فلا يوجد به تعصّب وتطرف ديني، والدليل على ذلك وجود تعدد وتنوع ديني في الأسرة الواحدة (المسلم والمسيحي والوثني... إلخ) دونما وقوع مشكلات بينهم؛ لأن القاعدة في المجتمع الجنوبي هي أن كل فرد حر في اختيار عقيدته ودينه، وهذه الحرية هي أساس الدين الإسلامي، وحينما تتعدم الحرية يتراجع المد الإسلامي، كما هو حادث الآن تحت سيطرة الحركة الشعبية لتحرير السودان وجناحه العسكري في جوٍّ من الاستبداد لم يعرفه المجتمع الجنوبي من قبل.

ينبغي أن يراعى توجيه أبناء القبيلة والعشيرة في الدعوة من خلال الكيان القبلي أولاً قبل غيره، والتركيز على رموز القبيلة

ولكن مهما استبدت الحركة الشعبية وعملت على محاربة الإسلام والمسلمين فإن الإسلام هو مستقبل الجنوب، لكن كيف ذلك؟ عن طريق توطين الإسلام في أرياف الجنوب باعتبارها أصل الجنوب الذي تقطنه الغالبية، وهم أقرب إلى الفطرة في اعتناق الإسلام؛ على عكس من في المدينة حيث تكثر الأهواء والصراعات.

هذه هي استراتيجية الرابطة الإسلامية لجنوب السودان (جوسو)، حيث تقوم بالدعوة إلى الله في جنوب السودان دون الخوض في الأمور السياسية.

أعداد المسلمين ومناطق انتشارهم في الجنوب:
التقديرات الحالية غير الرسمية تؤكد تزايد عدد سكان الجنوب من المسلمين بنسبة كبيرة، حيث بلغت نسبة المسلمين في آخر إحصاء رسمي - تم إجراؤه منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي على يد مجلس الكنائس العالمي برعاية الاحتلال البريطاني - ١٨٪، أما المسيحيون

١٩٥٢م حتى اليوم.

ويعد ذلك تم بناء العديد من المساجد في كل من المدن الرئيسة، بالإضافة إلى المصليات في الأحياء السكنية والمدن الطرفية وبعض القرى، وقامت بعض المعاهد الدينية، ولكنها ضعيفة من حيث الإعداد. وكان النشاط الإسلامي الذي قادته «مؤسسة الري المصري» في جنوب السودان قد خطا خطوات مشجعة للمسلمين في المدن التي بها «مستعمرات الري المصري»، حيث التحق بعض أبناء المسلمين بالتعليم المصري في الجنوب.

وأهم ما قام به المصريون في الجنوب لخدمة الإسلام هو بناء المساجد، والتي احتضنت بعض الجنوبيين الذين جاؤوا من الريف إلى المدن فدخلوا في الإسلام.

تطورت حركة الإسلام في الجنوب مع تطور أوضاع المسلمين في الشمال، حيث ظهرت نشاطات دعوية وجماعات إسلامية تنتهج مناهج تختلف عما هو متوارث داخل الجنوب، مع انتشار الكتاب الإسلامي، بعد أن تم تعميم المدارس التبشيرية الكنسية، وتحويلها إلى مدارس حكومية بمنهج موحد على السودان.

انتشر الإسلام في الجنوب من خلال التعليم الحكومي، وانضم بعض الجنوبيين للحركات الإسلامية الموجودة، مثل: الإخوان المسلمين، وجماعة أنصار السنة المحمدية، بالإضافة إلى المنتمين إلى الطرق الصوفية.

كما أن الجنوب عرف المؤسسات والمنظمات الدعوية الحديثة مع تطور وتساعد الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي منذ أواخر الستينيات، حيث نشأت العديد من المنظمات، مثل هيئة إحياء النشاط الإسلامي، ومنظمة الدعوة الإسلامية، والوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة، وغيرها من المنظمات الإسلامية، وأهمها الهيئة الإسلامية لجنوب السودان، والجمعية الإسلامية لجنوب السودان، ثم تقاطرت المنظمات الطوعية الإسلامية والعربية على الجنوب.

العديد من العوامل، يمكن أن نلخصها في الآتي:

- ١ - قيام المراكز الإدارية والمدن التجارية.
 - ٢ - التجارة وحركة التجار المسلمين، وتأثيرهم الاجتماعي في الجنوب، ساعد على انتشار الإسلام.
 - ٣ - التزاوج: ساعد التزاوج بين الشماليين القادمين من شمال السودان وسكان الجنوب على انسياب الإسلام بهدوء في الجنوب.
 - ٤ - التعليم: كان للتعليم أثر كبير في انتشار الإسلام في الجنوب، وذلك عن طريق انتشار اللغة العربية في الجنوب، والتي صارت لغة الحياة اليومية.
 - ٥ - علاقات الجوار مع القبائل العربية المسلمة شمالاً، في مناطق دارفور وكردفان والنيل الأبيض.
 - ٦ - قيام دولة رابع فضل الله في إفريقيا الوسطى، ومشاركة العديد من الجنوبيين في جيش الزبير، وكان لرابع فضل الله الأثر الكبير في انتشار الإسلام في مناطق بحر الغزال وإفريقيا.
 - ٧ - فتح المجاري النهرية، وحركة الكشف الجغرافي التي قام بها الجنود الأتراك والمصريون، ساعدت في وصول الإسلام إلى جنوب السودان ويوغندا.
 - ٨ - كما أن طبيعة الدين الإسلامي المرنة والبسيطة ساعدت الأهالي على اعتناقه .
- ويوجد في الجنوب الآن أربع مؤسسات ناشطة باسم الدعوة إلى الإسلام:
- أ - الرابطة الإسلامية لجنوب السودان (جوسو).
 - ب - الهيئة الإسلامية لجنوب السودان.
 - ج - الطرق الصوفية.
 - د - المجلس الإسلامي لجنوب السودان.
- معوقات الدعوة الإسلامية في جنوب السودان:**
- إن أي عمل إصلاحي تعترض سبيله بعض المعوقات، وعلى الرغم من ذلك فإن الإسلام في المجتمع الجنوبي يجد الترحيب، إلا أن بعض ممارسات المسلمين التي تقع عن جهل منهم بأحكام دينهم وعدالته وسماحته تشكل معوقاً حقيقياً للدعوة الإسلامية.

فبلغت نسبتهم ١٧٪، واحتل الوثنيون ٦٥٪.

ويقدر الأمين العام لمجلس الكنائس في السودان (حزقل كوتجوفو) عدد الجنوبيين المسيحيين بحوالي ٢ - ٤ ملايين أغلبهم من الكاثوليك^(١).

من جهة أخرى، وطبقاً لآخر تقرير للمجلس الأعلى لتجمع المسلمين في جنوب السودان، فإن نسبة المسلمين قفزت إلى ٢٥٪، ويساويها اللاوحيون (وثنيون) ٢٥٪، ويلهم المسيحيون بنسبة ٢٠٪.

وهذه الإحصائيات أفلقت الكنائس الغربية: مما جعلها توعد إلى زعماء الحركة الشعبية بأن يتمسكوا بعدم تسجيل خانة الديانة في استمارات الاستفتاء القادم على مصير الجنوب، حتى لا تظهر النسب الحقيقية للمسلمين^(٢).

يُعد إقليم بحر الغزال بولاياته المتعددة أكثر الأقاليم الثلاثة التي تضم مسلمين، تليها ولاية الاستوائية الوسطى، وتحديداً مدينة جوبا التي يقطن معظمها مسلمون، ثم يأتي إقليم أعالي النيل، وخصوصاً في منطقة أبيي التي يسكنها أكثر من مليون مسلم، منهم ٦٠٠ ألف من قبيلة المسيرية، وهي القبيلة العربية الوحيدة الموجودة في الجنوب، وفي الولايات الجنوبية العشر أكثر من ٦٥ مسجداً جامعاً، أشهرها وأقدمها مسجد الملك فاروق في ملكال بأعالي النيل، وهو المسجد الذي بناه الملك فاروق في أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين، ثم مسجد الصباح بمدينة جوبا، الذي أنشأه الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت أواخر ثمانينيات القرن الماضي أيضاً^(٣).

عوامل انتشار الإسلام في جنوب السودان:

انتشر الإسلام في جنوب السودان بواسطة

(١) الفاضل بشير بابكر: مسلمو جنوب السودان، انظر: <http://shababtinoba.ahlmountada.com/t226-topic>

(٢) الفاضل بشير، مرجع سابق.

(٣) الفاضل بشير، مرجع سابق.

الإنسان، وهي جملة السياسات والقوانين والممارسات السياسية والإدارية التي اتبعتها الإدارة الإنجليزية للحد من انتشار الإسلام في الجنوب، ولا تزال تمضي عليها سياسات الحكم في الجنوب في فترة الحكم الذاتي، والآن بعد الانفصال، من ذلك التنصير والتعليم الكنسي الذي يهدف إلى تمكين جيل جنوبي مسيحي كنسي يحارب الإسلام والمسلمين.

وختاماً:

نشير إلى ضرورة تضافر الجهود من جميع الجهات المعنية بالدعوة الإسلامية، التي أسهمت من قبل، والتي تتحرك للمساهمة في التمكين للإسلام في جنوب السودان، ليكون منطلقاً إلى قلب القارة الإفريقية.

كما ننبه إلى مراعاة أن الدعوة إلى الإسلام في جنوب السودان تمر بمنعطف تاريخي له حساباته وحساسياته، وهو ما يجعلها تختلف عن الدعوة إلى الله في الشمال في بيئتها وأساليبها ووسائلها وأولوياتها، فالجنوب يختلف في بيئته وأوضاعه، وهو في مرحلة حرجة في علاقته بالشمال، وذلك ما يدعو إلى تبني الدعوة هناك لمناهج تختلف عما في شمال السودان، مع الاتفاق في الكليات الأساسية والمقاصد الشرعية وثوابت الدين الإسلامي.

فالمؤسسة القبلية في الجنوب هي المؤسسة الأقوى والمهيمنة في المجتمعات الجنوبية، فالدعوة فيها لها مناهجها وأساليبها ووسائلها التي تناسبها، وينبغي أن يُراعى هذا البعد، وذلك بتوجيه أبناء القبيلة والعشيرة في الدعوة من خلال الكيان القبلي أولاً قبل غيره، والتكيز في رموز القبيلة، وتعرف المداخل النفسية والاجتماعية وغيرها، وصولاً إلى مخاطبة الكيان القبلي بكامله، حيث يصعب تحرير الفرد عن القيود المحيطة به من عادات وتقاليد وولاء قبلي.

وكذلك انتقال بعض المشكلات التي تعانيها الدعوة في شمال السودان تعد معضلة أمام الدعوة، وبخاصة أمراض حب المال والسلطة، والتي أدت إلى انشطار الجماعات والحركات الإسلامية في الشمال، كما جعلت فتنة المال والسلطة اتحاد المسلمين ووحدتهم غاية بعيدة المنال في السودان، وإذا كان هذا حال الشمال فالوضع في الجنوب سيكون أسوأ، حيث ضعف الفكر والثقافة الإسلامية بين المسلمين الجنوبيين، ومن الأمثلة على ذلك تشجيع بعض الجماعات في الشمال لبعض أبناء الجنوب للسير على خطاهم في سبيل الحصول على المال وشيء من حطام الدنيا من المحسنين، ومن ثم دفعهم إلى الصراعات السياسية باسم الإسلام!

وهناك بعض العوامل الاجتماعية والثقافية التي تشكّل عوائق يُرجى أن تكون مرحلية تتلاشى مع عامل الزمن وحكمة الدعوة في الشمال والجنوب، وهي ترسبات أوجدتها مرحلة وجود المستعمر الأوربي، ومنها: الحواجز النفسية، وحواجز اللغة التي أوجدها بين المسلمين الذين كانت لغتهم هي اللغة العربية، وتعدد اللغات المحلية في الجنوب يشكل حاجزاً، ويضعف من التواصل بين أبناء الجنوب والمسلمين من الشمال، ويعيق انتشار الإسلام.

ومن العوائق كذلك العوامل الجغرافية والبيئية، والتي تتمثل في وجود المستنقعات والغابات الكثيفة في الجنوب، ووعورة الطرق، وتخلّف وسائل المواصلات، وكلها حواجز عاقت تقدم وسرعة انتشار الإسلام في الجنوب، غير أن هذا العائق في طريقه إلى الزوال تدريجياً بتطور وسائل المواصلات والاتصال، واتساع وسائل تواصل الجنوب وأبنائه من المسلمين مع سائر أنحاء العالم الإسلامي.

ونشير أخيراً إلى العوامل السياسية والإدارية والاقتصادية، وهي عوامل مصنوعة من تخطيط

جماعة (بوكو حرام).. نشأتها ومبادئها وأعمالها في نيجيريا

د. أحمد مرتضى (*)

مقدمة:

مزجياً من لغتي الهوسا واللغة العربية، وقد كان الهوساويون يستعملون كلمة «بوكو» ويعنون بها «نظام التعليم الغربي»، وإذا أُضيفت إليها كلمة «حرام» أصبح المعنى: نظام التعليم الغربي حرام، وبالأحرى أن تُفسر الكلمة بمحتواها الدلالي، وليس وفق الترجمة الحرفية، وعلى ذلك يمكن أن تكون الترجمة الصحيحة هي: «اتباع النظام التربوي على السياق الغربي حرام».

ولم يشتهر لقب «بوكو حرام» اشتهاً على مدى أوسع إلا بعد الاشتباكات الأخيرة في شعبان من السنة ١٤٢٠هـ / يوليو - أغسطس ٢٠٠٩م، وإنما اشتهر المنتمون إلى «محمد يوسف» في ولايتي «برنو» و «يوبي» بـ «اليوسفيين»، نسبة إلى اسمه، ولا يرون غضاضة في إظهار هذه التسمية اقتناعاً منهم بها في تلك الفترة.

وأما «بوكو حرام»: فهي تسمية مشتقة من الفكرة التي يكثرون ذكرها مراراً لنصيحة المسلمين، وبخاصة الآباء، وطلبة المعاهد والجامعات، وسائر المعتبرين بالتربية، فلقبوا بها من باب التلقب بما أكثر المرء من ذكره.

للناس من الكُتاب والصحافيين، حتى العوام، تفسيرات عدة في تحديد المقصد الحقيقي لـ «بوكو حرام»، ولعل ذلك ناشئ عن عدم تداول أشرطة علماء «بوكو حرام» على نطاق واسع بين الأوساط العلمية وجمهور الناس، ولكن خير من يُعرب عن مفهوم الحركة هو زعيمها «محمد يوسف»، فقد كانت له خطب ومحاضرات خاصة بتفسير مقصدهم من تحريم دراسة «بوكو».

بعد إلقاء زعيم الحركة «محمد يوسف» محاضرة في ولاية «يُوبي» Yobe»، أجب عن سؤالات وُجّهت إليه، كان من ضمنها سؤال عن مقصوده بتحريم «بوكو»، فقال: «يعنون بذلك الدراسة في المدارس التي أسّسها المنصرون، ويشمل هذا: المناهج الدراسية المقررة منذ الابتدائية، مروراً بالثانوية والمعاهد، إلى الخدمة الوطنية، حتى العمل».

نتيجة انحسار سيطرة الدولة الإسلامية عن العالم الإسلامي منذ القرن الرابع عشر الهجري - بدايات القرن العشرين الميلادي -؛ كثر انبثاق الجماعات الإسلامية، وأصبح ذلك من إرهاصات عصر العولمة في القرن الحادي والعشرين الميلادي.

والهدف من هذا البحث هو القراءة الواعية لحركة «جماعة أهل السنة والجهاد»، المشهورة بـ «حركة بوكو حرام»، وذلك من حيث نشأتها، وتبلورها، والنظر في مبادئها، والأدلة التي استندت إليها، وهذا يقتضي التعمق في أدبياتها، والتأمل الدقيق للأقوال الصادرة من علماء الحركة، من أجل تكوين رؤية واضحة سليمة الدعائم.

ويعتمد هذا البحث على الأشرطة التي بثت قادة الحركة فيها دعوتهم، وشرحوا خفاياها وزواياها، ومجموع هذه المفردات إذا صيغت في منظومة متحدة السياق تفيد في تحقيق هذه القراءة؛ إذ بهذه الطريقة فقط نستطيع أن نقوم هذه الجماعة تقويماً مناسباً لمقتضيات بروزها على الصعيد الوطني، وصمود أعضائها على آراءهم.

أولاً: المفهوم الحقيقي وتداعيات النشوء:

الاسم الحقيقي لهذه الحركة هو «جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد»، وهو الاسم الذي يردّدونه ولا يرضون لهم اسماً سواها، وأطلق عليهم الناس، وبخاصة الإعلاميون، اسم «جماعة بوكو حرام»، وهذه التسمية قد شجبتها أعضاء الحركة، ويفضّلون التسمية التي اختاروها لأنفسهم.

وأما مفهوم «بوكو حرام» المشاعة، وهي كلمة هوساوية، فلم يكن يعرفه سوى أهل الهوسا، وهي كلمة مركبة تركيباً

(*) قسم الدراسات الإسلامية - جامعة بايرو- كانو.

خلفية لا بد منها:

قبل ٢٠٠٢م لم يكن هناك فكرة لحركة «بوكو حرام»، وإنما تم تأسيسها بعد حادثة ١١ من سبتمبر، والأستاذ محمد يوسف من مواليد قرية نائية في منطقة يونساري من بلدة «غشُو» Gashuwa من ولاية «يُوبي» Yobe « حالياً في شمال نيجيريا^(١)، قبل اثنتين وثلاثين سنة من تأسيس الحركة.

في منتصف الثمانينيات ظهرت حركة «الإخوان المسلمين Yan Brothers» على المسرح العلني بزعامة إبراهيم الزكري، وقد اكتسبت حركته شباباً كثيرين، وقد انتظم «محمد يوسف» في هذه الحركة، المعروفة باعتمادها أسلوب الحماسة، وإثارة العواطف ضد الدولة باسم الدين. وكان اهتداؤه إلى جماعة أهل السنة والجماعة متأخراً، و «أبو يوسف» - بعض الشباب المتحمس - لم يلتحق بالدراسة النظامية، وإنما التحق بالفصول الليلية لمحو الأمية بمعهد الكانمي، ولكنه انفصل عنها بعد الفترة الثانية، وكانت مدة دراسته فيها سنة كاملة، إلا أنه اتقن القرآن اتقاناً في المدرسة القرآنية التي يتولاها والده، وقد حضر دروس بعض رموز السنة في نيجيريا، وبعد الاهتداء إلى العلم عكف على الكتب الدينية باجتهاد شخصي.

وقبل ١٩٩٤م بقليل ظهر التشيع والميل إلى العمالة للجمهورية الإيرانية في تصرفات زعيم جماعة الإخوان المسلمين «إبراهيم الزكري» وبعض المقربين منه، فتفككت جماعة «الإخوان» إلى كتلات، استمر بعضهم مع الزعيم الشيعي، وتوجه بعض آخر نحو السلفية، بينما أسس آخرون جناحاً جديداً على خطى الإخوان باسم «جماعة التجديد الإسلامي»، ورأوا الحفاظ على منهج «الإخوان» السابق ببارق جذري هو قطع الصلة بالجناح الشيعي بتاتا، وبقي أمير كل بلد مع تابعيه؛ منتقياً إلى أحد الأجنحة الثلاثة؛ إما إلى الحركة الأولى بتوجهها الشيعي، وإما إلى الحركة الثانية برأيها التجديدي، أو الانتماء إلى أهل السنة والجماعة.

تأسيس الحركة:

وفي غضون ١٩٩٩م خضعت جمهورية نيجيريا - للمرة الثالثة - للنظام الديمقراطي، ولكن حاكم زنفرا الحاج أحمد ثاني بريمابوكورا وجد في دستور الجمهورية النيجيرية مسوغاً لإعلان تطبيق الشريعة في ولايته ٢٠٠١م، ودعا سائر حكام الولايات الشمالية إلى ذلك، فاستجابت بعض الولايات للدعوة، بعد إلحاح شديد من قبل رعايا هذه الولايات، فأعلنت حوالي اثنا عشرة ولاية تطبيق الشريعة الإسلامية في حدود تخومها.

لا ريب أن الأستاذ محمد يوسف قد تأثر بانشقاق «جماعة الإخوان»، فتمكّن بصفته أحد رموز الإخوان من قيادة الفرقة التي انشقت معه، واستمر في تعليمهم وتوجيههم، واقترب من «جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة» جداً، ثم أصبح صدراً في ولايتي «يُوبي» و «برنو»، وبقي حيناً من الدهر على ذلك.

وبدأت أفكاره تتطور، ويدخل تعديلات يراها تقدّمية في مجال الدعوة، لحدّ ملفت للنظر، ويرجع ذلك - كما قال الأستاذ محمد يوسف نفسه - أنه بعد انضمامه إلى جماعة الإزالة، كان هناك ثلاثة مساجد يتشاركون في إدارتها، فحصل تنازع في الإدارة بين أصحابه وبين جماعة الإزالة، وانتهى التنازع أخيراً بانحياز طلابه إلى أحد المساجد، وتركوا المسجدين الآخرين لجماعة الإزالة^(٢)، وهذه نقطة البداية، واستمر مع جماعته حتى استقل بتأسيس حركة «جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد» حوالي عام ٢٠٠٢م.

ثانياً: المواجهات المسلحة:

ترجع بداية المواجهات المسلحة إلى انبعاث جماعة - ممن تأثروا بدعوة «محمد يوسف» - للاشتباك مع رجال البوليس عام ٢٠٠٣م، بدأت الأحداث حين اعتزل بعضهم زاهدين عن الدنيا منغزلين عن الناس في قرية «كَنَمَ Kanamma» وفي بلدة «عِيدَمَ Gaidam» بالقرب من جمهورية النيجر، فاشتبه في تصرفاتهم، وأبلغت عنهم الشرطة، فتتحقت الشرطة منهم بلا جدوى، ولكن أبلغ عنهم للمرة الثانية بسبب ما يقومون به من أعمال مشبوهة، وفي

(١) عمر الكدي: زعيم «بوكو حرام» النيجيرية.. نهاية غامضة لرجل غامض، على هذا الموقع:

<http://www.rnw.nl/arabic/article/15235>

(٢) أجوبته لتساؤلات بي.بي.سي. بعنوان: BBC Interview with Boko Haram Leader

هذه المرة هجم عليهم رجال البوليس والجند، وتركوا منهم قتلى وجرحى.

وفي حملة مقابلة: خرجت مجموعة برئاسة الشيخ «بابَ Baba» بغضبة عارمة للأخذ بالثار، استأصلوا فيها رجال الشرطة الذين قابلوهم في الطريق، وقطعوا مسافة طويلة مشياً على الأقدام حتى وصلوا «دماترو» عاصمة ولاية «يويي».

ومجموعات «كنم» متشددون لحد أنهم يكفرون حتى محمد يوسف حسبما يقول هو نفسه⁽¹⁾، ولم ينشر صدره بخروجهم، للعلاقة المعروفة بينه وبينهم، وقد بلغه خبر الخروج وهو في المملكة العربية السعودية، ومع ذلك انهالت عليه حكومة نيجيريا بالتهديد والضغوط، فبقي هناك قرابة ثلاثة أشهر، حاول بعدها الرجوع فأقنعه بعض الناس ليبقى إلى وقت الحج، وكان الباعث الحقيقي لزيارته في رمضان عام ٢٠٠٢م هو العلاج في مستشفيات المملكة، وعلى أية حال؛ فذلك الخروج يطلق عليه أعضاء الحركة في أديباتهم بـ «جهاد كنم» JihadinKanemma.

ومن ثم استمر «محمد يوسف» يواجه التحديات من قبل حكومة ولاية «برنو»، والحكومة الفيدرالية بالمراقبة والتفتيش، وكان بعض الدعاة يتهمونهم بالغلو والتطرف، في حين أن بعضاً آخر من رجال الدعوة ينصحونه بأن يستبدل الضجيج بالهدوء ونشر العلم.

على الرغم من ذلك؛ فقد اتخذ «يوسف» مدينة «برنو» معقلاً لدعوته، استمر فيه ناشطاً في تحريض الشباب على الجهاد ضد ظلم الحكام، وتحذير الناس من الدراسة على نمط «بوكو»، وضد كل ما يتسم بـ «الحدثة»، ولم تقتر عزيمة «محمد يوسف» في هذه الفترة عن التجوال في كل مدن شمال نيجيريا من «برنو» إلى «صكتو» لإلقاء محاضراته في الدعوة والاستعداد للجهاد.

وقد وفق لحشد مجموعة من الشباب المتحمس لإقامة الدولة الإسلامية، جاؤوا إليه ميايعين من الأماكن التي انتشرت فيها دعوته، وخصوصاً من ولايات الشمال الشرقية الخمس، وهي: «غومبي» و «أدماوا»، بالإضافة إلى «برنو» و «يويي» و «بوئي».

وانتشرت دعوة الحركة أيضاً في ولايات الشمال الغربي، وهي: «كانو»، و «جيجاوا»، و «كتسينا»، و «صكتو»، و «كبي»، وتجاوب معه فيها عدد قليل، وإذا هاجر الناس إلى «برنو» يتجمعون في المركز، وفي حارة «قوزاري» Gwazari على طريق الذهاب إلى حارة «روانزافي» RuwanZafi في «ميدغري».

مجزرة شعبان ٤٣٠هـ / يوليو ٢٠٠٩م:

وفي بداية سنة ٢٠٠٩م صدر قرار من الحكومة الفيدرالية باستعمال القلنسوة الواقية للرأس، وقد تزامن هذا مع تحايل قام به بعض السارقين لاغتصاب أموال طائلة من والد حاكم ولاية «برنو» - على ما يقال -، فاشتط الحاكم غضباً وأمر رجال البوليس بتنفيذ قرار القلنسوة الواقية في أطراف ولاية «برنو»، وسمي مهمتهم الخاصة بـ Operation Flush Out، وقد نفذوا تلك المهمة بتشدد بالغ، تأذى منها شعب ولاية «برنو».

وفي هذه الأثناء خرج بعض أتباع «محمد يوسف» لحضر قبر دون القلنسوة الواقية، فاستقبلهم رجال المهمة الخاصة بعنجهية واحتقار، ولما خرج سائر المشيعين للجزاة شاهدوا الوضع المهين لإخوانهم، فحصل اشتباك عنيف هناك، أسفر عن جرح قرابة ثمانية عشر رجلاً من عناصر الحركة، لم تقبلهم المستشفيات إلا بعد غناء، مما أدى إلى وفاة أربعة منهم.

غضب «محمد يوسف» من هذه العملية، وألقى خطاباً المشهور، الذي أسماه «الرسالة المفتوحة إلى رجال الحكومة الفيدرالية»، هدّد فيه الدولة، وحدّد لها أربعين يوماً للبدء في إصلاح العلاقة بينها وبين حركته، وإلا سيبدأ عملية جهاد على مدى أوسع لا يوقفه إلا الله! فمضت الأربعون يوماً بأيام قلائل، ولم تحرك الحركة ساكناً، غير أن القيادة قد أعدت - فيما بدا للمحللين - تنظيمياً واستراتيجية استعداداً لخوض الحرب.

ظل أعضاء الحركة إبان الأزمة يتربعون صدور فتوى من قيادتهم تبيح لهم الانطلاق، وكانت تحركاتهم ومحاضراتهم وخطاباتهم في البلدان تتم عن الاستعداد للمواجهة، ولهذا تحرك رجال الشرطة في ولاية «بوئي» وهاجموا تجمعاً للحركة في مسجد لهم، فاندلعت الفتنة عندئذ، وتآزمت العلاقة بين الحكومة وهذه الجماعة في تلك الليلة من شهر

(١) شريط «كشف الشبهات».

شعبان من السنة ١٤٣٠ هـ الموافق ليوم الأحد ٢٦ من يوليو ٢٠٠٩م.

وفي حركة مقابلة: اقتحم بعض عناصر الحركة المسلحين مقر الشرطة الرئيس بـ «دُوْظَنْ تَشَشِنْ» و«DutsenTenshin»، وبعض المباني الحكومية في ولاية «بوئي»، فلم تستسلم الشرطة، ودافعت مستميتة، فحصل نتيجة لذلك اشتباك عنيف بين قوات الأمن والمسلحين في تلك الأونة، وفي الصباح تطايرت شرارة المواجهات إلى «دَمَاتْرُو» عاصمة ولاية «يوي»، وانتقل الاشتباك بحرارة في نصف النهار إلى ولاية «برنو»، فتحوّلت العاصمة «ميدغري» إلى أرض المعركة، حيث كان المركز العام للحركة، ومثوى رأسها، وكبار الدعاة إليها.

واستمرت المواجهات لمدة خمسة أيام، انتقلت عداوها إلى كبرى ولايات شمال نيجيريا: «ميدغري» و «بوئي»، و «كانو»، واقتحمت قوات الأمن معاقلة الحركة في «بوئي» و «برنو»، وحُوصِر الذين ثاروا في قرية «وِدِلْ» WUDIL بـ «كانو»، وأدى كل ذلك إلى مقتل أكثر من سبعمائة شخص من بين رجال الحركة والشرطة والجند وغيرهم من الشعب، واضطر أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة من سكان المنطقة للنزوح عن مساكنهم بعد اندلاع القتال.

نهاية المجزرة ومقتل زعيم الحركة محمد يوسف:

وفي أثناء المعركة اقتحمت الشرطة والجند المسجد الذي يستخدمه الأستاذ محمد يوسف لدروسه ومحاضراته (المعروف بمسجد ابن تيمية)، والواقع في المكان المعروف بالسكة الحديدية Railway على شارع «أَبَغَنَرَم» Abbaganaram، وفجّروه تفجيراً بقذائف مدوية، صكّت الأذان، وارتعدت من أجلها الجدران، وكانت حصيلة القتلى في المسجد وخارجه قرابة مائة من عناصر حركة «بوكو حرام»^(١)، وشوهد رجال البوليس يأتون بأعضاء الحركة، حتى بعض العرجى منهم، فيطالبونهم بالاضطجاج على بطونهم، ثم يطلقون كل على فرد منهم رصاصتين أو ثلاثة^(٢).

(١) «Nigerian Army attacks Islamist mosque. kill...scores»
الرابطة: <http://www.zeenews.com/news551374.html>

(٢) نشرت محطة الجزيرة الإنجليزية بعض اللقطات التي ظهر فيها الإعدام العنجهي لبعض المتهمين بالانتساب إلى جماعة

وتوقفت المجزرة آنذاك بمقتل «محمد يوسف» نفسه بعد إلقاء القبض عليه، وإجراء محاوراة مع بعض الجنود وكبار الشرطة، كما شاهد الكل ذلك مرثياً، لمدة خمس دقائق^(٣)، ثم قتلوه مكتوف اليدين، ويقولون إنه طلب الصفح والعفو قبل مقتله^(٤)، ولا ندري لماذا! وبعد الحرب حفرت الدولة المقبرة الجماعية لدفن الجثث في «ميدغري»^(٥).

وكان مقتل «محمد يوسف» محاطاً بمغوض عظيم، وتفسيرات عديدة من قِبَل مصادر الدولة، فمن يتحمل مسؤولية قتله؟ ولماذا؟ وما يثير دهشة بعض المحللين أنه لماذا لم يخضع للمحاكمة حتى تُعرف التفاصيل عنه بمنطقه هو^(٦)!

إعادة تشكيل المنظومة:

بعد مقتل «محمد يوسف» تحدث ناطق رسمي للحركة بأن مقتله لن يغيّر مجراهم، ولم يؤثر فيهم سلباً، بل حفّزهم على الاستماتة وتنفيذ مشاريعهم، ونقلت هيئة الإذاعة البريطانية بي.بي.سي في ١٦ أغسطس ٢٠٠٩م بياناً رسمياً

«بوكو حرام»: <http://www.aljazeera.com/news/afri.html.200973135730251561/07/ca/2009>

(٢) راجع حوار محمد يوسف مع الجند قبل مقتله على هذا الموقع: <http://www.youtube.com/watch?v=ePpUvFTX77w&feature=related>

(٤) جريدة الشرق الأوسط، مقال بعنوان: شرطة نيجيريا: زعيم «بوكو حرام» طلب الصفح قبل قتله: مقتل الملا محمد يوسف زعيم «طالبان نيجيريا» بعد اعتقاله، يوم السبت ٠٩ شعبان ١٤٣٠ هـ ١ أغسطس ٢٠٠٩م العدد ١١٢٠٤، على هذا الموقع: <http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11204&article=529987>

(٥) Newstime Africa. Mass Burial For Boko Haram Victims. <http://www.newstimesafrica.com/archives/1397>

(٦) News Africa. Profile. Boko Haram. Tuesday, February 09.2010 <http://english.aljazeera.net/news/africa.html>

Steve Coll reports for The New Yorker. (Think Tank): Boko Haram. July. 2010 <http://www.newyorker.com/online/blogs/boko-haram.html/08/stevecoll/2009>

ومقال: البرلمان النيجيري يدعو للتحقيق بمجزرة بوكو حرام، السبت ١٢ فبراير ٢٠١٠م، على موقع: <http://www.islamstory.com>

لـ «ميدغري» قسط كبير من الإغارة، وكذلك ولايتي «يوي» و «بوشي»، وهكذا مرّ عام ١٤٢١هـ / ٢٠١٠م في تهاج واضطرابات وخصوصاً في الولايات الثلاث المذكورة.

وقد كان عام ١٤٢٢هـ / ٢٠١١م مليئاً بالأحداث المختلفة سياسية واجتماعية واقتصادية، خرج معظم النيجيريين لانتخابات إيرايل، فأصبح جونثان هو رئيس الجمهورية، وقد أحدث هذا خنقاً مؤلماً للكثير من الشعب المسلم، خصوصاً في الشمال.

وترامت هذه الزوبعة مع التطهير العرقي الحادث في ولاية جوس، حيث قامت مجزرة كبيرة، لقي فيها المسلمون ألوأناً من انتهاك الأعراض والغصب والقتل الوحشي، عدة مرات، من أعظمها ما كان في شهر مايو، في أيام العيد، وهذا مما زاد الطين بلة، وأثار حفيظة المسلمين بمن فيهم «جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد»، فتوسعوا في الإغارات والتفجيرات ضد المسيحيين.

وقد ذكرت بعض التقارير أن أكثر من ٥٥٠ شخصاً لقوا حتفهم في عام ٢٠١١م، في قرابة ١١٥ هجوماً^(٣)، سوى المصابين بالجروح والإصابات الخطيرة.

والسجل التاريخي لنيجيريا لا ينسى كذلك ثلاث حملات كبرى مما شنتها هذه الجماعة في ذلك العام:

أولها: كانت ضد مكتب الأمم المتحدة بأبوجا، وذلك في ٢٦ من أغسطس ٢٠١١م، وهو في الحقيقة تفجير عنيف قُصِف به مبنى المكتب، نتج عنه سقوط خمسة وعشرين شخصاً، وإصابة أكثر من مائة شخص، وقد كشف هذا التفجير أن أعضاء الحركة على استعداد لإجراء ما يُسمّى بتعبير الإعلاميين بـ «العملية الاستشهادية»^(٤).

وثانيها: هو التفجير الكبير الذي يعد - في الحقيقة

أسفر عن تطوّر جديد للحركة، حيث تحدث فيه المدعو بـ «ثاني عمر»، وصف نفسه آنذاك بأنه «الزعيم بالنياية»، ويعد بيانه هذا الأول من نوعه عقب تلك الاشتباكات الدموية، ذكر أن: «الجماعة ألحقت نفسها بالقاعدة، وأنها تتوي شُن سلسلة من التفجيرات في شمال البلاد وجنوبها؛ ابتداء من أغسطس مما يجعل نيجيريا مستعصية على الحكم»^(١).

وفي نهاية شهر يونيو ٢٠١٠م ظهر نائب «محمد يوسف» المعروف بـ «أبي بكر شيكو» على صفحة الإنترنت، مقنعاً رأسه، ومدججاً بالبندقية أك ٤٧، وظهوره هذا يشبه الرد على إشاعة مقتله ضمن مجموعة القتلى، ظهر يؤكد أنه بالرغم من مرور سنة كاملة على الهجوم عليهم فإنهم ما زالوا ملتزمين بمبادئ الحركة، وعلى وشك شُن هجوم عنيف على الغرب الكافر ومتبعي أنظمتهم في نيجيريا^(٢)، ومن هنا أصبح الأستاذ أبو بكر شيكو هو زعيم الحركة، ويلقبه أعضاء الحركة بـ «الإمام»، وقد استمر عناصر الحركة في النشاطات خفية بزعامته، ومساعدة نواب آخرين.

ويبدو أن الحركة في هذه الفترة عملت على تحقيق هدفين:

أولاهما: تحرير أعضاء الحركة الذين أُلقي القبض عليهم، وُجِّب بهم في السجنون.

وثانيهما: الدفاع عن النفس، وفي سبيل الدفاع عن النفس ذكر «شيكو» أن جماعته إنما تقاتل ضد ثلاثة أصناف من الناس، وهم: الشرطة والجنود المسلحون، والمسيحيون، ثم الوشاة بالحركة وأعضائها، وأما جمهور الناس فقد أكد أنهم لا يمسونهم بسوء، وقد قال الأستاذ محمد يوسف مثل ذلك في محاضرة ألقاها يوم الأحد ١٨ ربيع الأول ١٤٢٠م. وتتالت الأحداث بتفجيرات وإطلاق رصاصات هنا وهناك تستهدف أفراد الشرطة والجنود أو مراكزهم، وكان

(٣) بي.بي.سي هوسا، أخبار المساء، ٢٤ من يناير ٢٠١٢م، وكذلك التقارير المنشورة بعنوان: - Nigeria Boko Haram Widens Terror Campaign. Bring Attackers to Justice. Step up Security. published by Human Rights Watch. @ www.org/news/2012/23/Rights nigeriaboko-haram-widen-terror

(٤) راجع هذا الموقع لمشاهدة الرجل الذي نفذ العملية، وتحمل الحركة المسؤولية: <http://www.youtube.com/watch?v=U3WPW6tYbcw&feature=related>

(١) محيط - جيهان مصطفى: «بوكو حرام».. كابوس أوباما في نيجيريا، على هذا الموقع: http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=332544

(٢) Ben Shemang. Boko Haram deputy alive. vows to continue anti-Western fight. 02 July 2010: <http://www.english.rfi.fr/africa/20100702-boko-harma-deputy-alive-vows-continue-anti-western-fight>

يقبل عن ١٨٦ لقوا حتفهم جزءاً تلك التفجيرات بمدينة «كنو»، وهو أكبر عدد من القتلى في يوم واحد منذ بدأت الحركة بعمليات التفجير والهجمات المسلحة، الأمر الذي دفع الرئيس جونسان إلى زيارة مدينة «كانو» للتعزية ومشاهدة مدى الخسائر، وبعد رجوعه إلى «أبوجا» أعلن عزل القائد الأعلى للشرطة، الحاج حافظ رِنغَم من أصل ولاية جِنَاوَا، وأبدل مكانه الحاج أبو بكر من أصل ولاية زَنَفِرا.

وظهر «الإمام شِيكو» فيما أذاعته بي بي سي ظهراً في ٢٦ يناير، مُفراً أن جماعته هم الذين شنوا تلك الغارة الشواء بأمر منه، وأظهر أنه حادث مفرح جداً، وألقى باللائمة على الحكومة لأنهم بعد انتهاء الإغارة بدأ رجال البوليس بإطلاق الرصاص عشوائياً على الشعب.

والملفت للنظر في يوم ٢٦ من يناير أن الرئيس جونسان طالب قيادة «جماعة أهل السنة» للدعوة والجهاد» أن تظهر في الساحة، وأشار إلى إمكانية الهدنة مع الحركة لإيقاف المواجهات وإيجاد السلام الشامل.

وكان خطابه هذا جاء استجابة لرغبة كثير من ذوي الهيئة في إيجاد جوٍّ لصالح الهدنة، لكن لم تستجب قيادة الحركة للدعوة إلى الهدنة، وقد ذكر «الإمام شيكو» في شريط مسجل في ١١ من يناير ٢٠١٢م، قبل تفجيرات «كانو» عبر موقع يوتيوب، أنهم يقبلون مبادرات الهدنة ما دام أنها موافقة للهدنة الشرعية المبينة في القرآن^(١).

وَفُوجِت بعض البيوتات في «ميدغري» ليلة السبت ٢٨ بحشد من الجند يتخطفون بعض الشباب، وبعد تجميع أحد عشر شاباً أطلقوا عليهم النار وأعدموهم، وظهر بعد ذلك أن أولئك الشباب كانوا من «جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد»، وهذا بلا ريب مما يثير حفيظة زعماء الحركة.

وحصل في يوم ٢٩ من يناير شيء مهم للغاية؛ إذ تحدث «أبو القعقاع» المتحدث باسم الحركة مع الصحافيين، وذكر أنهم أرسلوا رسائل إلى سلطان مسلمي نيجيريا محمد سعد ب «صكتو»، وبعض كبار السياسيين في تلك الولاية، مطالبين إياهم بالتدخل في إطلاق سراح رجالات الحركة المعتقلين، وإلا سيوقعون دماراً شاملاً كما وقع في أماكن شتى بولاية

الأول من نوعه، استهدف رئيس الشرطة النيجيرية الحاج حافظ رِنغَم قبل عزله، وقع التفجير بالمركز الأعلى للشرطة بأبوجا، حيث فجر قائد السيارة نفسه، فلقى كثيرون مصرعهم، ونجا رئيس الشرطة من الإصابة، وكان هذه الإغارة رد فعل لحديث تحدث به مع إذاعة بي بي سي - قسم الهوسا، كشف فيه عن خطة شاملة وعزم صارم للإطاحة بهذه الحركة.

والحملة الكبيرة الثالثة: كانت على كنيسة كاثوليكية في يوم عيد الميلاد للمسيحيين، يوم ٢٥ من شهر ديسمبر، في ولاية نيجر، بالمحافظة المعروفة بـ «مادللا Madalla»، أدى الهجوم المفجّر إلى مقتل أربعين، وإصابة آخرين بجروح، ويُتهم اثنان من قيادات الحركة بهذه المهمة «كبير صكتو» و «بشير مادللا»، وقد ألقى القبض على الأخير في ١٧ من فبراير.

آخر تطورات الأحداث في عام ٢٠١٢م:

وفي ٢ يناير ٢٠١٢م أصدرت الجماعة تحذيراً للمسيحيين الموجودين في شمال نيجيريا بإخلاء الشمال كلياً في حدود ثلاثة أيام، وإلا فالويل والثبور لهم، وبعد ثلاثة أيام، وذلك في ٥ من يناير تحديداً، هجم عناصر الحركة على كنيسة في ولاية «غومبي»، وقتلوا زوجة أسقف الكنيسة مع ستة رجال آخرين.

وفي ٦ من يناير لقي اثنا عشر رجلاً من قبيلة «إيبو Igbo» مصرعهم بمحافظة «موبي» في ولاية «أداماوا»، وفي اليوم نفسه قتل اثنا عشر آخرون في أثناء الطقوس في كنيسة في «يولا»؛ عاصمة ولاية «أداماوا».

وفي ١٤ من يناير اعتقل أحد المشتبهين بتدبير الهجوم على كنيسة Madalla يُسمّى الأستاذ كبير عمر صكتو، ثم بعد أربعة وعشرين ساعة انفلت من الشرطة صدفة، لما ذهبوا به إلى مقره للكشف والتحقيق، وقد تعجب من هذه المهزلة الشعب النيجيري كافة، ووعدت الشرطة بمبالغ عظيمة لمن يدل عليه، ووقع «كبير صكتو» في كمين القوات الأمنية، وألقى القبض عليه من جديد في ٧ فبراير.

وفي يوم الجمعة ٢٠ يناير الساعة الخامسة مساءً، اهتزت مدينة «كانو» بدوي الانفجارات المتتالية بعد تمام الساعة الخامسة مساءً، وقد استهدف بها سبعة مواضع، كلها مراكز للشرطة، وذكرت المصادر الحكومية أن ما لا

(١) <http://www.youtube.com/watch?feature=endsc&reen&v=wqLUUvG5fg&NR=1>

مباردة للهدنة بعد القبض على «أبي الدرداء»، وأكبر شاهد على ذلك الهجومات الثلاثة على ولاية «كدونا»، الولاية التي تمّ القبض فيها على «أبي السدرء»^(٢)، ثم ظهر وزير الإعلام النيجيري بيدي تشكك الدولة في صحة ذلك الشريط، وأنها ما زالت على استعداد للهدنة مع جماعة «بوكو حرام»^(٣).

نتائج الأحداث والمواجهات السابقة:

أولاً: تعطل المصالح العامة، حيث فرض حظر التجوال في بعض المدن، فتوقفت البنوك والأسواق عن العمل، وأغلقت المدارس، وتجمّدت المجالس والمعاهد العلمية لعدم توافر الأمن، ودخل الشعب النيجيري، وبخاصة الشماليون، في معاناة ورعب من الأوضاع المتأزمة، وأخوف ما يخيفهم الجيش ورجال البوليس الموزعون على الشوارع والسكك، حيث يعاملون الناس معاملة خشنة بالتحذير والضرب وأخذ الرشاوي.

ثانياً: ظهور أصوات تنادي بتقسيم الدولة، فقد بدأت بعض القبائل تنادي بتقسيم دولة نيجيريا إلى دولتين في الجنوب والشمال، وكانت قبيلة «إيو» على مقدمة المناشدين لهذا التشقيق، وقد شجّب هذه الدعوة بعض زعماء القبيلة، وكثير من كبار الشماليين، ولكن ظهرت أحداث خطيرة، حيث بدأ بعض الجنوبيين بالهجوم على المساجد بالتحريق والهدم، الأمر الذي قد تشعل به نار الفتنة!

ثالثاً: انتشار الفساد بأضرابه في الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية، حتى قطع شوطاً بعيد المدى في نيجيريا، وقد استطاع بعض المحتالين - وسط هذا الخضم - أن يلقوا الأكاذيب والحيل لأكل الأموال باسم الحركة، كما هو قد يدل على ذلك الشريط المرسل إلى المحطة التلفازية السابقة؛ إذ لم تكشف المحطة مصدرها، ولم يذكر المتحدث فيه عن اسمه، بل إن الجماعة لا تستخدم اللغة الإنجليزية أداة للنشر وتوجيه الخطاب للشعب أو لقادة نيجيريا.

وقد تزامنت هذه الأحداث مع البيان الذي نشره البروفيسور وُلَيْشُونْكَا، حيث ذكر أن حياته مستهدفة من

«كانسو»، وطالب في بيانه الحكومات بإطلاق سراح أعضاء الحركة المقبوض عليهم رجالاً ونساء؛ أينما كانوا^(٤).

وذكرت القوات الأمنية أنهم ألقوا القبض على «أبي القعقاع» المتحدث باسم الجماعة ليلة ٢١ من يناير ٢٠١٢م^(٥)، غير أن الجماعة أنكروا القبض عليه، وتحدث «أبو القعقاع الحقيقي» مع الصحفيين، وأثبت أن المقبوض عليه ليس هو، وإنما يدعى «أبو الدرداء»، وهو بالفعل من كبار عناصر الحركة، يشغل رئيس لجنة المفاوضات، وقد أرسلته الجماعة للاستعداد للهدنة المطروحة، ولكن جاء القبض عليه مخيباً للأمل وإجهاضاً لترتيبات الأمن والسلام في المستقبل.

وأضاف أن الحركة تتولى مسؤولية ذبح ستة أشخاص في «ميدغري»، وبيّن أنهم كانوا من قبل من أعضاء الحركة ثم خانوها وأرشدوا الجند إلى أماكن وجود أحد عشر رجلاً من عناصرها، وهم الذين قتلهم الجند، ولا ريب أن قتلهم تفسير تطبيقي لما تقوله الحركة حول حتمية الهجوم على الوشاة بها.

وفي ٧ من فبراير فوجئت ولاية «كدونا» بثلاث هجمات عنفية، ولم تسفر الهجمات عن قتلى، غير أن هناك كثيراً من المصابين بالجروح.

وفي أثناء هذه الأوضاع نشرت محطة تلفازية «NTA» شريطاً، يدعي فيه شخصان متنعان أنهما من الجماعة، واستخدم المتحدث بينهما اللغة الإنجليزية، وبيّن أنها عازمة على إجراء اتفاقيات السلام مع قيادات نيجيريا، وذكروا أربعة من كبار الشخصيات، وهم: الشيخ أبو بكر غُبرُو، والدكتور شَتِيما علي منغُونُو، والحاج علي بُوكر إبراهيم - حاكم ولاية «يوي» السابق، وشدّد على أن ما ييرمه هؤلاء الأربعة سيغير مجرى الأوضاع المتأزمة سريعاً.

ولكن في المقابل كدّب المتحدث باسم الحركة المعروف بـ «أبي القعقاع» هذا الشريط في تحاور هاتفي مع الصحفيين بـ «ميدغري»، وأوضح أنهم لا يقبلون أي

<http://www.9jabook.com/forum/topics/sss-arrests-boko-haram-leader-s-wife-son> (١)

http://www.bbc.co.uk/hausa/qaqaarrest.shtml_120201/02/news/2012 (٢)

(٣) بي.بي.سي - قسم الهوسا، نهار الثلاثاء 2012/2/7م.

(٤) بي.بي.سي - قسم الهوسا، ليلة الخميس 2012/2/8م.

هذا من جملة عقائد المرجئة...، واستدل بحديث لتقوية رأيه، وهو ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله خطيباً، فكان من خطبته أن قال: «ألا إني أوشك أن أدعى فأجيب، فيليكم عمال من بعدي، يقولون ما يعلمون، ويعملون بما يعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون كذلك دهرًا، ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون ما لا يعلمون، ويعملون ما لا يعرفون، فمن ناصحهم، ووازرهم، وشد على أعضادهم، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا، خالطوهم بأجسادكم، وزابلوهم بأعمالكم، واشهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء»^(٣).

٢ - ويعتقد أعضاء الحركة أنهم «الفرقة الناجية»، وبهذه القناعة يتحركون، ودليل ذلك - في نظرهم - أنهم يُحيون روح الجهاد في مسلمي نيجيريا.
٣ - تحريم التعلم في المدارس النظامية من الابتدائية إلى الجامعة، لعدة أسباب: منها(٤):

- أن المسيحيين المنصرين والمستعمرين هم الذي أسسوا هذه المدارس منذ البدء لتخدم غايتهم في تصبير الأمة المسلمة، وقد كان نظام التعليم تابعاً للإسلام في بلادنا قبل مجيء المنصرين، ولم يزل مستقيماً على الجادة حتى تغلب المستعمرون على جنبات البلاد، فكَرَسُوا أنظمتهم على كل مرافق الحياة، ولأهمية نظام التعليم، لارتباطه الوثيق وتأثيره في الحياة، قد خططوه، وأفرزوا المناهج، وفق ما يحول المسلم رويداً رويداً إلى الكافر، أو العميل لهم.

- انتشار الاختلاط الممزوج بالترج في الفصول والقاعات وساحات المدارس، والله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]. واقتضى هذا انتشار الفواحش والردائل كالزنا والسحاق واللواط.

- تعلم بعض المواد والأفكار والنظريات المضادة للدين، نحو نظرية دارون في تطور خلق الإنسان، والتي تخالف قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]. واعتقاد بعضهم وقوف الشمس ودوران الأرض حول الشمس، ونظرية الذرة بأنها لا يمكن

قبل عناصر «بوكو حرام»، وهذا مع أن البروفيسور معروف بانقاده اللاذع للشماليين^(١).

ثالثاً: مبادئ الحركة:

«جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد» من الحركات المعاصرة التي ترى أن تطبيق الشريعة لا يحصل إلا بالسلاح والمواجهة لإزالة الحكومة الظالمة، وردع معاونيها، وتوجه الحركة الفعلي والمنهجية التي رسمها مرجعيتها يدلان على ذلك.

ونستطيع اكتشاف المحتوى الحقيقي للحركة في دراسة متأنية لمبادئها والمناهج التي اختطتها أبرز قياداتها وعقلها المدبّر، أعني الأستاذ «محمد يوسف»، لتحقيق الهدف وتفعيل الحركة، وكذلك ما يؤخذ من البيانات التي يصدرها قائدها «أبو بكر شيكو» على صفحات يوتيوب، فإن له دلالات ذات قيمة في تحليل اتجاه الجماعة.

وللحركة كتابات خاصة بحث فيها الكتاب منهم هذه المسائل، مثل كتاب «هذه عقيدتنا ومنهج دعوتنا» لمؤسس الحركة، وهناك كتاب آخر بعنوان «جاء الحق...»، أخفى مؤلفه اسمه الحقيقي، وسمّى نفسه «علاء الدين البرناوي»، وغير ذلك من الكتيبات، وقاموا بخطب منبرية، ومحاضرات توعوية كثيرة، بثّوها في أشرطة وسيديوهات، حتى على الإنترنت.

وفيما يأتي نستعرض أبرز مبادئ الحركة:

هذه المبادئ والمناهج استخلصتها من أشرطة قيادات الحركة وكتبهم، وليس محررة من قبلهم:

١ - إثبات الحاكمية لله تعالى وحده، وحرمة الديمقراطية لمضاداتها الإسلام جملة وتفصيلاً، والسياسيون المنتخبون عن طريق الديمقراطية كلهم كفار؛ لإيمانهم بنظام يجري على الطرف النقيض للإسلام؛ «لأن الحكم بالقانون الوضعي كفر بواح»^(٢)، وينقد «محمد يوسف» قول القائلين: «لا يجوز الخروج، حتى ولو كان الحاكم كافراً تجب طاعته. لا شك أن

(١) يراجع:

02/http://www.informationnigeria.org/2012?wole-soyinka-on-boko-harams-hit-list.html

(٢) محمد يوسف أبو يوسف الميغوري: هذه عقيدتنا ومنهج دعوتنا، مكتبة الغريب، ط الثانية، ١٤٣٠هـ، ص ١١٢ - ١١٩.

(٣) ذكره الشيخ الألباني في الصحيحة، (١ / ٨١٩)، رقم ٤٥٧.

(٤) محمد يوسف: هذه عقيدتنا، ص ٨٢ - ٩٩.

خلقها ولا إفنائها تخالف قول الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧]، وأن للنطفة روحاً متحركة يخالف قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة : ٢٨]، وأن المطر يعود إلى السماء في الصيف، ثم ينزل في الربيع، يقول: «المطر مثلاً نحن كمسلمين نعتقد أنه من عند الله، وليس من صنع الشمس»، تخالف هذه النظرية قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون : ١٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ...﴾ [النور : ٤٣].

وكان «محمد يوسف» سوغ موقفه وموقف حركته عدة مرات من تعلم العلوم العصرية قائلاً: إن نظام التعليم الغربي يتعارض مع تعاليم الإسلام، والأمثلة على ذلك كثيرة، كما لا يؤمن «أبو يوسف» بأن الأرض كروية.

٤ - رفضت الحركة العمل تحت الحكومات الديمقراطية الحالية، سواء في الشرطة والجند والأمن، وسائر الوظائف الديوانية؛ لأن ذلك من جملة الطاعة المطلقة لنظامها الكافر، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود : ١١٣]، وبعد أن ذكر «محمد يوسف» جملة من الأحاديث قال: «فمجموع هذه الأحاديث تدل دلالة قطعية على أن العمل لا يجوز تحت الحكومة التي لا تحكم بالكتاب والسنة، إنما تحكم بالقوانين الشيطانية، وكذلك لا يجوز عمل الشرطة والجندية تحتها من باب أولى»^(١).

رابعاً: مناهج الدعوة وآلياتها في الحركة:

تفتقر كلمة «المنهج» عن كلمة «المبدأ»؛ من حيث أن «المبدأ» هو العقيدة العامة الكامنة في الضمير، يمضي نحوها صاحب المبدأ كغاية، وأما «المنهج» فهو الوسيلة التي رسمها صاحب المبدأ وهو يؤمن أن خطواته توصله مباشرة أو في نهاية المطاف إلى غايته، ولكل «مبدأ» وسيلة يتوصل بها إليه، غير أنها تختلف من حيث المشروعية وقابلية التطبيق.

ونتيجة لدراسة للمصادر المكتوبة، وما بثه قادة الحركة باللغات الثلاث التي يتحدثون بها (الهوسا وكانوري، واللغة العربية) في خطبهم ودروسهم ومحاضراتهم المخزنة في الأشرطة، استخلصت أهم ما ظهر أنه المنهج المختل لتربيتهم المبادئ التي تريد الجماعة تحقيقها واقعياً.

ونجملها في النقاط الآتية:

١ - تشكيل الدولة:

تتطلب الدولة - كل دولة - مقومات خاصة؛ من أهمها «الإمام» الذي يقودها، ويكون رمزاً لعناصرها، ومرجعاً لشؤونها، و «محمد يوسف» قد تمت له «البيعة» بالإمامة من قبل عناصر حركته، ومن ثم كانت له صلاحية فرض الخوض في المعارك، وتحديد بنود الأمن والسلام.

ولهذا الإمام نائب عام، وهو «أبو بكر شيبكو»، وأمين عام للحركة، وهو «محمد نور»، كما أن لكل ولاية من ولايات نيجيريا أميراً، تحته مندوبون من جهات بلده، ومسؤولون آخرون في كل الحكومات المحلية.

وللحركة مجلس للشوري، ينظر في الأمور الطارئة للتحقيق والمناقشة وإبرام الرأي الأخير، وكان «محمد يوسف» قبل وفاته لا يعيد قيد أنملة عملاً ارتآه ذلك المجلس، فحينما قطع مجلس الشوري - مثلاً - مشورة البدء بالجهاد على أراضي نيجيريا؛ أعلن «محمد يوسف» ذلك في المحاضرة المشهورة ب «الرسالة المفتوحة إلى الحكومة الفيدرالية»، وذكر فيها أن جماعته خاضت في صميم المعركة مع حكومة نيجيريا.

٢ - المنهج التربوي:

التربية التي يعتني بها أعضاء الحركة تجمع بين التربية الروحية والبدنية، أما التربية الروحية: فقد كانت مساجدهم مسكناً، ومدرسة، ومراكز لقيام الليل، وصيام النهار، وقراءة القرآن، والأذكار، وكانت مرجعية الحركة يكررون على مسامع عناصرها ترك الذنوب، وكل ما يخدش المروءة، ويسقط الأعراض من حضور صالات الرقص، والسينما، وشرب الخمر، والزنا، والرياء والكبر والحسد والحقد، إلخ^(٢).

وأما التربية البدنية؛ فإنهم في بعض الأحيان يقومون

(٢) في شريط ترجم فيه «محمد نور» خطبة الجمعة التي ألقاها «محمد يوسف»، أسماها بـ «حي على الجهاد» إلى لغة الهوسا.

(١) محمد يوسف، هذه عقيدتنا، ص ١١٦.

العمامة للفتيان، والحجاب للفتيات، وقد انتهز المدرسون في هذه المدارس فرصة للدعوة، وتطعيم الأطفال بعض الأفكار التي آمن بها بعض زعماء الحركة، كتحريم مشاهدة التلفاز، وغير ذلك.

ويفضل أعضاء الجماعة استخدام اللغة العربية في التحدث والتخاطب، ولعله من أجل مكانة اللغة في دين الإسلام، وهو اللغز الذي عسر فكه لدى بعض الشعب، فظنوا أنهم ليسوا ببنجيريين، وإنما أتوا من بعض الدول الإفريقية، وحاولت القيادات تمييز الجماعة عن باقي الحركات السلفية، لحد أنهم يعدّون سائر أهل السنّة كسالي، وهذا صريح في بعض خطابات «محمد يوسف»، وكان يصب جام غضبه على كسالي من العلماء، على أنه في بعض الأحيان كان ينهى أعضاء الحركة عن إطلاق كلمة «الطاغوت» على العلماء^(١).

٤ - المصادر العلمية المعتمدة لدى الحركة:

تقول قيادات حركة «بوكو حرام» إنهم يعتمدون على فتاوى العلماء السابقين في كل ما يقولونه من رأي، وكان من دأب زعيم الحركة أن يذكر أسماء المراجع والمصادر التي هي كالتقطب لحركته، أو لرأي ذهب إليه، يذكر مثلاً كتاب الشيخ بكر أبي زيد رحمه الله تعالى «المدارس العالمية الأجنبية»، وكتاب «مدارك النظر في السياسة: بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية» للشيخ عبد الملك بن أحمد بن المبارك رمضان الجزائري، وكتاب «حكم الجاهلية»، وهي مجموعة مقالات وتعليقات للشيخ أحمد محمد شاكر- جمعها ابنه الأستاذ أسامة، وكتاب «العلمانية» للشيخ أحمد شاكر أيضاً، وقد صرح «محمد يوسف» في بعض أشرطته أنه تأثر جداً بهذا الكتاب^(٢).

ومن المصادر التي تعتمد عليها مرجعية «بوكو حرام» أيضاً: «فتاوى اللجنة الدائمة»، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب ابن القيم، وتفسير ابن كثير، وفتاوى بعض العلماء المعاصرين أمثال الشيخوخ: الألباني، وابن باز، وابن عثيمين، وغيرهم.

وتكرر قيادة هذه الحركة أن ما أتت به من الفتاوى في القيام ضد الحكام الظالمين، وتحريم التعليم على

في المساجد نفسها، يربّون أنفسهم على الرمي وبعض الأنشطة المقويّة للجسد، ولهم جولة على الأقدام كل صباح بعد صلاة الفجر، ويدعوهم الزعيم إلى التمرينات، ولو في البيوت، لإجادة الرمي والتصويب وسائر الأنشطة، وفوق ذلك هناك عناصر تقوم بالحركة بتدريبيهم تدريبات عسكرية في الفياقي، وإرسالهم إلى أصحابهم في العقيدة والحركة في البلدان النائية، والدول المجاورة.

٣ - المنهج التعليمي:

يقف منهج «بوكو حرام» التعليمي على الدروس المجلسية والمحاضرات، وإقراء الكتب في مساجدهم الخاصة، وبما أن ولاية «برنو» هي معقل الحركة؛ فإن لهم فيها أربعة مجالس كبيرة في «ميدغري»، وهي:

١ - مركز ابن تيمية: كان «محمد يوسف» يلقي فيه دروسه يومي السبت والأحد.

٢ - حارة دوكي UnguwarDoki : اتخذ فيها مجلساً لتفسير القرآن كل يوم الجمعة ليلاً، وهو أكبر مجالسه.

٣ - مسجد فزان Fizan : كان يلقي فيه بعض الدروس، وينوب عنه بعض الدعاة في غيابه.

٤ - مسجد مّفوني Mafoni : يلقون فيه المحاضرات العامة مرة أو مرتين في الشهر.

كان تركيزهم في بعض الكتب، أو المقاطع من بعض الكتب التي تحض على الجهاد، وتوضّح نواقض الإيمان، وتشمل الكتب المدرّسة لديهم: تفسير القرآن، وصحيح البخاري، ورياض الصالحين للإمام النووي، وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، والأصول الثلاثة وكتاب التوحيد (كلاهما للشيخ محمد بن عبد الوهاب)، وأحكام الجنائز وكتاب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (كلاهما للشيخ الألباني)، والولاء والبراء للشيخ الفوزان، وغيرها، وقد بلغ من اعتناء «أبي يوسف» بالمجالس والدروس أن أصبحت هي شغله الشاغل على مدار الأسبوع، قلما تقوته إلا أن يذهب لدرس آخر في بعض المدن والولايات.

ومن جانب آخر لهم مدراس خاصة لتحفيظ القرآن للصغار، وبخاصة المدرسة الملحقة بمسجد ابن تيمية، كان الصغار يتعلمون القرآن مجوداً، ويحفظون الأوراد النبوية، وتلتزم المدرسة كذلك بالمظاهر والزي الإسلامي من لبس

(١) شريط «كشف الشبهات».

(٢) شريط «كشف الشبهات».

لتشمل نيجيريا^(٣)، ولكن بعض المصادر تؤكد أن الحركة على علاقة وطيدة مع التنظيم من خلال السلفية الجهادية في الجزائر، والثوار في تشاد، وخصوصاً أن ولاية «برنو» تجاوز جمهورية تشاد، وقد تمتّ الاتفاقات بينهم وبين «أبي يوسف» طيلة دعوته إلى مبادئ الحركة^(٤).

ولا يعني سرد هذه الأخبار هنا التصديق بها كلياً، غير أنها على أية حال مؤشر إلى انتماء الحركة - ولو فكرياً - إلى تنظيم القاعدة - إن صحَّ التعبير!

سادساً: التمويل في حركة «بوكو حرام»:

بني بعض المحللين على تلك الأخبار السابقة - وغيرها، مما تجمّع لديهم- أن تنظيم القاعدة هو المورد الأساس والممولّ الأول للحركة؛ بينما يرى بعض آخر أن بعض رجال الدولة النيجيرية لهم دخل حتى النخاع في استئثار «محمد يوسف» ضد الحكومة، ويمولون كل نشاطاته^(٥).

ويقول آخرون إن هناك بعض الأثرياء، قد تكونت العلاقة الوثيقة بينهم منذ انتماء «أبي يوسف» إلى جماعة أهل السنّة والجماعة في التسعينيات، فهؤلاء الرجال هم الذين يتكفلون برأس مال الحركة.

هذه التكهّنات من الأمور التي تحتاج إلى مستند قوي، نعم! للباحثين أن يسألوا من يمولّ محمد يوسف في حياته؟ إذ أنه لم يرث هذه الأموال، وليس بائع عقارات، ولم يشتهر بالتجارة، ولا كان موظفاً - في أبعد الافتراضات -! وإنما صرف همّة إلى الدعوة، بيد أنه دافع عن نفسه بأن له إخوة يقومون باستثمار أمواله، ويفلحون أرضاً لهم كبيرة، ومع ذلك لم يفتتح الناس، لمّا تحققوا من قيامه بحاجات فوق مستوى دخله، الأمر الذي يدل على أن تحت الدخان تتأجج النيران! لذلك لم يزل الناس يتساءلون طالبيين الجواب الكافي: ما المصادر الممولة التي تمّد «محمد يوسف» حتى يذب

نمط «بوكو»، وما إلى ذلك كله مستقى من فتاوى العلماء السابقين، ليسوا هم من استنبطوها، وما لهم فيها إلا قراءتها وتفسيرها وترجمتها إلى لغة الهوسا، بالرغم من أنه - في الحقيقة - ليس بالضروري أن يكون الكلام المذكور هو الرأي الذي يعتقده ويفعله - عملياً - العالم المنقول كلامه، ومع ذلك يتحدث «أبو يوسف» كل من كان يرى أن دعوته أو ما يقول، فيه: «المغالطة» و«الخطأ»، أو «سوء الترجمة»، أو «عدم الفهم»، و«طفولية التفكير»، و«عدم النضوج في العلم» - أن يتقدم مشكوراً لبعيد النظر فيما يقوله، ويبين للناس الحقيقة! وكّرر ذلك قائد الحركة الحالي بأن تأويلات المتأولين لإقرار النظام الديمقراطي، وتثبيت إمكانية تحالف علماء المسلمين مع المسيحيين، كل ذلك هراء لا أساس له، ولا يصرفهم عن تنفيذ أمر الله تعالى.

خامساً: علاقة «بوكو حرام» بتنظيم القاعدة:

يظهر «الانتماء الروحي» لهذه الجماعة إلى تنظيم القاعدة في الاستشهادات بأقوال رموز القاعدة التي يكثر منها زعيم الحركة، حيث ينقل مثلاً عن أبي مصعب الزرقاوي، ويصفه بـ «المجاهد»^(٦)، وغيره.

واتضح مؤخراً علاقة حركة «بوكو حرام» مع تنظيم القاعدة في بعض المواقف، وهذا ما بيّنه «موسى توكو» الناطق الرسمي باسم الحركة - في النشرة الهوساوية بإذاعة BBC - بعد مقتل قائدها، حيث أكد انضمام حركتهم إلى تنظيم القاعدة^(٧)، وقد يكون لهذا البيان تفسير آخر، وهو بثّ الروع بين صفوف رؤساء الدولة، ورجال الأمن، دون أن يكون له أثر واقعي.

وحسبما تنقله بعض وكالات الأنباء في مواقعها على الإنترنت؛ فإن هذه الحركة قد تمّ استدعاؤها من قبل أمير تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي الجزائري (أبي مصعب عبد الدود) للانضمام في مظلة القاعدة، وكان من ضمن أطروحة التي صرّح بها لهم: أنه يحلم بتوسيع منطقة نفوذه

(١) محمد يوسف: هذه عقيدتنا، ص ٦٥.

(٢) محيظ - جيهان مصطفى: بوكو حرام.. كابوس أوياما في نيجيريا.

(٣) مقال بعنوان: «طالبان الجزائر تمد يدها إلى طالبان نيجيريا» على هذا الموقع: <http://www.alqanat.com/news/shownews.asp?id=115110>

(٤) الراصدات، مقال بعنوان: «حقيقة جماعة بوكو حرام بنيجيريا» موجود على هذا الموقع:

RafiuOriyomi IOL Correspondent, Nigeria's (٥) Boko Haram. Thu. Jul. 30. 2009: Islamonline.net

الزغل المنطوي في منهجهم، كما قاموا بمحاضرات وإصدار كتيبات ومقالات شارحة للمنهج السوي، وحرت مناظرات بين بعض العلماء وقيادات الحركة حول توجهاتها، ولكن أعضاء الحركة يرمون علماء أهل السنة بالكسل، وعدم التحرك لنصرة الدين.

وقد بين العلماء أن الأمر يحتاج إلى اتباع الحكمة والموعظة الحسنة، وليس الأخذ بمنهج العنف ولغة السلاح، ومن جانب آخر، يرون هذه الحوادث فتنة تحتاج إلى التؤدة والدعاء، لذلك يجتهدون في دعاء القنوت في مساجدهم، وأما العامة؛ فإن موقفهم لم يتغير عن موقف العلماء، لكنهم لا يشعرون تجاه القوات الأمنية النيجيرية بأسى أو تحسّر لما يصيبها، ويرون أنه قصاص لما يلاقه الشعب على يد رجال الأمن من التعذيب والتصفية الجسدية.

الخاتمة؛

هذا البحث استعراض وجيز لتاريخ حركة «جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد» (بوكو حرام)، والإشارة إلى الدوافع إلى نشأتها والغرض منها، وثبت لنا أن الحركة لها كيان مؤثر، وأنها ليست جمعية ربحية، ولا تعمل لأي جهة رسمية أو غير رسمية، ولها اهتمام بطلب العلم الشرعي ونشره، والنهي عن الانضمام في المدارس النظامية الموجودة لمضادة جوانب في مناهجها لتعاليم الإسلام.

ولكن لم يظهر لحد الآن ما يبث أنها تكفّر سائر المسلمين، وإنما حصرت قتالها ضد ثلاث طوائف، وهم: قوات الأمن، والنصارى، والوشاة بهم، وقد قتلت الآلاف من هذه الطوائف، بمن فيهم أفراد من سائر الشعب، وتعتقد الحركة بذلك أنها تسعى لإعادة الدولة الإسلامية في أرض نيجيريا.

وقامت الحكومة النيجيرية بدحر اعتداءات رجال «بوكو حرام»، واتبعت كل وسيلة متاحة لاصطياد عناصر الحركة، وقد نجحت في إلقاء القبض على ثلاثة من كبار قياداتها. ويرى الشعب أنه قد طال أمده تحت ظلم الحكام وفساد السياسيين، وهذه المرة قد دارت الكرة على الظالمين أنفسهم، وبالرغم من ذلك ما زال الرعب مطوقاً لقلوب الشعب النيجيري عامة، لذلك ما زالوا يدعون الله تعالى أن يرفع هذه الفتنة، وينحيها عن هذا الوطن.

لتابعيه الساكنين في المركز شياهاً وأبقاراً كل أسبوع، ويفعل أشياء أخرى لا يمكن لرجل عادي أن يقوم بها - كما يرى بعض المحللين - إن لم تكن هناك جهة خفية تموله؟! هذه تساؤلات يرددها الصحافيون والمتابعون لنشاط الحركة! وصرح الرئيس جونثان بوجود عناصر الحركة في حكومته، لكنه لم يذكر التفاصيل، لا هو ولا أحد الوزراء أو أعضاء الحكومة!

صحيح أن بعض أعضاء الحركة من الولايات المختلفة قد باعوا ممتلكاتهم من البيوت وحلّي النساء استعداداً للجهاد، وذلك في بداية الأمر، وجمع ناشطو الحركة من التجار ما يروونه مناصرة لها، ولم تخرج هذه المسألة لحد الآن من الغموض؛ إذ الحركة استمرت في نشاطاتها من غير أن تعوزها النفقة!

سادساً؛ تأثيرات الحركة في الدعوة داخل نيجيريا وخارجها؛

لا شك أن ما يحدث في شمال نيجيريا له انعكاسات سلبية على الدعوة، من جانب أن أعضاء الحركة لهم انتماء قوي إلى أهل السنة، الأمر الذي اتخذ بعض أعداء السنة من النصارى وأهل البدع ذريعة للطعن في أهل السنة كافة، ويقومون بتحريض الحكومات ضدهم، وهذا - والحمد لله - لم يؤثر كثيراً، بسبب الجهود التي ما يزال علماء أهل السنة يقومون بها لتوضيح منهج السنة، وتوجيه النصائح إلى قيادات «جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد».

غير أن أعداء الإسلام استفادوا من ثورة هذه الحركة، حيث لوّحوا بوضع شمال نيجيريا في قائمتهم السوداء للإرهابيين، وكان من نتائج ذلك أن هرول رؤساء نيجيريا يستجدون بأمريكا وإنجلترا في مواجهة هذه الحركة، وجرت بينهم اتفاقيات؛ من ضمنها أنهم يقومون بتدريب القوات الأمنية النيجيرية على مكافحة الإرهاب، وتقوم أمريكا بفتح مكتب عريض، أو قنصلية في ولاية «كانو»، حدث هذا بعد المواجهات التي حدثت في الولاية، ولا يتوقع أي مردود إيجابي للشعب إزاء تلك السياسات.

سابعاً؛ موقف العلماء والعامة من الحركة وأفكارها؛

تصدى علماء أهل السنة للمنهج الذي اتخذته «جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد» منذ بدايتها، موضحين لقياداتها



ملفات مجلة «قراءات إفريقية»: مستقبل التعليم الإسلامي في إفريقيا

معالجتها، وعن الواقع والتجارب ومشروعات التطوير القائمة، والمآلات المستقبلية. شكّلت هذه الأسئلة وغيرها المحاور الرئيسة لملف التعليم الإسلامي العربي العام في إفريقيا، وتفرّع كل منها إلى مفردات تفصيلية، سعياً لتحقيق أكبر قدر من الشمول، وتقديم صورة متكاملة ما أمكن. كما حرصنا على أن يشارك في الملف باحثون متخصصون من أهل القارة الإفريقية نفسها، حتى يكون التشخيص دقيقاً، والمعالجة واقعية، والرؤى عميقة.

الأوراق البحثية المشاركة في الملف:

معوقات التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا

د. علي يعقوب

النمو التحصيلي في المدارس العربية في نيجيريا -
العوائق والحلول

د. ألاويي لقمان أولاتجو

التعليم الإسلامي بشرق أفريقيا.. أوغندا أنموذجاً

د. آدم بمبا

واقع التعليم الإسلامي في شرق إفريقيا.. النموذج الكيني

د. عبدالمنعم حسن الملك عثمان

المرأة والتعليم الإسلامي العربي في إفريقيا..

نيجيريا نموذجاً

د. محمد الرابع أول سعد

مظاهر تأثير التعليم الغربي في التعليم الإسلامي في
إفريقيا

أ. محمد البشير سميلا

خريجو التعليم العربي وسوق العمل ومجالاته في

غرب إفريقيا

د. هارون المهدي

متطلبات تطوير التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا

د. قاسم بدماصي

خاتمة الملف: حول التعليم الإسلامي في إفريقيا

د. أبو بكر عبدالله شبيب

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

لا يخفى على من له أدنى اهتمام بالقارة الإفريقية أثر التعليم الإسلامي في نشر اللغة العربية والحفاظ على هوية المسلمين، لكن التعليم العربي والإسلامي في إفريقيا يعاني كثيراً من الصعوبات، ويواجه عدداً من التحديات، كمشكلات المناهج التعليمية، وطرق التعليم، والتباين بين النظم التعليمية والدراسية والبيئات الإفريقية.. وغير ذلك، الأمر الذي يحتاج إلى تضافر جهود الباحثين والمختصين لتذليل تلك العقبات والصعوبات، والتغلب على تلك التحديات.

وقد حرصنا من خلال هذا الملف على تناول الموضوعي للتعليم الإسلامي العربي في إفريقيا، اعتماداً على متابعة سياقاته التاريخية، عبر منظور طويل المدى في نشأته وتطوره، وفي نواحي وجوده في القارة، والعوامل التي أثرت في تعدد اتجاهاته، وتنوع تجاربه، وطبيعة مضامينه، ومكونات برامجه، ومحتويات مناهجه، وتعدد طرائقه وأساليبه، ووسائله.

وهي محاولة من مجلة «قراءات إفريقية» للوقوف على جملة من النتائج والمعطيات ذات الأهمية في واقع التعليم العربي الإسلامي في إفريقيا، نأمل من ورائها في أن نقيّد المسؤولين والمختصين في وضع استراتيجيات شاملة للنهوض به، واستئناف مسيرته الأصلية، وتمكينه من الإسهام الفعّال في عملية بناء الإنسان وتنمية المجتمعات.

وقد أجبنا من خلال هذا الملف عن عدد من التساؤلات حول نشأة التعليم الإسلامي في إفريقيا ومراحلته التاريخية التي مر بها، والعوامل التي أدت إلى ظهوره وأسهمت في تطوره، وأسسه التي انطلق منها، وغاياته وأهدافه التي سعى إلى تحقيقها، ومكونات مناهجه وبرامجه التربوية والتعليمية، وأساليبه ووسائله، ومراحل ونظمه ومؤسساته وإدارته، والتحديات والمشكلات التي يعانيها، وإمكانية



معوّقات التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا.. الأسباب وسبل العلاج

د. علي يعقوب (*)

الهجرة، فاتصل التجار بالوطنيين وخالطوهم في السّكن، وكثرت المصاهرة بينهم، وانتشر الإسلام بين شُعب المنطقة، مثل: قبائل الـولوف والتّكرور والسّونكي والديولا والسغني والماندنغو والفلاني والهوسا والكانوري، وغيرهم.

وقد نمت «الثقافة العربية الإسلامية» التي نشأت بقيام الدّولة الإسلامية، وانتشرت مع انتشار الإسلام من حدود الصّين شرقاً إلى الأندلس غرباً^(٣)، وبلغت قمّة ازدهارها في القرنين الثّالث والرّابع الهجريين، واتّخذت هذه الثّقافة الإسلاميّة اللّغة العربيّة لغة لها، وكانت هي اللّغة الرسميّة في هذا الجزء من القارة الإفريقيّة في الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة.

ولمّا جاء الإسلام ودانّ به كثير من أقاليمها عمّل أمراؤها وملوكها بالنّظام الإسلامي^(٤)، وكان للعلماء والفقهاء دور عظيم في تبيين أحكام الله

التعليم دعامة من دعائم التّقدّم والنهضة والتحضّر في العالم، قديماً وحديثاً، لذلك اهتمّت به الدّول من جميع النّواحي، ومن أهم أنواع التعليم «التعليم العربي الإسلامي» الذي لا يتم فهم الإسلام فهماً صحيحاً إلا به.

أصول التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا؛

من أهم ما تنسم بها منطقة غرب إفريقيا وجود طرق متعددة فيها للتجارة، ساعدت على الوصول إليها منذ زمن بعيد، وقد اشتهرت أربعة طرق تجارية بين شمالي القارة وغربها ووسطها^(٥)، واتخذ التجار من هذه الطرق وفروعها منافذ لتجارتهم، وكان التجار المسلمون يجمعون بين دور التاجر والعالم أو الداعية في بثّ العقيدة الإسلاميّة، ونتيجة لهذه الصّلات السّلميّة اتّسع نطاق التجارة، وزادت

(*) الجامعة الإسلامية بالنيجر.

(٢) وهي: من تونس وليبيا إلى منطقة بحيرة تشاد، ومن تونس إلى بلاد الهوسا، ومن الجزائر إلى أواسط نهر النيجر، وكذلك من المغرب إلى أعالي نهر النيجر وحوض نهر السنغال، وكان قوام هذه التجارة مبادضة الملح بالذهب الذي يكثر وجوده بين نهر النيجر والسنغال، وقد ظهر التجار العرب منذ النصف الثّاني من القرن ٨ الميلادي، وزاد نفوذهم بعد غزو المرابطين لمملكة غانا عام ١٠٧٧م (٤٧٩هـ)، وكانت تلك الفترة معاصرة للعصور الوسطى في أوروبا، وهي فترة ازدهار لطرق التجارة الصحراوية من منتصف القرن ١٣ الميلادي (٧ الهجري) إلى نهاية القرن ١٦ الميلادي (١٠ الهجري)، فقد شهدت هذه الفترة طلباً ملحاً على منتجات غربي إفريقيا من جانب أوروبا وإفريقيا الشماليّة، انظر: د. عثمان عبد السلام الثّقافي: الإسلام في غرب إفريقيا، (القسم الثّوري)، مطبعة مدرسة سراج العلوم الإسلاميّة أوودي بكتي الورن، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٢.

(٣) إفريقيا هي أولى القارات التي حظيت بدخول الإسلام إليها - بعد ظهوره في الجزيرة العربية-، ويرجع ذلك إلى هجرة المسلمين الأوّلين إلى الحبشة، وقد رجّح بعض علماء هذه المنطقة القول بأنّ دخول الإسلام إليها يرجع إلى القرن الأوّل الهجري على يد عشبة بن نافع التايبي الجليل، الذي فتح منطقة «فزان»، ثم واصل فتوحاته إلى «كوار» في شمال الشرقي للنيجر. انظر: يوسف فضل: انتشار الإسلام في إفريقيا، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٩م، ص ١٦.

(٤) كان على كلّ إقليم أو قطر إسلامي ملك أو سلطان يحمل لقباً معيناً، مثل: «الماي» لأهل برنو، و«منسا» لأهل مالي، و«زا» و«سني» و«أسكيا» لأهل سغني، و«سركي» لأهل هوسا. وأوّل من تلقب بـ «أمير المؤمنين» محمّد أسكيا الأكبر، وتلقب بـ «أمير المسلمين» الشّيخ عثمان بن فودي وخلفاؤه، وكان أكثر السّلاطين علماء وفقهاء، وإذا لم يكن كذلك اتّخذ أحد العلماء البارزين وزيراً يدير له الدّولة على وفق الشّريعة، ويكوّن هيئة استشارية من كبار العلماء والفقهاء.

النوع الثاني: المؤسسات التعليمية الإسلامية النظامية: وهي التي أخذت بالنظام المصري، وتتبع منظمات وجمعيات تشرف عليها، أو تتبع أفراداً، وغرضها الأساسي دراسة العلوم العربية والشريعة فقط لا غير؛ لأن أصحابها يرون أن مدارس الحكومة ومناهجها لا تفي بالمقصود ولا تخدمه، وهذا النوع من المدارس يهتم بحفظ القرآن، والقراءة والكتابة، ويقتصر على المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية.

إلا أنه أمكن في بعض البلاد إنشاء جامعات إسلامية وكليات، مثل: «الجامعة الإسلامية» في النيجر عام ١٩٦٦هـ، وهي تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي لتعليم أبناء المسلمين في غرب إفريقيا الناطقة بالفرنسية، و«جامعة الهدى الأهلية» في بوركينا فاسو، و«المجمع الجامعي» في بوركينا فاسو، وكلية إسلامية في بوبو دولاسو ببوركينا فاسو، وجامعة إسلامية في ساحل العاج وغانا.

المؤسسات التعليمية الحكومية:

وهي تختلف وتتباين في المنطقة بحسب كثرة المسلمين أو قلة، ففي البلاد التي يكون أكثر أهلها من المسلمين تدرس المواد باللغة الفرنسية والعربية، أو الإنجليزية والعربية، وذلك في المدارس المزدوجة.

أما المدارس غير المزدوجة التي تدرّس بالفرنسية فقط أو الإنجليزية؛ فتجعل مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية مواد غير أساسية، أي أنها مواد اختيارية يختارها التلميذ حسب رغبته، وتُعد النيجر والسنغال من أول الدول التي طبّقت هذا النوع من التعليم، وكذلك شمال نيجيريا، وحديثاً مالي وغينيا، وقد فُتح في بعض جامعاتها أقساماً للغة العربية.

وأما البلاد التي يشكّل المسلمون فيها أقلية؛ فإنه لا وجود للغة العربية ولا للتربية الإسلامية

ورسوله، ومن ثم انتشر التعليم العربي الإسلامي في تلك المرحلة التاريخية.

أما في العصر الحديث؛ فقد واجه التعليم العربي الإسلامي تحديات كبيرة في القارة الإفريقية بسبب الاستعمار الغربي، كما يواجه بعد مرحلة الاستعمار اليوم معوقات عديدة، ويأتي هذا المقال لبيان أهم تلك المعوقات، وتقديم مقترحات لعلاجها، وخصوصاً في بعض دول غرب إفريقيا.

المؤسسات التعليمية العربية الإسلامية في غرب إفريقيا:

المؤسسات التعليمية في غرب إفريقيا نوعان من حيث مالكتها، فهي إمّا مؤسسات خاصة (أهلية)، وإمّا مؤسسات حكومية.

المؤسسات التعليمية الأهلية:

عمل المستعمرون قبل رحيلهم من غرب إفريقيا على إضعاف اللغة العربية، وأظهروا لغاتهم بوصفها لغات العلم والحضارة، ووصموا العربية بالتخلف

وهي مؤسسات تتبع أفراداً في الغالب، وهي على نوعين:

النوع الأول: المؤسسات التعليمية الإسلامية غير النظامية (التقليدية): وهي مؤسسات لم تسر على النظام الحديث، من حيث تدرّج المراحل وتصميم المناهج ووضع المقررات، ونحو ذلك، وهي أقدم المؤسسات التعليمية، وقد كان لها دور مهم في نشر الإسلام في إفريقيا، وهي عادة ما تكون ملحقة بالمساجد، أو في مبان منفصلة تابعة لبعض المشايخ.



أوروبية أو ذات صبغة أوروبية، ويرى كثير منهم أنه ما أقعد القارة ولا أبقاها في ظلام إلا العلوم الإسلامية واللغة العربية! وقد أفرز هذا المنهج تعليماً غابت فيه الأهداف الشرعية والوطنية، بل زاد الجهل بالدين.

ومما ساعد على هذا أن لغة المستعمر أصبحت هي لغة التعليم، وأصبح المثقف المسلم يتلقى معرفته عن الإسلام وتاريخه وحضارته عن طريق اللغات الأوروبية التي ملئت كتاباتها بالدسائس على الإسلام والصورة المشوّهة لتاريخه، وذلك مع غياب أو ندرة الكتب الصحيحة المترجمة إلى تلك اللغات؛ ولهذا ربما اعتمد في بعض الجامعات على كتب كتبها مستشرقون أو متغربون، مثل «مونتغمري وات» و«فيليب حتي» صاحب كتاب تاريخ العرب، ومن مكاييد هذا الأخير حصره الإسلام في أنه حضارة للعرب خاصة، ففسر الإسلام تفسيراً عنصرياً يُثير الأحقاد، ويشوّه الصورة الصحيحة للإسلام، خصوصاً إذا قرئ ذلك مع ما كتبه المستشرقون عن العرب وتجارة الرقيق في إفريقيا.

العجيب أن بعض البلاد التي ألزمت المدارس العربية الإسلامية بالمنهج الرسمي ما زالت تهمل تلك المدارس؛ وتدعم المدارس غير العربية!

وقد نما شعور بالانقص لدى من تأثر بهذا المنهج العلماني المستقى من الثقافة الأوروبية، يرافقه شعور بسمو الرجل الأبيض الأوروبي ورفعة حضارته! ما أدى إلى الإعجاب بكل ما هوأت منهم، مع تولّد نفرة من اللغة العربية والعلوم الشرعية وأهلها.

في مناهجها، وكل المدارس العربية الإسلامية فيها أهلية، ولا تعترف الحكومة بشهاداتها.

معوّقات التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا؛

للتعليم العربي الإسلامي في إفريقيا معوّقات عديدة؛ منها:

أولاً: معوّقات المناهج التعليمية:

مما لا يخفى على التربويين أهمية المناهج في العملية التعليمية، فإن أغلب عناصر التعليم، كالمعلم والكتاب والوسائل الأخرى، تعتمد على المناهج الدراسية، والمنهج السليم هو الذي يحقق أهدافه من تكوين فرد مسلم عابد لله ومخلص لبلاده، ويساهم في تكوين مجتمع من مثل هذا الفرد الصالح، ويهدف كذلك إلى تعليم اللغة العربية بوصفها وسيلة لفهم القرآن والسنة، فيتوثق رباط المسلمين بدينهم وحضارتهم.

وعليه؛ ينبغي أن يكون محتوى المنهج قائماً على ما يأتي:

١ - أن يكون قائماً على أساس الدين الحق، محققاً للأهداف الشرعية.

٢ - أن يؤدي إلى تبصير الدارسين بدينهم وحصانتهم ضد الأفكار المنحرفة.

٣ - أن يناسب المحتوى قدرات الدارسين العقلية ومستواهم التعليمي.

٤ - أن يوزع المحتوى على المراحل الدراسية والفترات والأسابيع والحصص.

٥ - أن يؤدي إلى استمرار التعليم ومتابعته. وأهم معوّقات المناهج في غرب إفريقيا هي:

١ - غياب المنهج الصحيح لدى كثير من المدارس الإسلامية؛ وذلك تأثراً بالمنهج العلماني، وأصحابه هم الذين تعلموا في مدارس

المدارس والمعاهد في إفريقيا مع الدول الإسلامية العربية التي تقدّمت في مجالات أخرى لتستفيد من خبراتها، إلا بعض الجمعيات الأهلية، أو بعض الأفراد.

د - قلة الإمكانات المادية الذاتية، وعدم وجود مساعدات خارجية، أو قلّتها، لقيام مثل هذه المدارس والمعاهد المزدوجة.

ومع عدم وجود أو قلة مثل هذه المدارس المزدوجة ينتسب بعض الطلاب، خصوصاً في دول القارة ذات الأقلية المسلمة، إلى مدارس تُدرّس فيها النصرانية أو العلمانية، فيتعرضون لخطر التنصير والعلمنة؛ ولذلك بقيت أكثر الأسر مُعرّضة عن مثل هذا التعليم حفاظاً على الدين، وإن تضرروا في جانب المهن من طب وهندسة واقتصاد وغير ذلك.

ثانياً: معوقات متعلقة بالمعلمين والمشرفين التربويين:

تفتقر كثير من المدارس العربية الإسلامية إلى المعلمين المؤهلين تربوياً، الملمين بطرق التدريس الحديثة وأساليبه ووسائله، فمعظم المعلمين فيها جاؤوا من مقاعد الدراسة إلى فصول التدريس مباشرة دون تدريب في هذا المجال المهم.

زيادة على ذلك؛ فنادراً ما تجد المشرفين التربويين المؤهلين للإشراف على المدارس العربية الإسلامية، فضلاً عن المفتشين، وقد أدت كل هذه الأشياء إلى ضعف مستوى كثير من الأساتذة ومعلمي المدارس العربية الإسلامية، سواء من جهة الحصيلة العلمية، أو الخبرة العملية في التعليم، وهو ما يؤثر سلباً في تحصيل التلاميذ، وينتهي إلى ضعف مستواهم.

ثالثاً: مشكلة الوسائل التعليمية المناسبة:

لا يزال الاعتماد على الألواح الخشبية وسيلة للتعليم في المدارس التقليدية القديمة،

٢- عدم ملائمة ما يُدرّس للتلاميذ من المناهج للبيئة المحلية: حيث يدرسون مناهج ليس لها صلة ببيئتهم، وهي من السعودية أو مصر أو ليبيا أو المغرب وغيرها من الدول العربية.

٣- اختلاف مناهج التعليم، واستقلال كلّ مدرسة بوضع منهجها؛ ومنح شهادتها، وعدم استقرار المنهج حتى في المدرسة الواحدة أحياناً، وهذا عادة ما يكون في التعليم الأهلي لا الحكومي.

٤ - عدم الالتزام بمنهج محدد المعالم متكامل المحتوى؛ إذ يوجد في بعض البلاد مسائل مهمة مهملة لا تعرض لها في المنهج، مثل: تاريخ غرب إفريقيا القديم والحديث، والحضارة الإسلامية فيها، وتاريخ الأدب العربي الإفريقي وأعلامه في المنطقة، أو قد تذكر لكن على وجه غير كافٍ، وهو ما يخرج جيلاً يجهل ماضيه الإسلامي.

٥ - انحصار مناهج المعاهد العربية الإسلامية في العلوم الشرعية والعربية: وجعل خريجها باللغات الأوروبية والعلوم العصرية.

ويبدو أن لهذه المعوقات عدة عوامل، منها: أ - أن المدارس العصرية أيام الاستعمار كان من أهدافها طمس الإسلام في نفوس أهل غرب إفريقيا المسلمين، وكانت مطية للتنصير وزعزعة العقائد، فاضطر المسلمون إلى هذا الانحصار، كما أدى ذلك إلى كراهية أهل غرب إفريقيا لكل ما يتعلق بثقافة الأوروبيين.

ب - أن بعض المدارس والمعاهد الإسلامية دخلت في تجربة إدخال الثقافة الأوروبية إلى مناهجها، فأدى هذا الدمج إلى ضعف شديد في الدراسات الإسلامية، وقد كان لازدواجية التعليم المكروه عند المسلمين أيضاً أثر في تدهور مثل هذه المدارس.

ج - انقطاع الصلة، أو ضعفها، بين تلك



ما برحت تحميها من كل غارة تهب عليها.
لقد ساهمت عوامل عدة في ضعف وجود
اللغة العربية، وعدم انتشارها بصورة مناسبة،
أيام الاستعمار وبعد الاستقلال، نجمها في
الآتي:

١ - جهود المستعمرين في إقصائها
وإضعافها بشتى الوسائل، مع بقاء لغاتهم إلى
اليوم لغات رسمية للتخاطب والتعامل، وفرضها
لغة للتعليم.

٢ - أن تعليم اللغة العربية كان مقصوراً
على الزوايا، فلم ينتشر في المجتمعات بصورة
مناسبة واسعة.

٣ - أن اللغة العربية لا تُستعمل لغة للتخاطب
والتحدث بين المتعلمين أنفسهم، كما في بقية
المجتمع، بل يضطر المعلم إلى شرح الكتاب
العربي باللهجات المحلية لتلاميذه^(١)!

٤ - ندرة الكتاب العربي وقلة انتشاره في
أوساط المتعلمين وسائر المسلمين.

سبل العلاج (المقترحات) :

بعد ذكر موقّعات التعليم العربي الإسلامي
لا بد من وصف الدواء وسبل العلاج، وهي:

مقترحات عامة:

١ - تكوين روابط للخريجين من الجامعات
العربية والإسلامية من غرب إفريقيا، وتوجيه
العناية إليها، ودعمها لتمكينها من أداء رسالتها.

٢ - تكوين لجنة عليا، تُسند إليها مهمة حلّ
مشكلات التعليم الإسلامي في إفريقيا عامة
وغربها بخاصة.

٣ - الاهتمام بشأن المجتمعات؛ بدعوتها
إلى الإسلام، وتبصير المسلمين بدينهم، حتى

وذلك من أسباب طول المدة التي يقضيها
الطلاب لاستيعاب دروس اللغة العربية والتربية
الإسلامية.

أما المدارس النظامية، وإن كانت لا تعتمد
على الألواح الخشبية، فإنها ما زالت تفتقد
الكثير من الوسائل التعليمية، ومنها الكتاب
المناسب في محتواه وإخراجه، وبالجملة فإنه
يُلاحظ أن الكتاب المناسب نادر ولا يتوفر لأكثر
التلاميذ.

رابعاً: الضعف المادي:

ضعف التمويل أدى إلى انعدام المباني
المدرسية المناسبة الحديثة، أو قلتها، في أكثر
دول المنطقة، كما أدى إلى عدم توفّر الأثاث
والتجهيزات اللازمة للعملية التربوية، كالكراسي
والطاولات والسبورات المناسبة، وكثير من
التلاميذ، خصوصاً في المدارس العربية
الإسلامية الأهلية، يفتشون الأرض والحصائر،
أو يجلسون على كراس وطاولات مهالكة.

ويُلاحظ أن الجهات الرسمية في بعض
البلاد تعتذر عن دعم المؤسسات التعليمية
الإسلامية، وذلك بدعوى أنها لا تأخذ بمنهج
الوزارة الرسمي، والعجيب أن بعض البلاد التي
ألزمت المدارس العربية الإسلامية بالمنهج
الرسمي ما زالت تهمل تلك المدارس؛ في الوقت
الذي تقوم فيه بدعم المدارس غير العربية!

خامساً: مشكلة ضعف اللغة العربية:

لقد عمل المستعمرون قبل رحيلهم من
غرب إفريقيا على إضعاف اللغة العربية
وإحلال لغاتهم محلها، وأظهروا لغاتهم بوصفها
لغات العلم والحضارة، ووصموا اللغة العربية
بالتخلف، وشاء الله أن تبقى اللغة العربية وإن
ضعفت في كثير من البلاد، ولا شك أن وراء
صمود هذه اللغة مكانة اللغة العربية في نفوس
المسلمين وحرصهم عليها، ومظلة الإسلام التي

(١) د. خالد عبد اللطيف: التعليم الإسلامي في إفريقيا الواقع
والتحديات، ندوة التعليم وتطوره في غرب إفريقيا، في نيامي ٢٧-
٢٨/٤/٢٠٠٩م، ص ٥، بتصرف كامل.

تكتمل العملية التعليمية التربوية للتلاميذ.

ويمكن اتباع ما يأتي لتحقيقه:

أ - الاستعانة بطلاب العلم المتميزين في ترجمة الكتب المهمة ببيان الواجبات الأساسية في الإسلام إلى اللغات الإفريقية المشهورة، ومراجعتها، ومن ثم طباعتها ونشرها وتوزيعها.
ب - حث الدعاة على الاهتمام بأمر الدعوة إلى الله، ومضاعفة الجهود، ونشر العلم عن طريق الدروس العامة في المساجد ووسائل الإعلام العامة المتيسرة.

مقترحات تتعلق بالمناهج:

١ - تشكيل لجان علمية متخصصة للنظر في إعداد مناهج موحدة للمدارس العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، تراعى فيها أهداف المنهج ومحتواه، بحيث يكون مصدره الشرع الحنيف، كما يراعى ملائمتها للبيئة المحلية، ويراعى فيه إمكان توحيد الشهادات والامتحانات، خصوصاً في نهاية المرحلة الثانوية.

٢ - السعي إلى تنوع المساقات في التعليم العربي الإسلامي؛ بإبقاء المدارس العربية الإسلامية - أو بعضها - لتدريس علوم الشريعة، وإدخال شيء من التعليم المهني والتقني لتوفير سبل كسب العيش، وإنشاء مدارس تجمع بين تعليم العلوم الشرعية والعلمية، ويراعى فيها توافق المواد العلمية للشريعة بوصفها مصدر القيم.

مقترحات تتعلق بالمعلمين والمشرفين

التربويين:

١ - الدقة في اختيار المعلم صاحب الرسالة، بحيث يكون من ذوي الكفاية العلمية والخبرة العملية، ليكون تأثيره أكثر وأنفع.

٢ - إقامة دورات تدريبية لمدرسي الدراسات الإسلامية واللغة العربية - ممن هم

بحاجة إلى ذلك - في بلدانهم لتأهيلهم.

٣ - العمل بنظام الانتداب والإعارة؛ بأن يُخصَّص مدرسون مؤهلون للجامعات الإفريقية العربية - حكومية كانت أو أهلية - للنهوض بالتعليم الإسلامي فيها.

٤ - السعي عن طريق المنظمات وروابط الخريجين والوزارات لدى الحكومات الإفريقية العربية لاستيعاب خريجي الجامعات العربية والإسلامية في وظائف التعليم العام، ومساواتهم بغيرهم في السلم الوظيفي.

٥ - المطالبة بإدراج مفتشي التعليم العربي الإسلامي في سلك المفتشين بالوزارات الوطنية طبقاً لشهاداتهم، (مثل حالة النيجر).

مقترحات تتعلق بالطلاب:

١ - حث الطلاب وتوجيههم إلى الأخلاق الحميدة، وعلاج كل سلوك غير شرعي ومقاومته، وتعويدهم التزام الشعائر التعبدية، وبناء المساجد في المؤسسات التعليمية لتمكينهم من الصلاة جماعة في وقتها.

٢ - إنشاء الجمعيات الثقافية والعلمية لصقل المواهب في حدود الشريعة.

٣ - التوسُّع في المنح الدراسية للطلاب المسلمين في كل التخصصات في المعاهد والجامعات والدراسات العليا، مع مراعاة التوزيع الجيد للدول والمناطق داخل الدولة الواحدة، والاهتمام بهم تعليمياً وتربوياً، حتى يسدوا حاجة بلادهم للكفايات العلمية المؤهلة الصالحة.

٤ - الاهتمام بتعليم المرأة الإفريقية المسلمة بإنشاء مدارس نسوية^(١) خاصة منعاً للاختلاط بالرجال، وتركز في مناهجها فيما يخص المرأة ويهمها، لإعدادها إعداداً يناسب

(١) مثلما كان في الجامعة الإسلامية بالنيجر، التي فتحت كلية خاصة لتعليم البنات الإسلام واللغة العربية عام ٢٠٠٢م.



طبيعتها ورسالتها في المجتمع.

مقترحات تتعلق بالكتب والوسائل التعليمية:

١ - توفير المعاهد والجامعات الإسلامية في غرب إفريقيا، وتزويدها بالمراجع والمصادر الإسلامية النافعة باستمرار، حتى تعين الطلاب في التحصيل الدراسي، والأساتذة على البحث العلمي، على أن يُراعى في تلك الكتب التنوع والسلامة من الأفكار الهدّامة.

٢ - إعداد برنامج مستمر في تعليم اللغة العربية - إذاعي وتلفزيوني-، يُبث على مستوى المنطقة، وإهداء تسجيلاتها على أشرطة الكاسيت والفيديو لدعم المكتبات الإسلامية في المنطقة.

٣ - إنشاء مكتبات عامة يرتادها المثقفون من أبناء المنطقة للاستفادة منها.

٤ - إنشاء مطابع ودور نشر في المنطقة، تشجّع حركة التأليف، وتزيد من نشر الكتاب الإسلامي، وتعود بفائدة استثمارية للمؤسسات التعليمية.

٥ - مراجعة الكتب الدراسية الموجودة على ثلاث مراحل:

أ - تحديد المحتويات التي لا تتفق مع الإسلام وتتصادم معه، وشطبها من المقررات الدراسية.

ب - وضع مذكرات تشمل على بديل سليم للمشطوب ليستخدمها المعلمون في التعليم.

ج - تأليف كتب منهجية جديدة للدراسة، يراعى فيها ما تقدّم في مقترحات المناهج؛ بعد التأكد من نجاحها وملاءمتها.

٦ - عمل كتاب دليل المعلم، يراعى فيه اختلاف المراحل والإرشاد إلى الطريقة المثلى لإيصال العلم والقيم الإسلامية وترسيخها في

نفوس الطلاب^(١).

مقترحات تتعلق بالمدارس والمؤسسات

التعليمية:

١ - السعي إلى دعم المدارس القائمة وترميمها وتطويرها.

٢ - إنشاء مدارس جديدة، وتوزيعها توزيعاً جيداً، تشمل على قاعات الدراسة والمكاتب الإدارية، إضافة إلى بناء مساكن لإيواء الطلاب، خصوصاً في المرحلة الثانوية والجامعية^(٢).

الخاتمة:

أرجو أن يكون هذا البحث وافياً بالمقصود، وأن يكون نافعاً ومفيداً لكل من يسعى لإنجاح التعليم الإسلامي في إفريقيا، وقد توصلنا من خلاله إلى النتائج الآتية:

١ - أصالة التعليم العربي الإسلامي في القارة الإفريقية، خصوصاً أنها أولى القارات التي حظيت بدخول الإسلام إليها بعد ظهوره في الجزيرة العربية.

٢ - غياب المنهج الصحيح لدى كثير من المدارس العربية الإسلامية في غرب إفريقيا.

٣ - عدم ملاءمة ما يدرس من المناهج للبيئة المحلية.

٤ - انحصار مناهج المعاهد العربية في العلوم الشرعية والعربية، وجهل خريجها باللغات الأوروبية.

٥ - قلة الإمكانيات المادية الذاتية، وعدم وجود مساعدات خارجية، أو قلّتها، لقيام مثل هذه المدارس والمعاهد المزدوجة.

(١) د. خالد عبد اللطيف، المصدر السابق، ص ٦.

(٢) د. علي يعقوب: مشكلات التعليم العربي الإسلامي في المدارس الحكومية بالنيجر، رسالة ماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ٢٠٠٠م، ص ٩٠ - ٩٣، بتصريف.

النمو التحصيلي في المدارس العربية في نيجيريا.. العوائق والحلول

الدكتور: ألابوي لقمان أولاتجو (*)

تمهيد:

لم يكن التعليم العربي الضحية الوحيدة للتدهور الكبير الذي يسود المجتمع النيجيري - كغيره من المجتمعات الإفريقية - في الوقت الراهن، فقد وقعت معظم مرافق الحياة أسيرة لهذا التراجع، لكن التعليم، بوصفه الجوهر الأساس لدفع مسيرة الحياة وقيام العمران، يعاني هذه الأزمة أكثر من غيره.

تتعالى أصوات المسؤولين عن شؤون العلوم والمعارف، والمهتمين بقضايا المناهج في التربية والتعليم، عن فضاغة تدني المستويات لدى الدارسين في المدارس العربية، وبالرغم من ذلك فلا يكاد يوجد حل ملموس لإزالة هذه العقبات، وإعادة العملية التعليمية إلى المستوى اللائق بها، ولعل السبب في هذا الإخفاق - كما يبدو - هو اقتصار تلك الأصوات على مجرد ترديد الشكاوى الشفهية، وعدم القيام بدراسة تلك الظاهرة، وتتبع عواملها والكشف عن أسبابها، واقتراح الوسائل التي يمكن أن تؤدي إلى حل حاسم، وتقادي أزمات أخرى في المستقبل التعليمي. وإذا لم يصح التعميم؛ فإنه لا يوجد من ينكر تدني المستوى لدى الأغلبية الساحقة

من طلبة العلم في المنطقة؛ لأنّ الظاهرة بارزةٌ وخصوصاً لدى من يمارس التدريس أو يتعامل مع المتعلمين في المؤسسات العلمية العالية كالجامعات والكليات والمعاهد العليا، ولم تنزل هيئة التدريس تبدي العجب وتتأسف لمستوى كثير من الملتحقين بالجامعات بعد الحصول على الشهادة الثانوية، ممن لا يفرّق بين مفعول به ومفعول لأجله، ولا بين الإضافة والصفة، وقد يصل الأمر في بعضهم إلى عدم إجادة قراءة القرآن، أليس من الغريب أن يوجد في فصول الجامعة التي تعدّ أعلى مؤسسة علمية من لا يجيد مجرد القراءة، ولا يستطيع التفاهم باللغة العربية، فضلاً عن امتلاكه لمملكة الكتابة والخطابة، إنها ظاهرة مؤسفة ورجعية مؤلمة ومذهلة.

وفي الوقت الذي يزداد فيه مستوى المتعلمين ضعفاً، تزداد أعداد المدارس والمؤسسات والكليات، وصار يدخل في سلك التدريس أناس غير مؤهلين لأغراض متباينة ومصالح متغايرة، وعلى الرغم من التفاؤل الملموس من زيادة أعداد المدارس لدى المهتمين بشؤون التعليم العربي، حيث توقّعا أن يؤدي ذلك إلى تحسين الوضع في تقدّم العملية التعليمية وتقوية مستوى المتعلمين وتطوير ثقافتهم، انطلاقاً من التنافس، لكن ثمرة هذه الزيادة جاءت على خلاف ما توقّعا، فكلما ازادت أعداد المدارس يتدهور مستوى المتعلمين ويزداد ضعفاً وتدنياً!

وسوف تركز هذه الورقة في المستوى

(*) محاضر بالجامعة الإسلامية بالنيجر وشاعر نيجيري.



بناء على ذلك؛ ندرك أن أكبر عامل لضعف المستوى العام في الآونة الأخيرة هو ضعف العزيمة النفسية والإرادة في التعلم والتحصيل.

ولا يخفى على كل من له إلمام بأحوال الطبيعة الكونية أن النجاح في الحياة لا يتحقق إلا بعد توفر شرطين، هما: تحديد الغرض والإخلاص للغرض المحدد^(٢)، فالإنسان الذي لم يحدد هدفه في الحياة لا يستطيع أن يحقق شيئاً في الوجود، وهذه أكبر عاهة نفسية أصيب بها الدارس العربي الإسلامي في نيجيريا؛ حيث أصبح الدارس حبيس الهمم المتوزعة والأمانى المتشتتة، يبني آماله على أحلام بعيدة الإمكان، وجعل كثير من الطلبة أن ازدواج العزائم النفسية يؤدي غالباً إلى الإخفاق في الحياة، كما جعلوا أن الرجال الذين أبقي التاريخ ذكراهم في صفحات الخلود لم يسموا إلا بقوة النفس، وعلو الهمة، وسمو الروح، والصمود أمام المغريات المادية والشهوانية، ولم تتحقق لهم الرفعة إلا بإحكام الحرص، وتوحيد الهمة والعزيمة على تحصيل ما قرروا لأنفسهم، وإنجاز ما رسموا لحياتهم.

وقد أدى توزع الهمة لدى الدارسين إلى تحصيل العلوم من أجل الشهادة والإجازات العالية بهدف الارتقاء بمستوى المعيشة والحصول على المكانة المرموقة في دنيا الناس، وأصبحنا اليوم في عالم الشهادات؛ لأنها في الوقت الراهن مفتاح النجاح والرقي، وسلّم الرفعة والترقية، وصار معظم الطلبة

التحصيلي للمتعلمين لكونه ثمرة لباقي المستويات.

ويمكن حصر عوائق ضعف المستوى التحصيلي لطلبة المدارس العربية في أربعة عوامل:

أولاً: العائق النفسي:

ويتمثل هذا العائق في أمرين، هما:

أ - ضعف العزيمة وتشتت الهمم:

إذا كانت النفس هي ذلك الجوهر الذي يميّز الإنسان عن غيره؛ فيجعله يعقل ويفكر ويدبر، ويتخذ القرارات ويصدر الأحكام، ويدرك المنبهات المحيطة به، ثم يختار طريقه بإرادته الحرة^(١)؛ فإن عليها المسؤولية الكبيرة في الرضا والقبول، وفي الامتناع والرفض؛ فلذا اعتنى بها وبدراسة أحوالها وطبيعتها وضبطها ومراتبها التربويين، وأقاموا لها وزناً كبيراً في الدراسة التربوية قديماً وحديثاً، فالنفس بطبيعتها لا تعتني إلا بما اختارته في نطاق الحرية والرضا؛ فلذلك إذا قويت عزيمتها على شيء حرّكت بقية مكونات الإنسان للمجاهدة نحو تحقيقه، وهيئات للإنسان استعداداً قوياً لتحصيل ذلك الشيء بكل وسيلة ممكنة، والعكس كذلك.

المدارس العربية في نيجيريا بُنيت على أهداف المؤسسين المتباينة ونزعاتهم المتفرقة؛ لذا فهي تسير على وتيرة متخالفة ودروب متغايرة ومناهج متناقضة

(٢) القراءة والمحفوظات، لجنة من الأساتذة، منشور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م، الجزء الرابع، ص ٢٣.

(١) ينظر: القذاقي رمضان محمد، علم النفس الإسلامي، ط ١، صحيفة الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٠م، ص ٧.

يُرى بين زملائه بصفة طالب عربي إسلامي، وذلك نتيجة الغزو الفكري الذي هزم قلوب الأمة، ونتيجة استهانة الدولة بقيمة اللغة العربية والدراسات الإسلامية، فصارت الدراسة العربية الاختيارَ الأخيرَ لمعظم الدارسين في دولة نيجيريا وغيرها من الدول الإفريقية العلمانية عامة، كما صارت العربية ميدانَ تخصص اللياسيين، فإذا كانت القلوب لا تختارها عن رضا وقناعة؛ فأنتى يتقوى فيها المستوى مع فقدان الهمة والعزيمة؟!

ثانياً: العائق المنهجي:

إن المنهج هو جملة المقررات العلمية التي وُضعت لقيادة مسيرة شؤون العلوم من حيث التعليم والتربية، ويشمل المنهج: النظامَ الدراسي، وأهداف التعليم، والبرامج الأكاديمية، والمساقات الدراسية، والمواد المدروسة، مع ذكر مخرجات البرنامج والمقررات التي تسيّر الدراسات على ضوئها. وقد وضع الإسلام أسس المناهج التعليمية والتربوية ومبادئها لمصالح الناس، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم: أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم، وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس»^(١)، ونحن نتعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم التدرج

يلتمسون الحصول عليها بكل الوسائل المتاحة.

أما تحصيل العلوم ودراستها لأهداف إسلامية ترقى بالنفس والعلم والمجتمع، فلم يعد شغل هؤلاء الدارسين الحريصين على الشهادات لمطامع ذاتية؛ لأنها لا قيمة لها مهما كثرت ونفعت إن لم يصاحبها الشهادة اللامعة، ومن صار للشهادات سوق تُباع فيه وتُشترى في المؤسسات العلمية وخارجها، وصار كثير من الجهال يحمل الشهادات، ليرفع بها على خيرة العلماء.

إن الشهادات - في الحقيقة - لها قيمة عالية، لكنها لم توضع لتباع لجهلة الناس، وإنما وضعت لإعطاء الرخصة للمتفوقين في المجالات المعرفية لتكون ميزة سامية لهم عن غيرهم، وتكون دليلاً على تأهلهم للقيام بمسؤولية التوجيه والتدريس والتعليم، فالشهادة ليست غاية في ذاتها، وإنما هي عنوان الغاية وشعار النجاح، فإذا جعلها الطالب غايته وصوّب نحوها عزمته تخرّج في المدرسة كما دخل.

ب - الهزيمة النفسية:

ومن الأمراض النفسية التي يعانها الطالب العربي في نيجيريا الهزيمة النفسية والشعور بالنقص؛ حيث يرى معظمهم أن دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية لا تواكب التحديات المعاصرة، ولا تمكن الإنسان من تحقيق غاية تُذكر؛ فلذلك أصبحوا ينزلون الدراسة العربية المنزلة الثانية في قلوبهم، وأصبحت العلوم العربية والإسلامية تُدرس لتكون ثروة علمية إضافية ملحقة لا مستقلة.

يستحيي الطالب العربي في المنطقة أن يُنسب إلى ميدان العلوم العربية، ويستتشف أن

(١) صحيح البخاري، (٢ / ٦٤).



تسير على قرارات فردية تتمثل أكثرها في نزعات نفسية أنانية أثرية، فكيف لا يختل النظام التعليمي عندما تكون إدارة المدرسة وقيادتها وراثية يتوارثها الأبناء، ويتوظف فيها الأحباب، ويقود نظامها الجهلة من الذين ليس لهم نصيب في المعارف التربوية؟!

وقد أدى هذا الاختلال في النظام إلى مشكلات، منها:

- عدم وضع شروط دقيقة ومؤهلات جديرة لتوظيف المدرسين والمعلمين الذين ينقلون المعارف إلى الناشئة، بل نجد أن أكثر المدارس تعتمد على توظيف خريجها فراراً من تكلفة دفع مرتبات وعلاوات للموظفين، فأصبحت المدارس ميداناً للاستغلال، وإذا وُظف شبه جاهل لحمل مسؤولية التعليم؛ فماذا عسى أن يقدم للدارسين، والحكمة تقول: إن فاقد شيء لا يعطيه؟!

أصبح هؤلاء المدرسون السذج يرسخون الجهل، ويقوّضون اللبنة الفكرية والفترة العقلية لدى الطلبة، ومن أبشع الظواهر أن ترى حامل الشهادة الإعدادية يتجرأ على القيام أمام طلبة المرحلة الثانوية لتدريس المواد التي لم يسبق له أن درسها، فإذا كان المتعلم أبصر وأعلم من المعلم؛ فلا يُسأل إذن عن سبب تدني المستوى وضآلة المحصول الفكري لدى الخريجين!!

- عدم العناية بتحسين مستوى معيشة الأساتذة المدرّبين، وبخس حقوقهم، وهو ما جعل أولئك المدرسين غير مهتمين بمسؤوليتهم التعليمية، وحبّ إليهم ثائية الوظيفة بعدما أيقنوا أن المدارس لا توفر لهم ما تغنيهم عن العمل في مجال الصناعة

في التعليم، وتقديم الأصول على الفروع، ومبادئ العلوم على غرائبها، ومبسطها على مركبها.. وهكذا، فأين المدرسون اليوم من هذا المبدأ المنهجي النبوي؟ وأين نحن من عقد العلاقة بين النظريات والتطبيقات مثل صنيع الرسول في الحديث السابق؟!

لا يخفى على كل من له إلمام بالدراسات التربوية والنظر في أسفارها أن لكل دولة أهدافاً عمومية في نظام التعليم ومناهج تربوية تسير على ضوئها المدارس والمؤسسات العلمية وتسعى إلى تحقيقها وإنجازها، لكن مدارسنا العربية والإسلامية تتقصها المناهج الواضحة؛ لأنها مؤسسات مبنية لا على أهداف النظام التعليمي الوطني والعالمي، ولا على المناهج العامة، بل على الأهداف الذاتية من قبل المؤسسين، وعلى المناهج التي وضعها مديرو المدارس الخاصة، وهذا ما يجعل توحيد المناهج والأهداف في المدارس العربية متعذراً.

ولهذا أرى أن المشكلة المنهجية التي تعوق رفع المستوى في أوساط الشباب والطلبة ذات جانبين، هما:

أ - عشوائية النظام التعليمي العربي في المنطقة:

قبل أن تسير المدارس نحو التكامل لا بد من نظام تعليمي واضح، يحدد المواصفات المطلوبة في إدارة المدرسة، وكيفية إجراء برامجها الأكاديمية، ويحتاج نظام آية مؤسسة إلى قواعد أساسية محكمة وأصول وأنظمة تامة متكاملة كي تتمكن من البقاء، والاستمرار، والاطراد والتطور والتقدم، لكن معظم المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا تمشي مشية عشوائية على غير نظام ثابت لبناء إداراتها وأنظمتها، كما

أو التجارة حتى «الجلب»^(١).

- ولعل من الجدير بالذكر هنا قضية التخصصات التي أصبحت مهمة إهمالاً شبه كامل في معظم المدارس النيجيرية؛ إذ يندر أن يوجد من بين المدرّسين من له مؤهلات تخصصية في المادة التي يدرّسها، فالمدرّس العربي في نيجيريا صاحب فنون في نظر نفسه وفي نظرة إدارة المدرسة المسكينة، إضافة إلى أنظار الطلبة المساكين، ويفسر هذا الواقع غلبة السذاجة على جوّ التدريس؛ حيث يستتوق المعلمُ الجمّلُ في كثير من القضايا المعلوماتية، ناسياً قول الشيخ آدم عبد الله الألوري: «أما الأستاذ؛ فهو دليل التلميذ وقائده إلى الكمال، فيجب أن يكون من ذوى الأوصاف المحمودة»^(٢).

ب - تشتت المناهج والمقررات وضعفها:

لعل أول مشكلة منهجية للمدارس العربية في نيجيريا عدم توحيد المناهج والأهداف، في حين نرى التعليم الغربي قد سجل النجاح في هذا الجانب؛ فلكذلك يجد الناظر في كتاب نظام التعليم الوطني النيجيري (National Educational Policy) أن أول ما نُصّ عليه في النظام هو الأهداف التعليمية الموحّدة لجميع المؤسسات العلمية في نيجيريا بالرغم من اختلاف الولاية والقبائل واللغات؛ لأن الدولة واحدة، وينبغي أن يكون التوجّه واحداً لتحقيق الوحدة القومية والوطنية والفكرية.

(١) الجلب: مصطلح شاع في أوساط المنتسبين إلى الثقافة العربية في نيجيريا، ويعنون به دعوى معالجة الناس واستجلاب قضاء حوائجهم بالدعاء، أو كتابة آيات القرآن والأدعية في الألواح للشرب أو التعميد، أو بوسائل أخرى معروفة لدى أصحابها.

(٢) آدم عبد الله الألوري: نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، ط ٣، دار العربية، بيروت، ص ٨.

وللتعليم العربي في نيجيريا في هذا الجانب إخفاق واضح؛ لأن المدارس العربية بُنيت على أهداف المؤسسين المتباينة ونزعاتهم المتفرقة؛ فلذا فهي تسير على وتيرة متخالفة ودروب متغايرة ومناهج متناقضة، وقد أدت هذه المعضلة المنهجية إلى نتائج سلبية وخيمة في مستوى الطلبة، نذكر منها:

١ - عدم وضوح الأهداف التي يدرس الطالب من أجلها، ولا شك أنّ النفس إذا جهلت الغاية، ولم تدر الثمرة التي تجنيها من الجهود، ضعف إقبالها وعزيمتها وتباطأ سعيها، وأهملت وسائلها عن تحقيق تلك الغاية المجهولة.

٢ - الاهتمام بالنظريات دون التطبيق؛ حيث كانت العملية التعليمية شكلية، وخصوصاً في المواد التي هي بحاجة إلى التطبيق للفهم الدقيق، مثل القواعد وعلم الفرائض، ولذلك يوجب هذا المنهج الخاطئ على الطلبة حفظ المتون والتعريفات والقواعد الجامدة لمصلحة الامتحانات فحسب، وسرعان ما تتعرض تلك القواعد المحفوظة لرياح الغفلة والنسيان بعيد مضي الامتحانات التي حُفظت من أجلها.

٣ - ربط القواعد اللغوية والشعرية بنماذج متكررة؛ حتى أصبحت هذه النماذج لصيقة بتلك القواعد كأنها لا تجاوزها.

٤ - تدريس القواعد قبل المواد، مثل دراسة النحو والصرف قبل اللغة، ومثل تعليم العروض قبل الشعر، وقد انتهت بعض الدول الإفريقية لهذه العقبة فقامت بتعديل مناهجها؛، فلذلك نلاحظ قوة التعبير وملمة الخطابة وامتلاك الثروة اللغوية لدى طلاب العلم فيها.



يدرس الأشياء شكلاً، ويعرف الأسماء دون المسميات، في حين يجد حوله أشياء يراها ولا يعرف أسماءها.

وبالنسبة إلى المقررات المحلية؛ فقد راعى مؤلفوها أوضاع البيئة وأذواق الطلبة ومستوياتهم، إلا أن أكثرها يفتقر إلى المنهجية، وحسن الترتيب، والصياغة في التعبير، وأكبر سلبية فيها أن يكون المؤلف نفسه لا يجيد المادة التي يؤلف فيها، وليس له فضل في التأليف إلا سوء النقل وإساءة الوضع والترتيب، فبذلك تكون المقررات الخارجية أحسن في غالب الأحيان من المقررات الداخلية، وإذا اعتمد الطالب على مقرر ضعيف فكيف يتخرج بمستوى قوي؟!

ثالثاً: العائق الاقتصادي؛

إن التدهور الاقتصادي الذي يعانيه مجتمعنا لم يزل يمتد بظلاله إلى كل شعب من شعوب الوطن، وقد ذاق مرارته كل من الطلبة والأساتذة والمدارس، ولا شك أن الوسائل التعليمية ضرورية لتقوية مستوى الطالب، فحاجة الطالب ماسة إلى الكتب والمقررات والأجهزة الحديثة التي تساعده في تكوين نفسه وتحسين مستواه، لكن الفقر والمسكنة التي تسيطر على جو اقتصادنا لم تزل تؤدي إلى التقصير في هذا الجانب، فيلجأ الطالب إلى استعارة تلك المقررات من زميل له لبضعة أيام ليمرّ عليها مرّ الكرام. أما المعلمون؛ فإن روح المادية الجامحة لدى الكثير منهم، مع عدم توفر الإمكانيات لنفقات النفس والعائلة والأسرة، لم تزل تؤدي بكثير منهم إلى الفتور وعدم التفرغ التام للتدريس. والمدارس العربية نفسها لا تزال تعاني

٥ - جعل المدرسون الفصول مسارحاً للتظاهر بالتفوق على زملائهم، وصارهم كثير منهم إظهار مهاراته أمام الطلبة، فيجول بهم في آفاق مجهولة تفوق مداركهم ومستوياتهم، وقليل ما يهتم بتوصيل المعلومات السديدة التي وقف أمامهم من أجلها.

ومن ناحية المقررات؛ فإن المدارس العربية في نيجيريا صنفان:

١ - المدارس التي تعتمد على المقررات الصادرة من الدول العربية.

٢ - المدارس التي تعتمد على المقررات المحلية أو كتيبات المديرين وأساتذة المدارس الإقليمية.

ولكل واحد من هذين الاتجاهين إيجابيات وسلبيات أو منافع ومضار في تكوين الطلبة، فالمقررات الصادرة من الدول العربية صالحة وجيدة؛ لأنها مقررات قام بتأليفها الأساتذة المتخصصون وفقاً للمناهج التعليمية والتربوية في تلك الدول، وقد روعي في تأليف تلك المقررات أمور كثيرة، منها:

- مراعاة مستويات الطلبة، ونزعاتهم، ومداركهم، ودرجاتهم العقلية والفطرية.

- وسهولة تعرف مضامينها.
- فذلك تتصف معظم تلك المقررات بالسهولة والبساطة، وحسن التراكيب، والتوجيه.

وقد استفادت مدارسنا من هذه المقررات قديماً وحديثاً إلى حد بعيد، لكن السلبية الكبيرة فيها أن معظمها كتب لبيئات تختلف عن بيئتنا، فلذلك يجد الأستاذ صعوبة في معرفة بعض الأشياء الواردة فيها، وحتى إذا فهمها وعرفها، بقيت مشكلة إيصالها إلى الطلبة؛ لأنها أشياء بعيدة عن أنظارهم في محيطهم الجغرافي، فصار الطالب

والتهيئة للمناصب الإدارية ولا السياسية ولا الدبلوماسية، وقد أورثت هذه المشكلة عقدة نفسية في معنويات المهتمين بالعربية، فأمسوا يرجعون القهقري إلى الدراسات الغربية لمواكبة التحديات الوطنية والدولية المعاصرة؛ بغية تَبَوُّأ مكانة مرموقة في مراكز الحكومة ومؤسساتها.

وعلى الجانب الشعبي أصبح معظم الشعب مستتكفين عن الدراسة العربية إلا بقدر ما يؤدون به الواجب الديني، وكيف لا يضعف المستوى إذا كان المجتمع الذي يتولى شأن الطالب يرى أن العربية ليست دراسة مستقلة تنتهي بدارسيتها إلى تحقيق هدف الحياة في نظرهم، فكثير من الأسر لا ترى في إرسال أبنائها للتخصص في العربية مصلحة خاصة ولا عامّة، وعندما يأبى الطالب إلا التخصص في المجال العربي ينصرف عنه الممولون من العائلة؛ لأنهم يرون في ذلك إضاعة للوقت والمال والجهد، وليس من المنطق - في نظرهم - أن يستثمروا أموالهم فيما لا يعود عليهم بفائدة مالية ولا عائد مادي.

ولعلّ من الجدير بالذكر؛ أن المجتمع النيجيري ليس بيئة عربية يتمكّن الطالب فيها من ممارسة التخاطب والتحدث بالعربية، فالنطق بالعربية والكتابة بها مقصور على الفصول الدراسية، وليس للبيئة المحيطة بالطالب دور إيجابي أو إسهام ملموس في تطوير مهاراته اللغوية.

أضف إلى ذلك أن الوسائل الإعلامية، كالجرائد اليومية والصحف الأسبوعية والمجلات الشهرية والفصلية والدورية، قد جعلت الإنجليزية لغتها الخالدة، ولا تختلف في ذلك نشرات الإذاعات والأخبار، فغابت العربية في المجال الصحافي تماماً، ما عدا

قلة الإمكانية المادية، والتي تجعلها قاصرة في دفع المرتبات، وتحسين مستوى معيشة الأساتذة، وامتلاك الأدوات اللازمة والوسائل التعليمية الواجبة، فالمدارس التي تملك مكتبة عامة مثلاً في نيجيريا تعد بالأصابع؛ لذلك يكون اللقاء الأول بين الطالب والمكتبة عند التحاقه بالجامعة، وقد أدت هذه المشكلات والعقبات المادية أدواراً سلبية في زيادة ضعف مستوى الطلبة.

رابعاً: العائق الاجتماعي:

للمجتمع أدوار ملموسة في تكوين الأفراد، فإذا قصّر المجتمع في دوره فلا ريب في أنه سيرتك آثاراً سلبية في شعوبه وأفراده. وإنّ أول معضلة اجتماعية ساهمت في ضعف المستوى المعرفي لدى طلبة المدارس العربية هي النظرة الدونية وتدهور منزلة الدراسة الإسلامية والعربية في الدولة، فنيجيريا دولة علمانية لا تعترف باللغة العربية كثيراً؛ لذلك تراجع مستوى الاهتمام بها إلى المرتبة الثالثة من بين اللغات المقررة في مدارسها، على الرغم من كون العربية هي أول لغة أجنبية دخلت البلاد.

نرجو من الحكومة الاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية، وذلك بمساعدة مدارسها ومعاهدها مادياً ومعنوياً، واعتماد شهادتها ولو بشروط معقولة معينة

وامتداداً لهذه النظرة الجائرة أصبحت شهادات المدارس العربية غير معترف بها للقبول في الجامعات، وغير معتمدة للتوظيف



المجلات العلمية الفصليّة التي تصدرها أقسام اللغة العربية في بعض الجامعات والكليات، والتي لا يحظى معظم الطلبة في المدارس العربية الثانوية وما دونها بالوصول إليها والاستفادة من ثروتها المعلوماتية واللغوية، ولهذا كان دور الصحافة في تنمية المهارات اللغوية العربية مفقوداً في نيجيريا، بالرغم مما لهذا الدور من أهمية بالغة في التعليم والتربية، كما نبه إلى هذا التربيون منذ القديم، فعُدّوه من الوسائل المنقطعة النظر في المجال التربوي، حسبما يتجلى في كتب علم الاجتماع التربوي.

حلول مقترحة لإزالة تلك العوائق:

إن جميع ما مرّ ذكره من عوائق بحاجة ماسّة إلى محاولة عاجلة لإيجاد الحلول، لإيقاف تلك العقبات، وتفاذي استمرارها، و لرفع مستوى العملية التعليمية، والتأكد من تحقيق أهدافها التربوية.

وثمة اقتراحات وتوصيات لو عمل بها يُرجى أن تؤدي إلى القضاء على تلك العوائق، أو الحد من تأثيرها، وهي:

- إعادة النظر في تحديد الأهداف التربوية والتعليمية، مع محاولة إقناع الطلبة بأن الهدف الأساسي للتعليم الإسلامي هو الفهم الدقيق لمبادئ الدين وشرائعه، والتسلح بآليات لغوية ومعرفية لنشر الثقافة الإسلامية، والدعوة إلى التدين والقيم وتحسين السلوك.

وليعلم المعنيون بشأن التعليم أنه إذا ما تعارضت أهداف الدراسة الإسلامية مع ما يقرره الله سبحانه وتعالى؛ فإن التعليم - لا محالة - سيُتجه نحو الانحراف والانهيار والتدهور، فينعكس على سلوك المجتمع

مسجلاً آثاراً سلبية وخيمة.

- توجيه الهمم نحو تحصيل العلوم للمصالح العامة والخاصة، وأن لا يكون الهدف الجوهري للدراسة هو نيل الشهادات أو توزيعها فحسب.

- خلق أجواء دراسية مناسبة، عن طريق توفير آليات لازمة ووسائل تعليمية ضرورية، لتسيير عملية التعليم وفق المناهج المعاصرة، ولتسهيل الأداء لصالح الأساتذة، وتحسين مستوى التلقي والتحصيل للطلبة.

- إعادة النظر في المناهج، بتوجيهها نحو الأهداف المرسومة، وتصنيف المواد وفق المناهج، ويستحسن لتحقيق ذلك، تشكيل لجنة علمية لتوحيد المناهج التعليمية للمدارس العربية في نيجيريا، ورسم طريقة لضمان استمرارية أعمال اللجنة، ومتابعتها لبرامج التعليم، تفادياً للجمود وتوقف النشاط الذي يصيب اللجان التعليمية القديمة في المنطقة.

- تصنيف المقررات وتأليف مضايمها وفق محتويات المناهج الموضوعية حتى تناسب المضايمين أذواق الدارسين، وتقربهم من مجتمعهم المباشر أولاً قبل المجتمع الخارجي، ويجب عند التأليف مراعاة البساطة والسهولة، وإتاحة الفرصة للقواعد التربوية لتقوم بدورها التأصيلي في محتويات المقررات، ويتوقف ذلك على استشارة المتخصصين ذوي الخبرات المتميزة في المجالات التربوية بالجامعات والمعاهد، إضافة إلى مشاركة المديرين والمدرسين في عملية التأليف.

- تحسين أوضاع المدرّسين ومعايشهم، والاهتمام بشؤون حياتهم، نظراً لأنهم القواعد الأساسية والأعمدة الداعمة لقيام

قتل المهارات والمواهب الكامنة في بعض

المتفوقين.

- إنشاء المجلات العلمية، والصحف
الأسبوعية في حالة تعذر اليومية، والاهتمام
بالصحيفة الحائطية لكونها أقل تكلفةً وأسهل
قراءةً لعامة الطلبة.

- إنشاء مجلس امتحانات عمومية موحدة
لجميع المدارس بناءً على المناهج الموحدة
المرسومة، بحيث يشترك فيها جميع
الدارسين على اختلاف مدارسهم، وبهذا
تتمكن من إجراء عملية الجودة والتقييم
للبرامج الأكاديمية في كل المدارس، مما
يسهم في تحقيق اعتماد الشهادات العربية
على المستوى الحكومي الرسمي.

- إنشاء رابطة الآباء والمدرسين في كل
مدرسة لضمان التفاهم بين أولياء الطلبة
وإدارة المدرسة وأساتذتها، ولمعرفة أحوال
الطلبة في البيت والمدرسة.

- وأخيراً؛ نرجو من الحكومة الاهتمام
بالدراسات العربية الإسلامية، وذلك
بمساعدة مدارسها ومعاهدها مادياً ومعنوياً،
واعتماد شهادتها - ولو بشروط معقولة
معينة - لتحسين أحوالها وإحاقها بأخواتها
من المدارس الغربية.



العملية التعليمية.

- إيقاظ روح الأمانة وتحمل المسؤولية في
المدرسين، وذلك عن طريق تنظيم الندوات
والمؤتمرات وورشات العمل، لتوجيههم
وتكوينهم تكويناً تربوياً خاصاً يؤهلهم لمهنة
التعليم والتربية.

- القضاء النهائي على ظاهرة استغلال
الدارسين أو توظيفهم واستخدامهم خارج
البرامج الأكاديمية.

- تشجيع الدارسين على الكتابة والتحرير
باللغة العربية، وذلك بتنظيم مسابقات علمية
على جوائز رمزية، تنمي المواهب وتوقظ
الهمم وتبعث روح المجاهدة والمواظبة في
الطلبة، مثلما أدت المسابقات القرآنية أدواراً
كبيرة في تكثير الحفاظ بين الشباب في الآونة
الأخيرة، وقد يضاف إلى المسابقة إنشاء
برامج ثقافية مثل أسواق الأدب، وتكوين أسر
للكتابة والشعر، وتشكيل أصدقاء الصحافة
والتحرير، ومما يشجع على ذلك إصدار
مقالات الدارسين وأشعارهم ونتائجهم
الفكرية في صحف حائطية، أو نشرها في
صحف المدرسة بعد تعديل ما قد يرد فيها
من أخطاء.

- إنشاء مكتبة عامة في كل مدرسة لتثقيف
الطلبة وهيئة التدريس، وحث الدارسين على
تقديم البحوث الفردية والجماعية ليتدربوا
على الكتابة والنقد.

- إجراء مقابلة للمتقدمين بطلب التدريس
قبل توظيفهم للتأكد من امتلاكهم للمؤهلات
اللازمة للتدريس علمياً وسلوكياً.

- ترغيب الطلبة في مواصلة الدراسة
في المعاهد العليا والجامعات؛ لأن التوقف
في المرحلة الإعدادية أو الثانوية يورث ضيق
الأفق وادعاء العلم مع الجهل، كما يؤدي إلى



التعليم الإسلامي بشرق إفريقيا.. أوغندا نموذجا

د. آدم بمبا (*)

مقدمة:

فيها كان عبر التجارة البحرية، وهي تختلف - مثلاً - عن منطقة غرب إفريقيا التي كان المد الإسلامي فيها عن طريق التجارة البرية الصحراوية، والميزة في التجارة البحرية أن عملية التثاقف والاندماج فيها أسرع وأوسع؛ لأن المظاهر الثقافية تنقل - كما هي - من الضفة الأصل إلى الضفة الهدف دون يطرأ عليها عبر الرحلة البحرية تغيير ملاحظ، لأجل ذلك وجدت على امتداد سواحل إفريقيا الشرقية، من مقديشو شمالاً حتى سفالة (موزمبيق)، مراكز علمية في بُور حضارية مميزة لا تقل عن مثيلاتها في الضفة الأخرى في جزيرة العرب، عُرفت بممالك الزيلع الإسلامية أو ممالك الطراز الإسلامي^(٢).

(٤) اضطرابات اجتماعية عنيفة:

لقد مُني المسلمون في بلاد شرق إفريقيا باضطرابات سياسية أو اجتماعية عنيفة، أثرت مباشرة في النظام التعليمي الإسلامي لدى المسلمين، ففي زنجبار - مثلاً - تأثر التعليم الإسلامي في فترة (١٩٦٤ - ١٩٧٢م) بالظروف السياسية التي أصبحت زنجبار على إثرها جزءاً من (تنزانيا)، وهي الفترة التي شهدت إغلاق الكثير من المؤسسات التعليمية، والقنوات الفاعلة في المجتمع الإسلامي، وسيطرة الحكومة المركزية في «دار السلام» على القطاع التعليمي وغيره من مناشط الحياة.

كذلك الحال في أوغندا في عهد الاستعمار، حين وقعت حرب أهلية بين المسلمين والنصارى،

يراد بمنطقة «شرق إفريقيا» الجزء الواقع من القارة الإفريقية على سواحل المحيط الهندي، وجزيرة مدغشقر وجزر القمر، والجزر الصغيرة حوالها، وتمثل منطقة شرق إفريقيا الدول القطرية الحديثة التي يصل تعدادها إلى تسع عشرة دولة، لكن المراد بـ «شرق إفريقيا» عادةً - وفي هذا المقال - ثلاث دول فحسب، هي: كينيا، وتنزانيا، وأوغندا.

أولاً: القواسم المشتركة بين الدول الثلاث:

(١) وقوعها في منطقة التلاقح بين جزيرة

العرب وإفريقيا:

وقد ترسبت على هذا تأثيرات اجتماعية وتاريخية وثقافية مميزة، ففي هذه الدول الثلاث مجتمعة أكثر من (١٢٠) مليون نسمة، ونسبة المسلمين من هذا العدد أكثر من (٦٠٪)، أي ٧٠ مليون مسلم تقريباً، وفي زنجبار مثلاً ذات الحضور الإسلامي القوي تصل نسبة المسلمين إلى (٩٨٪).

(٢) اللغة السواحلية لغة مشتركة:

«السواحلية» لغة مشتركة بين دول شرق إفريقيا، بل تجاوزت تلك الدول إلى العمق الإفريقي في دول وسط القارة، وتلك ميزة لغوية غير موجودة في سائر مناطق إفريقيا.

(٣) مراكز إسلامية حضارية عريقة:

تتميز منطقة شرق إفريقيا بأن المد الإسلامي

(٢) عبدالحليم، رجب محمد: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، ١٩٨٥م، ص ٩.

(*) أكاديمي من ساحل العاج.

تشَتَّتْ شَمَلُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى إِثْرِهَا، وَمُنَى التَّعْلِيمِ
الإِسْلَامِيِّ فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ بِانْتِكَاسَةِ حَادَّةٍ.

التعليم الإسلامي بأوغندا يشهد ركوداً واضحاً عما كان عليه في الماضي

(٥) قُوَّةُ التَّحَدِّيِ الْكُنْسِيِّ:

على الرغم من السَّبقِ الإِسْلَامِيِّ الْمُبَكَّرِ إِلَى
مِنْطَقَةِ شَرْقِ إِفْرِيقِيَا، وَكُونَ الْمُسْلِمِينَ أَغْلَبِيَّةً
فِي مَعْظَمِ مَنَاطِقِهَا، فَإِنَّ الْمَسِيحِيَّةَ مَا بَرِحَتْ أَنْ
أَصْبَحَتْ قُوَّةً مُتَحَدِّيةً لِلوُجُودِ الإِسْلَامِيِّ فِي هَذِهِ
الْمِنْطَقَةِ، وَغَدَتْ مُتَحَكِّمَةً فِي الْأَكْثَرِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ فِي
مَعْظَمِ الْأَحْيَانِ، خُصُوصاً فِي شُؤُونِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ
وَالسِّيَاسَةِ، فَجُمْهُورِيَّةُ كِينِيَا - مِثْلاً - بِهَا مَقَرُّ
الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلْكِنَاثَسِ بِإِفْرِيقِيَا (AACC)، وَفِي
عَامِ ١٩٩٢م حِينَ انضَمَّتْ زَنْجِبَارُ إِلَى مَنظَمَةِ الْمُؤْتَمَرِ
الإِسْلَامِيِّ؛ اعْتَرَضَ عَلَيْهَا نَوَآبُ مَسِيحِيَّوْنَ فِي
الْبِرْلَمَانِ التَّنَزَانِيِّ بِحِجَّةِ أَنْ الدَّوْلَةَ لَيْسَتْ إِسْلَامِيَّةً،
وَأَنَّ هَذَا الْإِنْضِمَامَ يُشَكِّلُ خَرْقاً لِلْقَانُونِ الْوِطْنِيِّ،
فَرَدَّتْ زَنْجِبَارُ بِأَنَّ تَنْزَانِيَا لَهَا تَمَثِيلٌ دِيْپْلُومَاسِيٌّ مَعَ
الْفَاتِيكَانِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذِهِ الْحِجَّةِ الْبَالِغَةِ فَإِنَّ
زَنْجِبَارَ أَدْعَنْتْ لِلْقُوَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ، فَخَرَجَتْ مِنْ مَنظَمَةِ
الْمُؤْتَمَرِ الإِسْلَامِيِّ^(١).

(٦) بَرُوزُ الْمَوْسَسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ:

تَمَيَّزَ مِنْطَقَةُ شَرْقِ إِفْرِيقِيَا بِالتَّنَامِيِّ الْمَلَاظِ
لِلْمَوْسَسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ الْعَالِيَةِ بِهَا، مِنْ جَامِعَاتِ وَكَلِيَّاتِ
وَمَعَاهِدِ عَلِيَا، وَذَلِكَ مِنْذُ عَصْرِ الْإِنْفِتَاحِ فِي الْعَقْدِ
الْأَخِيرِ مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي، فَفِي زَنْجِبَارِ: الْمَعْهَدِ

Thomas Burgess and Ali Sultan Issa: Race. (١)
Revolution. and the Struggle for Human Rights
in Zanzibar. (Ohio University Press. 2009). p
.294

الإِسْلَامِيِّ (أُسِّسَ فِي ١٩٥١م)، كَلِيَّةُ التَّرْبِيَةِ الْجَامِعِيَّةِ،
وَهِيَ مِنْ إِنْشَاءِ لَجْنَةِ مُسْلِمِي إِفْرِيقِيَا (١٩٩٨م)، وَبِهَا
تَخْصُّصَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي الدَّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ وَاللُّغَةِ
العَرَبِيَّةِ، وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ، وَجَامِعَةُ الْأُمَّةِ
بِمِنْطَقَةِ «ثِيكََا» بِكِينِيَا، وَكَلِيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالدَّرَاسَاتِ
الإِسْلَامِيَّةِ أَيْضاً بِالمِنْطَقَةِ نَفْسِهَا (١٩٩٨م)^(٢)،
وَجَامِعَةُ الْمُسْتَقْبَلِ فِي شَمَالِ شَرْقِ كِينِيَا، وَجَامِعَةُ
رَافِ الْعَالَمِيَّةِ الْحَدِيثَةِ بِالعَاصِمَةِ، وَلَعَلَّ أَوْغَنْدَا
وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي لَا تَوْجَدُ بِهَا إِلَّا الْجَامِعَةُ الإِسْلَامِيَّةُ
(IUIU).

(٧) إِقْصَاءُ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ قُصُورِهِمْ، عَنِ

المشاركة في التَّربيةِ وَالسِّيَاسَةِ:

على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَمَثِّلُونَ أَغْلَبِيَّةً
فِي كِينِيَا وَتَنْزَانِيَا مِثْلاً؛ فَإِنَّ شُؤُونَ السِّيَاسَةِ
وَالإِدَارَةَ وَالتَّعْلِيمَ مَا زَالَتْ مَنفَلْتَةً مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَفِي
كِينِيَا - مِثْلاً (عَامِ ١٩٨٣م) - أَظْهَرَ تَقْرِيرٌ رَسْمِيٌّ
أَنَّ (٧٨٪) مِنَ الطُّلَبَةِ الْمُلْتَحِقِينَ بِالتَّانُوِيَّةِ مَسِيحِيَّوْنَ
كَاثُولِيكٍ، وَالبَقِيَّةُ مِنْ غَيْرِ الْمَسِيحِيِّينَ، وَفِي فِتْرَةِ
(١٩٨٦ - ١٩٩٠م)، أَكَّدَتْ إِحْصَاءَاتُ جَمْعِيَّةٍ مُسْلِمِيَّةٍ
جَامِعَةُ دَارِ السَّلَامِ أَنَّ تَعْدَادَ الطُّلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ
الْجَامِعَةِ لَا يَتْجَاوِزُ (٥٨٢) مِنْ مَجْمُوعِ (٤١٩١) مِنْ
غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ؛ أَي بِنِسْبَةِ (١٣٪) فَحَسَبِ، وَفِي
حَقِيقَةِ التَّسْعِينِيَّاتِ، كَانَتْ هُنَاكَ سِتُّ جَامِعَاتٍ بِكِينِيَا،
وَعِشْرَاتُ التَّانُوِيَّاتِ الْحُكُومِيَّةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ
مِنْهَا فِي مَنَاطِقِ السَّاحْلِ ذَاتِ الْأَغْلَبِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ^(٣).

هَذَا، وَلَا بَدَّ مِنْ الإِشَارَةِ هُنَا إِلَى بَعْضِ جُهُودِ
مُسْلِمِي شَرْقِ إِفْرِيقِيَا الْمُبَارَكَةِ، وَالَّذِينَ اقْتَنَعُوا مِنْذُ

(٢) بَامِيَا يُوْسُفُ مُحَمَّدٌ: التَّعْلِيمُ الإِسْلَامِيُّ وَقِضَايَاهُ الْمَعَاوِرَةُ فِي
إِفْرِيقِيَا، (الْخَرْطُومُ: مَرْكَزُ دَرَاثَاتِ الإِسْلَامِ وَالْعَالَمِ الْمَعَاوِرِ،
٢٠١٠م)، ص ١٢٠، ع: عَبْدُ الْمُنْعَمِ حَسَنُ الْمَلِكِ: تَحْلِيلُ الْبِيئَةِ
التَّعْلِيمِيَّةِ وَالتَّرْبِيَّةِ فِي شَرْقِ إِفْرِيقِيَا.. كِينِيَا نَمُودَجًا، الْخَرْطُومُ:
مَجْلَةُ الدَّرَاثَاتِ الإِفْرِيقِيَّةِ، ع ٤٢ - دِيْسَمْبَرُ ٢٠٠٩م، ص ٢١٥.

AbdulazizLodh: "Muslims in Eastern Africa: (٣)
Their Past and Present". Nordic Journal of
African Studies. 3 (1). 88 - 94. 1994. p 94



بحدود الشريعة الإسلامية، وقد ارتبط التعليم الإسلامي بهذا العهد المبكر؛ إذ شجع الملك تعليم العربية والقرآن في الكتاتيب التي نشأت بالمساجد في ربوع مملكة بوغندا^(١).

ولم يزعج هذا التماهي الطبيعي للإسلام وحركة التعليم إلا الحضور الاستعماري، والنشاط التصيري الذي رافقه عام ١٨٧٧م، وزج بشعب بوغندا في حرب دينية بين المسلمين والنصارى في العقد الأخير من القرن التاسع عشر؛ كانت الغلبة العسكرية فيها للنصارى، غير أن ذلك كان - في حقيقته - نصراً للإسلام؛ إذ تشتت المسلمون المهاجرون في أرجاء المملكة، وامتزجوا بقبايل نائية ما برحت أن أسلمت على أيديهم.

على سبيل المثال؛ فإن منطقة بوغويري (Bugweri) الشرفية، التي تعد الآن أكثر مناطق أوغندا إسلاماً (٧٠٪)، يرجع إسلامها إلى إسلام زعيمها القبلي مينهيا (Menhya)^(٢)، ومن أكثر المناطق ذات الحضور الإسلامي أيضاً؛ منطقة (Arua) في الشمال الغربي، و (Busaga) في الشرق، و (Ankole) في الغرب، وبوغندا في الوسط.

عليه؛ فإن هذا التوزيع الواسع للمسلمين على رقعة أوغندا قد وفر على الدعاة جهوداً دعوية مضيئة، وأفاد المسلمين اجتماعياً واستراتيجياً؛ بانضواء مختلف القبائل تحت مظلة الإسلام، بما في ذلك الزعامات القبلية التقليدية، كما أفادهم اقتصادياً حيث ظلت حركة التجارة في قبضة المسلمين تبعاً للتبادلات التجارية بين القبائل المذكورة في مختلف أرجاء أوغندا.

Reid Richard: "Images of African Ruler: (٢) Kabaka Mutesa of Buganda. ca 1857 - 1884". History in Africa. Vol. 26 (1999), p 269 - 298

Kiyimba. Abasi: "Islam in Uganda: A situational (٣) Report". Uganda Muslim Youth Assembly, 2005

فترة مبكرة بضرورة المزوجة بين العلوم الشرعية والعلوم العصرية في المدارس الإسلامية، وتعد تجربة الشيخ الأمين المزروعي (١٨٩٩ - ١٩٤٩م) بهذا الصدد من بواكير التجارب الناجحة بكينيا في التوفيق بين المنهجين التعليميين: العلوم الشرعية واللغة العربية والتاريخ والرياضيات وغيرها، وقد امتدت تجربة المزروعي إلى مدارس أخرى بكينيا، منها: مدرسة الشيخ محمد عبد الله الغزالي، ومدرسة الشيخ عبد الله الحسني، ومدرسة الفلاح في ممباسا^(١).

تلك قواسم مشتركة نحسبها كافية لتكوين مواقف ووضع أطر عامة عن التعليم الإسلامي في كينيا، وتزانيا، وأوغندا، وما يصدق على دولة من الدول الثلاث يصدق معظمه في واقع الدول الأخرى في منطقة شرق إفريقيا.

وسوف نخص الحديث في الفقرات الآتية بأوغندا؛ ليكون ذلك نموذجاً عن التعليم الإسلامي بمنطقة شرق إفريقيا في إطاره العام.

ثانياً: الإسلام والتعليم بأوغندا:

يرجع المد الإسلامي بأوغندا إلى حركة التجارة بين السكان المحليين والتجار السواحليين والعرب الذي توغلوا في مناطق أكولي ولانغو، وغيرهما من المناطق الشمالية بأوغندا الحديثة.

أما المد الفعلي للإسلام فكان من مملكة بوغندا (بالباء) بوسط البلاد، في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وخصوصاً في عهد الكاباكا (الملك) موتيسا (ت ١٨٨٤م)، الذي أسلم على يد التاجر الداعية الشيخ خميس بن عبد الله، وقرب التجار المسلمين، وأوكل إليهم وظائف إدارية مهمة، وزاد ذلك بتعلمه مبادئ العربية، وبت ترجمة أجزاء من القرآن الكريم إلى لغة البوغندا، والالتزام الصارم

(١) تحليل البيئة التعليمية والتربوية في شرق إفريقيا، مرجع سابق.

وعلى الرغم من الحملة التّصويريّة الشّرسة التي أعقبت هزيمة المسلمين العسكريّة، بالطمس القسريّ للهويّة الإسلاميّة، وإجبار المسلمين على تغيير أسمائهم، والالتحاق بمدارس الإرساليّات الكنسيّة، فإنّ الجيل الأوّل من المتّقين المسلمين ثقافةً غربيّةً مسيحيّةً؛ قد استطاعوا أن يقاوموا هذا الطمس والتّديج، وعلى أيدي أولئك الفيورين كانت إعادة الصّفوف، وتأسيس جمعيّة مسلمي أوغندا للتّعليم (Uganda Muslim Education Association: UMEA)، وهي حجر الزّاوية لحركة التّعليم الإسلاميّ بأوغندا الحديثة.

أ - بدايات التّعليم الإسلاميّ الحديث بأوغندا:

تعود بدايات «التّعليم النظامي» الفعليّة إلى العقد الأوّل من القرن العشرين، وذلك بعد أن وضعت الحرب الدّينيّة بين المسلمين والنّصارى أوزارها (١٨٨٥ - ١٨٩٩م)، إذ ظهر التّعليم الإسلاميّ النظاميّ بأوغندا إلى جانب التّعليم التّقليديّ المعهود في الكتاتيب،

وعلى الرغم من هزيمة المسلمين في ساحة الحرب، والحملة الشّرسة التي انتهجها المستعمر ضدّ المسلمين، وحظر التّعليم الإسلاميّ، وإلغاء اللّغة السّواحلية ذات العلاقة العضويّة بالإسلام^(١)، واحتكار الإرساليّات المسيحيّة للنشاط التّعليميّ، والعراقيل الكثيرة في وجه المسلمين الرّاغبين في فتح مدارس، فإنّ بداية التّعليم الإسلاميّ النظامي المتمثّل في «المدارس» كانت بداية واعية قويّة على مستوى التّحديّ القائم، وتعني القوّة هنا «التّوعيّة»، وحدّة الشّعور بالتّحدّيّ، حيث صابر المسلمون الرّاغبون في فتح مدارس وصمّموا في العمل، واضطّرتّ القوّة الاستعماريّة للاعتراف بثماني

عشرة مدرسة في عام ١٩٣٥م.

بعد حوالي عقد من الزّمن (١٩٤٤م)؛ تم تأسيس الجمعية التّعليميّة لمسلمي أوغندا (UMEA)^(٢) على يد الرّواد الأوائل من المسلمين، وجاء في قمّة أهدافها: «العمل من أجل التّناغم بين التّعليم الإسلاميّ وبين نظام التّعليم اللاديني»؛ ممّا يدل على قوة شعور المسلمين بهذا الإشكال الجوهريّ في واقع التّربية والتّعليم في أوساط الشّعوب المسلمة. وقامت هذه الجمعيّة بمهامّ متعدّدة، مثل تحديث المناهج، ووضع مقرّرات، والإشراف على المدارس الحديثة، ونجحت في الخمسينيّات والسّتينيّات من فتح (١٨٠) مدرسة ابتدائيّة، و (١٨) مدرسة ثانويّة، ومعهد لتدريب المعلّمين في عام ١٩٥٤م، وتلك إنجازاتٌ لا يُستهان بها إذا ما قورن الواقع الأوغنديّ بواقع دُول إفريقيا جنوب الصّحراء، خصوصاً في غرب إفريقيا التي لم تشهد قيام هيكل تربويّ مماثل لجمعيّة (UMEA) إلا في التسعينيّات من القرن الماضي.

في الوقت الحاضر؛ تبلغ نسبة المدارس الإسلاميّة التابعة لهذه الجمعيّة وتحظى بالدّعم الفسيّ والماديّ منها (٧٥٪) من مجموع المدارس بأوغندا، وقد بلغ تعداد تلك المدارس عام ٢٠٠٧م، ٣٥٠٠ مدرسة ابتدائيّة، و ٢٠٠ مدرسة ثانويّة، وأربع معاهد لتدريب المعلّمين، وخمس مدارس تقنيّة^(٣).

ومن الهيئات المنبثقة عن الجمعيّة التّعليميّة لمسلمي أوغندا (UMEA) اتّحاد معلمي أوغندا المسلمين Uganda Muslim Teacher's Association، ومن أهمّ أهداف هذا الاتّحاد: دعم المدارس والمعلّمين مادياً ومهنيّاً، وإعداد الكتب المدرسيّة لمختلف المواد الدّراسيّة الإسلاميّة،

(٢) Lapidus, Ira Marvin: A History of Islamic Societies. (Cambridge University Press), p 778

(٣) USAID, p 35

(١) Moulton, Jeanne: Madrasah Education: what Creative Associates has learned. (Washington, 2008), p 33



عشر مدارس ثانوية بأوغندا لعام ٢٠١١م^(٤)، تبين فيه أن مدرسة كيولي (Kibuli Secondary School) بالعاصمة كامبالا، وهي مدرسة ثانوية إسلامية، تحتل المرتبة العاشرة في هذا التصنيف، وتلك مفخرة للمسلمين غير أن وجودها في المرتبة الأخيرة يثير قلق المهتمين بالشأن الإسلامي في أوغندا، خصوصاً أن هذه المدرسة من بواكير المدارس في الدولة؛ إذ أسست في عام ١٩٤٥م برعاية مباشرة من الأمير بدر كاكوغولو، وكانت مدرسة الصفوة أبناء الأُمراء آنذاك.

بالإضافة إلى ذلك؛ فإن عهد الرئيس المسلم عيدي أمين (١٩٧١ - ١٩٧٩م) كان العهد الذهبي للإسلام والمسلمين في الدعم الحكومي للتعليم الإسلامي والعمل الدعوي، فكان من المنتظر أن تكون النتائج والمخرجات على مستوى هذا الدعم. ومن مؤشرات التدني المستمر، في التعليم الإسلامي بشكل عام بأوغندا، تزايد نسب الرسوب في الامتحانات الوطنية العامة التي تجريها هيئة الامتحانات للمدارس الإسلامية^(٥) نهاية كل عام دراسي، ويتم على إثرها توزيع الناجحين في الثانويات الوطنية، ففي عام ٢٠١١م - مثلاً - زاد عدد الراسبين في هذا الامتحان عن العام قبله بمجموع (٤٢٩)، وفي العام الحالي ٢٠١٢م رسب (٧٠٠) طالب من مجموع (٢٢٨٠) ممتحناً، وقد أكد الشيخ يحيى لوكواغو (رئيس جمعية المدارس القرآنية بأوغندا) أن هذا التدني في نسب النجاح مطرد كل عام، ومطرد في المواد الدراسية كافة^(٦).

وفي ظل عدم توفر معلومات دقيقة عن واقع التعليم فيما قبل الجامعة بأوغندا؛ فإننا نعتمد على هذه

وتوحيد المقررات بين جميع المدارس بالدولة، إلى جانب الارتقاء بالمستوى الوظيفي للمعلمين^(١).

ب - واقع التعليم الإسلامي بأوغندا:

لم تتوفر بأيدينا تقارير ترصد سيرورة التعليم الإسلامي بأوغندا وتطوره بدقة^(٢)، ولكن بالنظر في الواقع الراهن لهذا التعليم ومواقف المشتغلين به منه؛ يتبين أن التعليم الإسلامي بأوغندا يشهد ركوداً واضحاً عما كان عليه في الماضي، ويمكن إرجاع هذا التردّي في واقع التعليم الإسلامي بأوغندا إلى حالة عامة من الركود التعليمي في إفريقيا - على الأقل -، ومتغيرات متشابهة قد تخرج عن نطاق التعليم نفسه.

الظهور المكثف للجامعات الكنسية بأوغندا وفي شرق إفريقيا لا يمكن الاستهانة به أو تجاهله في حقل العمل الإسلامي

وما يثير قلق المشتغلين بالتعليم الأوغندي هو سرعة هذا التردّي وأطراده عاماً بعد آخر، وقد أكد تقرير الجامعة الإسلامية بأوغندا هذا الوضع، حيث جاء فيه أن الجامعة حالياً تجري دراسة شاملة حول التعليم الإسلامي في أوغندا الذي بدأ يتدهور بشكل مستمر^(٣).

في هذا السياق؛ فإن بين أيدينا تصنيفاً لأفضل

(١) USAID, p ٣٥

(٢) أقامت منظمة إيسكو ومنظمة الجامعات الإسلامية مؤتمراً بعنوان: المؤتمر الإقليمي الأول حول التعليم الإسلامي في يوغندا، في يوليو ٢٠١٠م، ولكننا لم نعثر على شيء من أوراق هذا المؤتمر، وإنما وجدنا خبراً مختصراً في موقع إيسكو: <http://www.isesco.org.ma/arabe/news/news.php?id=2271> تم التصفح بتاريخ: ٢٠١٢/٣/١٧.

(٣) تقرير الجامعة الإسلامية بأوغندا، ص ٦.

(٤) www.ServeAfrica.info . accessed on 14 March 2012

(٥) Islamic Primary Leaving Examination Board. .IPLE

(٦) Al-Mahdi Senkabirwa: "Hundreds fail Islamic Exam". Daily Monitor, January 18, 2012

الظاهرة لتأكيد أنها كافية لإطلاق ناقوس الخطر لواقع التعليم الإسلامي بأوغندا، خصوصاً أن المشتغلين بالتربية والتعليم في هذا البلد يؤكدون هذا الوضع.

مؤشراً آخر يدعونا لوضع علامات استفهام - وتعجب كذلك - حول مستوى التعليم الإسلامي بأوغندا، وذلك إذا جاز لنا اعتبار اللغة العربية مجسماً لنبض هذا التعليم هبوطاً وارتفاعاً، ونحسب أنها كذلك، فحين قراءة كل سطر في تقرير بين أيدينا الآن للجامعة الإسلامية بأوغندا^(١) لا نملك إلا الأسى على العربية، وذلك لإيماننا أن الجامعة الإسلامية تمثل قمة ما انتهى إليه التعليم الإسلامي بأوغندا، وأن كل ما يصدر عن رئاستها - على وجه الخصوص - من تقارير رسمية ينبغي له أن يبلغ مستوى مثالياً من السلامة اللغوية^(٢).

ج - التعليم العالي بأوغندا وموقع التعليم الإسلامي فيه:

لا تختلف ظروف التعليم العالي في أوغندا

(١) هو تقرير الجامعة الإسلامية في أوغندا إلى الجلسة الرابعة عشرة للجمعية العامة للكمونستيك المنعقد في إسلام آباد، ١١ - ١٢ يناير ٢٠١١م، وهو موجود بموقع الجامعة الرسمي: www.iuiu.ac.ug، تمت معانيته بتاريخ ١٤ مارس ٢٠١٢م.

(٢) ورد في التقرير ما يأتي:
«١.٣ وضع المؤلفين: أثناء سنة دراسية ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ الجامعة كان عندها ٧٢ إداري كبار، و ٩٧ موظف مساندون» (ص ٣).
«٢.٥.٣ إسكان الموظفين: هي من مصلحة الجامعة أن يسكن موظفوها في الحرم الجامعي لانخفاض النفقات السكنية والحفاظ على الأخطار في استقرار الموظفين خارج الحرم الجامعي حيث أن في السنة الماضية اثنين من منسوبنا (طالب واحد من عمال المقاولين العرب) عانا بضربات بالمجرمين والإصابات الحرجة وتوفي الطالب، وعامل المقاولين العرب حالياً» (ص ٧).
«نحتاج إلى ١٠٠٠٠٠ دولار لهذا البناء، وإذا فشل البناء هناك خطر لخسران مركز الشرطة الذي يزيد عدم أمان على المزرعة» (ص ١٣).

ويغلب الظن أن هذا التقرير الرسمي المكوّن من تسع وعشرين صفحة قد وُضع بالإنجليزية، ثم تُرجم ترجمة آلية إلكترونية مع مراجعة عابرة فأين الجديدة؟ وأين كلية اللغة العربية وآدابها التي افتتحت بها الجامعة؟ وهل نلأم إذا حكمنا على التعليم الإسلامي انطلاقاً من هذا التقرير؟ فاللغة العربية وعاءٌ للتعليم الإسلامي، ولا شك أن أي انحطاط يطرأ على المستوى الكفائي أو الأدائي لهذه اللغة لدى المشتغل بالتعليم الإسلامي؛ فإنه نذير انحطاط وتردّد في مستوى هذا التعليم.

عن مثيلاتها من دول إفريقيا المستعمرة، من حيث النشأة والتطور، ولعل أبرز صبغة تمثل قاسماً مشتركاً بين دول إفريقيا جنوب الصحراء كافة، هي ندرة المؤسسات التعليمية العليا؛ إذ لم تكن توجد بكل دولة إفريقية على حدة أكثر من جامعة، بل إن بعض الدول لم توجد بها جامعة إلا في حقبة التسعينيات من القرن الماضي أو بعدها.

وهذه الندرة في عدد المؤسسات التعليمية العالية بدول إفريقيا ظاهرة منبثقة - في الحقيقة - عن الظرف الاستعماري، والذي حرص كل الحرص على أن يختزل الشأن الإفريقي كله في اتجاه أحادي ينطلق من المستعمر وإليه يعود.

على سبيل المثال؛ فإن أول جامعة بأوغندا، جامعة ماكيريري، قد أسست منذ عام ١٩٢٢م، ولم تشهد هذه الدولة ولادة مؤسسة تعليمية عالية أخرى إلا في عام ١٩٨٨م، أي بعد ست وستين سنة، ومن الصعب في المجال التربوي المرور على مثل هذه الظاهرة مرور كرام؛ لأننا بإزاء أجيال متعاقبة في سبعة عقود، ذات أحادية فكرية وثقافية في مؤسسة هي من وضع المستعمر وتشكيله، كما يعني حرمان شريحة كبيرة من هذه الأجيال من التعليم الجامعي طيلة هذه العقود؛ إذ إن جامعة منفردة لا تقدر على مواجهة الازدياد السكاني، واستيعاب الشباب على هذا المدى الطويل.

د - تطور التعليم الإسلامي بأوغندا:

ومن أهم الظواهر التي يجدر تسجيلها حول الحقبة الجديدة لتطور التعليم الجامعي بأوغندا، أي بعد انحسار الفترة الأحادية والانفتاح النسبي في المجال التربوي وغيره من المجالات، الظواهر الآتية:

(١) سرعة الازدياد الكمي للمؤسسات التعليمية العالية:

فمنذ عام ١٩٨٨م حتى عام ٢٠١٠م بلغ تعداد الجامعات الأوغندية ثلاثين جامعة، أي بمعدل



Advantists)، بل إنَّ الكنيسة الواحدة قد تكون لها أكثر من جامعة، وتلك حال الكنيسة البروتستانتية الأنجليكانية، فلها أربع جامعات، هي^(١):

١ - جامعة أوغندا المسيحية (The Uganda Christian University Mukono).

٢ - جامعة أنديجي (Ndejje University).

٣ - جامعة بوغندا الوسطى (Central Buganda University).

٤ - جامعة بوسوغا (Busoga University).

وللكنيسة الكاثوليكية الرومانية جامعتان، هما: جامعة أنكوزي Uganda Martyr University، وجامعة كيسوبي Nkozi Brothers University College.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ظاهرة كثرة الجامعات المسيحية ظاهرة عامة في إفريقيا، وقد أحصينا في إحدى المواقع الإلكترونية منها (٦٧) جامعةً بإفريقيا جنوب الصحراء منذ عام ٢٠٠٨م، منها ست جامعات في كينيا، وأربع جامعات في تنزانيا^(٢)، ولا يمكن الاستهانة بهذا الظهور المكثف للجامعات الكنسية بأوغندا وفي شرق إفريقيا أو تجاهله في حقل العمل الإسلامي.

ولا بد هنا من طرح سؤالٍ جوهريٍّ: ترى ما موقع التعليم الإسلامي، أو - بالأحرى - ما موقع الجامعة الإسلامية في هذه الرقعة التعليمية بأوغندا؟ وللإجابة عن هذا السؤال، مع شح المصادر والوثائق المعتمدة، لا نملك إلا الاستئناس ببعض الإحصاءات على الشبكة العالمية عن تصنيف الجامعات

(١،٣٦) جامعة جديدة في كلِّ عام، وتتراوح تلك الجامعات بين: عموميَّة، وخاصَّة أهليَّة، وجامعات تجاريَّة ربحيَّة، وجامعات متخصصَّة، وتلك حالةً عامَّة في العالم، وفي شرق إفريقيا خاصَّة، ففي تنزانيا مثلاً، ارتفعت نسبة الجامعات الأهلية في الفترة (٢٠٠٢ - ٢٠٠٧م) بنسبة (١٤٣٪)، وازداد معدَّل التَّسجيل فيها بنسبة (٥٠٠٪)^(١).

من معوّقات التَّعليم الإسلامي بشرق إفريقيا، بل في إفريقيا عامَّة، عدم التنسيق بين المشتغلين بهذا العمل فيما بينهم

(٢) السَّبَق الإسلامي في التَّعليم العالي:
لقد حاز المسلمون قصب السَّبِق في فترة الانفتاح في التَّعليم العالي بأوغندا، وذلك بإنشاء الجامعة الإسلاميَّة بأوغندا عام ١٩٨٨م، بتمويل من منظِّمة المؤتمَر الإسلاميِّ، ولا شكَّ أنَّ ذلك إنجازٌ تاريخيٌّ للإسلام وللمسلمين بهذا البلد، وقد ورد في تقرير الجامعة لعام ٢٠١١م أنَّ بها (٥٧١٩) طالباً من الأوغنديين، و (٥٦٣) من دول أخرى هي: تنزانيا، وكينيا، وملاوي، والصومال، والسودان، وجزر القمر، ومصر، وإيران.

(٣) تنامي الجامعات المسيحية:
مما يثير اهتمام راصد واقع التَّعليم العالي بأوغندا كثرة الجامعات المسيحية؛ إذ بلغ تعدادها في عام ٢٠١٠م إحدى عشرة جامعةً، متوزَّعة على مختلف الإرساليَّات والفِرَق الكنسيَّة، مثل الكاثوليكية، والبروتستانت، وكنيسة السَّبتيين (The Seventh

(٢) Muwagga, Anthony Mugagga. "Reflections on the Philosophy behind the different universities in Uganda". Educational Research. Vol 2 (1). p.736 - 744. 2011.

(٣) <http://www.lapche.org/research.htm> . accessed (٣) on: 18 March 2012

(١) The World Bank Publications. The Evolving Regulatory Context for Private Education in Emerging Economies. p 7

الأوغندية من حيث جودتها^(١).

تبيّن الإحصاءات أنّ الجامعة الإسلامية بأوغندا تحتلُّ مركزاً جيداً في هذا التصنيف؛ ممّا يمكن الاتّكاء عليه، ودعمه حتى تتصدّر هذه الجامعة قائمة الجامعات الأوغندية، أو بتعبير التقرير الرّسمي للجامعة: «قرّر مجلس الجامعة اتخاذ خطوات لازمة لتحويل الجامعة إلى ٢٠ جامعة متقدمة في إفريقيا»^(٢) (١).

وأدناه التصنيف المذكور:

محلّي	المؤسسة	تصنيف عالمي
١	Makerer University	١٦٢٩
٢	Ugand Christian University Mukono	٦٧٩٩
٣	Kyambogo University	٧٣١٥
٤	.Mbara Univ. of Science & Tech	٧٥٥٨
٥	.Mountain of the moon Unv	٧٧٥٦
٦	.Busitema Univ	٧٨٠٩
٧	Islamic University in Uganda	٧٨٤٧

فالجامعة الإسلامية بأوغندا تحتلُّ المرتبة السابعة من بين أربع وعشرين جامعة وطنية هناك، لكنّ نظرةً أخرى على خانة الترتيب العالمي للجامعة الإسلامية لا تعطي صورة مشجّعة لموقع هذه الجامعة عالمياً ومحلياً؛ فمؤشّر التباين عالٍ جداً بين هذه الجامعة وسوابقها من الجامعات القائمة، والدّرجات الفارقة بين الجامعة الإسلامية والجامعات السّت الأولى على النّحو الآتي:

الجامعات السّت	١	٢	٣	٤	٥	٦
الجامعة الإسلامية	٦٢١٨	١٠٤٨	٥٣٢	٢٨٩	٩١	٢٨

بناءً على هذه المؤشّرات المقلقة لحال التّعليم الإسلاميّ بجميع مراحلها بأوغندا؛ فإنّ الحاجة ماسّة للعمل من أجل الارتفاع بالتّعليم في هذا البلد، فالتّعليم الإسلاميّ بأوغندا يستند إلى بنية تحتية تاريخية عريقة، وإلى خبرة عملية جيّدة، وتنظيم مبكر نسبياً لمؤسّساته، ولكن هذا الوضع يشهد الآن فترة انحدار وضعف نتيجة لتأثيرات وتحديات كثيرة، بعضها خارجة عن نطاق العمل التربويّ وسيطرته، وهو ما نستعرضه في الفقرات التالية.

ثالثاً: تحديات التّعليم الإسلاميّ بأوغندا:

هذه جملةٌ من التّحديات المستخلصة عن التّعليم الإسلاميّ بأوغندا؛ انطلاقاً من الملامح العامّة المعروضة عن التّعليم الإسلاميّ بها وبأخواتها من دول شرق إفريقيا^(٣).

(١) تشتت ديموغرافي للمسلمين:

نتيجة لظروف المد الإسلاميّ بأوغندا وموقعها الجغرافيّ، وتبعاً للهجرات القسريّة التي خضع لها المسلمون بعد هزيمتهم في وجه النصارى، فإن المسلمين لهم وجودٌ واضح في أرجاء أوغندا كافّة: في (Eganza)، وفي (Jinja)، و (Kamule)، و (Mpigi)، و (Arua)، وفي العاصمة كامبالا.

وهذا التّوزيع السّكانيّ للمسلمين، وإن كانت له إيجابياتّه، فإنّه يمثّل تحدياً كبيراً لهم في الحقل الإداريّ والتربويّ التّعليمي، خصوصاً في ظلّ شحّ وسائل النّقل والاتصال.

(٢) التّدريس باللغات المحليّة:

ومردُّ تلك الظاهرة الحظر الاستعماريّ الأوّل للغة السواحلية في التّعليم منذ بدايات القرن العشرين، ومن أهم اللغات في التّدريس على حسب

(٣) يوجد مقال منشور عن مشكلات التّعليم الإسلاميّ بأوغندا، ولكننا لم نتمكن من الحصول عليه، وهو: KiyimbaAbasi. 'The Problems of Muslim Education in Uganda: some Reflections', Journal of the Institute of Muslim Minority Affairs. 7 (1). 1986

(١) www.onlineMBA.unc.edu . Accessed on: 12 March 2012

(٢) انظر: التقرير الرّسمي للجامعة، ص ٢٩.



هذا الظرف غير الخصب لنماء تربية إسلامية.

(٥) تقليص نطاق التعليم الإسلامي مقابل

الدعم الحكومي:

تحظى بعض المدارس الأهلية بدعم من الحكومة الأوغندية؛ بشرط أن تتبنى المنهج التعليمي الحكومي الذي يدرج التعليم الإسلامي كمادة فقط ضمن المقررات الأخرى، وفي نهاية العام الدراسي يؤدي تلاميذ تلك المدارس امتحانات الحكومة، ويُمنح خريجوها أيضاً شهادات حكومية.

في الواقع؛ فإن هذا «الدعم» لا يُعد شيئاً ذا بال بمقابل ما تُضحي به تلك المدارس من أهداف للتعليم الإسلامي، فمن المحال أن تحقق مادة يتيمة، لا يتعدى محتواها العموميّات، أهداف منظومة متشابكة من المقررات والأنشطة والاستراتيجيات التعليمية المتوحّاة في المنهج التربوي الإسلامي.

رابعاً: التحديات والمعوقات المشتركة:

من التحديات والمعوقات التي نحسبها مشتركة بين دول شرق إفريقيا أو بين دول إفريقيا عامة:

(١) إشكال المنهج في المدارس المزدوجة

(Integrated Schools):

من التحديات التي تواجه التعليم الإسلامي بشرق إفريقيا، ومعظم دول إفريقيا، عجز المسؤولين التربويين عن تخطيط منهج تعليمي جيد بإزاء المقرر الحكومي الذي ينبغي الأخذ به كاملاً.

وفي بعض الحالات تصل المواد الحكومية إلى العشرين، فتعجز المدرسة الإسلامية عن الدمج الذكي بين المواد الشرعية المتعددة في بضع مقررات مركزة؛ فتتواء كواهل الدارسين بالمواد الدراسية، فلا يملك الجادون منهم في أحسن الحالات إلا التضحية بأحد المنهجين للآخر.

المناطق: لغة لوغندا، ولوغبارا، ولغة ماردي، وكاكوأ. ويكمن الإشكال في استخدام هذه اللغات بوصفها لغة التعليم والتواصل في التعليم الإسلامي، مما يُقلل من فرص احتكاك الدارسين بالعربية، ويحوّل مضمون المقرر وطريقة التدريس إلى ترجمة بحثة ينخرط فيها المعلم مع الدارس بقصد منه أم بغير قصد.

(٢) التعليم في الظروف الحرجة:

يمثل تدني المستوى الأمني تحدياً آخر كبيراً للتعليم الإسلامي بأوغندا، بل لمناشط الحياة كافة، ففي شمالي البلاد تحديداً، مجموعات مسلمة غير قليلة، ومدارس كثيرة واقعة في «المناطق الحمراء» التي تمثل ساحات الحرب والمواجهة بين القوات الحكومية وميليشيات «جماعة الرب» المسيحية (LRA)، ويعني ذلك انعدام أي نوع من الرعاية لتلك المجموعات والمدارس، وأن مهام المدرسة في تلك المناطق تتعدى حدود التربية والتعليم المعهودة إلى الحفاظ على الأطفال من الوقوع فريسة للتجنيد القسري في صفوف الفرق المتقاتلة.

(٤) الإدارة غير المسلمة للمدارس الإسلامية:

تبعاً للدعم الحكومي لبعض المدارس الحكومية؛ فإن الحكومة تعين للتدريس بها معلمين من غير المسلمين، كما تُسند إدارتها إلى مدير وإدارة غير مسلمة، وتحوّل إليها أعداداً من التلاميذ غير المسلمين، وربما يكون عدد المعلمين من غير المسلمين أكثر من المعلمين المسلمين بالمدرسة.

والإشكال في هذا المقام واضح؛ فالمعلم هو ابن عقيدته وثقافته ومنشئه، ويبدو الإشكال أعمق كما يذكر الباحث «كييمبا» في تفوق عدد التلاميذ غير المسلمين على المسلمين في بعض المدارس الواقعة في التجمعات ذات الأغلبية المسلمة^(١)، ولا شك أن التعليم الإسلامي لا يمكنه تحقيق أهدافه في مثل

(١) Kiyimba. Abasi. Op. cit., p 6.

التَّعليم الإسلاميُّ بشرق إفريقيا، على الرغم مما يعتريه من عوارض الضَّعف والوهن، ما زال يحتوي على الكثير من المناعة ودواعي النهوض

هذا، وفي كينيا خصوصاً، نماذج جيِّدة من المدارس المزدوجة التي نجحت في التوفيق بين المنهجين، وحقَّق طلابها نجاحاً قياسيًّا في الاختبارات الحكوميَّة، مما شجَّع بعض غير المسلمين على إلحاق أطفالهم بتلك المدارس^(١).

(٢) التَّنفيذ من اللغة العربيَّة والتَّعليم الإسلامي

بسبب ضعف مستوى المعلمين:

لقد خطت بلاد شرق إفريقيا وحكوماتها خطوة مشكورة في إدخال اللغة العربيَّة والعلوم الإسلاميَّة في التَّعليم الثانويِّ والجامعيِّ رسميًّا، وأسند التَّدريس في جميع الحالات إلى المسلمين.

لكن ذلك لم يحدث تطوُّراً إيجابياً في حال اللغة العربيَّة والدِّراسات الإسلاميَّة، وذلك بسبب الضَّعف الملموس في معلِّمي اللغة العربيَّة، مقارنة بمعلِّمي المواد الأخرى في الجانب المهنيِّ، وانتهاجهم وسائل تعليميَّة تنفِّر من اللغة والعلوم الشَّرعيَّة، حتى إنَّ بعض الطلبة المسلمين في كينيا مثلاً، يفضِّلون الجلوس في امتحانات مادة التَّربية المسيحيَّة: «لكونها مكتوبةً بالإنجليزيَّة التي يفهمونها، ولصعوبة مناهج تعليم التَّربية الإسلاميَّة؛ ولضعف القائمين على تدريس العربيَّة وتدريس العلوم الإسلاميَّة»^(٢).

(٣) ارتباط تعلُّم اللُّغة العربيَّة بسوق العمل الضَّيِّقة:

تتفرد بلاد شرق إفريقيا (كينيا خاصَّة) بظاهرة ارتباط تعلُّم اللغة العربيَّة بسوق العمالة إلى بلاد الخليج، ويستوي في تعلمها المسلمون وغيرهم^(٣)، وإذا ما انتشر هذا الوضع فإنَّه يوشك أن يحطَّ بمستوى التَّعليم الإسلاميِّ العربيِّ إلى نطاق ضيق، لا يتجاوز الرِّج بمفردات وتعبيرات ركيكة إلى الدَّخيرة اللغويَّة للدَّارسين، وتغليب العماليات على الفصيح تبعاً لطبيعة الأسواق المستهدفة.

(٤) تشتَّت الجهود التَّعليميَّة والدَّعويَّة:

من معوِّقات التَّعليم الإسلاميِّ بشرق إفريقيا، بل في إفريقيا عامَّة، عدم التَّسيق بين المشغولين بهذا العمل فيما بينهم، وينتج عن ذلك تشتت الجهود، وهدر الإمكانيات، وتكرار التَّجارب، حيث لا يوجد تسيق بين الجمعيات الخيريَّة المعنية بالشَّأن الإسلاميِّ في الدُّول الإفريقيَّة خاصَّة، فكلُّ منظمَّة برامجها ومشروعاتها في المجال التَّعليميِّ أو غيره من المجالات، دون اعتبار لوجود المنظمَّات الإسلاميَّة الأخرى التي لا تختلف عنها في الأهداف والرُّوى.

وبهذا الصِّد؛ يمكن التَّسيق بين كبريات الهيئات الوطنيَّة المعنية بشؤون التَّعليم الإسلاميِّ في كلِّ بلد في شرق إفريقيا، مثل: جمعية مسلمي كينيا للرعاية، Kenya Muslim Welfare Society، وجمعية المسلمين للتربية والرَّعاية KMWS ١٩٧٣، وجمعية مسلمي أوغندا للتعليم (UMEA). ١٩٩٥.

(٥) ضعف المشاركة في المشروعات الاجتماعيَّة:

من الأخطاء التي ما زالت المؤسسات التَّعليميَّة

(١) www.al-forqan.net/articles/print-1842.html

(٢) امبورالي كامي مادي: البيئة التَّعليميَّة والتربويَّة في شرق إفريقيا: كينيا نموذجاً، مجلة دراسات إفريقيَّة، ع٤، مركز الدراسات الإسلاميَّة بجامعة إفريقيا العالميَّة، الخرطوم، ٢٠٠٦م.

(٣) مدير معهد اللغة السواحيليَّة، تطور التَّعليم الإسلاميِّ في زنجبار: دور المنظمَّات الإسلاميَّة غير المحليَّة في إحياء التَّعليم الإسلاميِّ، ينظر الموقع: <http://www.omanlover.org/vb/archive/index.php/t-87811.html>



كامبالا، وألفا هكتار بمنطقة أروغا، و (٣٠٠) هكتار في أمبيلي، و (١٣٠) هكتار بمنطقة أروغا أيضاً.. فكل تلك العقارات تعدُّ رؤوساً استثماريةً كبيرة إذا ما استُغلت استغلالاً واعياً.

(٧) العجز عن حشد الدَّعم الشَّعبي والمادي للمشروعات الإسلامية:

من المظاهر الإيجابية في المجتمعات الإفريقية الدَّعم الشَّعبي المطلق للعمل الإسلامي، ومن مظاهر ذلك في بعض المجتمعات (مالي والسنغال مثلاً) أنَّ حقَّ الشَّيخ المعلم على طلابه يتقدَّم حقَّ والديهم عليهم؛ فهو يوجههم كيفما شاء دون أدنى مساءلة من أحد، هذا المظهر لم يتمَّ استغلاله في التَّعليم الإسلامي بإفريقيا.

وفي مجال جمع الدَّعم المادي لإقامة المشروعات الإسلامية؛ فالغالب على القائمين بشؤون الدَّعوة استجداء أهل الخير واليسار من خارج البلاد، مع أنَّ بحوزتهم مخزوناً محلياً ثرياً لو أحسنوا توظيفه بالطرق العلمية الحديثة، من خلال التَّوعية وإقامة الوقفيات، لأتى ذلك بما يغنيهم عن المساعدات الخارجية، خصوصاً أنَّ المسلمين من أغنى الأفراد عادةً في المجتمعات الإفريقية^(٦).

خامساً؛ مقترحات عامة:

في نهاية هذا المقال يجُمَل بنا وضع بعض المقترحات العامة؛ من أجل الارتقاء بمستوى التَّعليم الإسلامي بشرق إفريقيا.

(١) توحيد المناهج الإسلامية:

ولعلَّ أوغندا من أكثر تلك الدُّول نجاحاً في هذا المجال؛ إذ بلغت نسبة المدارس التابعة للهيئة

والدَّعوية ترتكبها في إفريقيا، بعدها عن المشاركة في قضايا المجتمع المدني، مثل أنشطة مكافحة مرض الإيدز، ومحاربة المخدرات، والحدُّ من الفقر. وهذا الغياب عن مشكلات المجتمع الفعلية يزيد من غربة تلك المؤسَّسات، ويضعف من الاعتبار الشَّعبي لها، ففي تقرير سنويٍّ لوزارة العمل والتَّطوير الاجتماعي بأوغندا (٢٠٠٨م)، في فقرتها الخاصَّة بمساهمة المنظَّمات الدِّينية في تعليم الكبار، وصف التقرير النَّصارى بأنَّهم «أكبر الفاعلين» (biggest champions)، في هذا المجال، وأورد قائمةً بالمؤسَّسات الكنسية العديدة النُّشطة في محو الأمية وتعليم الكبار^(٧).

من مؤشرات النَّدى المستمرِّ، في التَّعليم الإسلامي بشكل عام بأوغندا، تزايد نسب الرُّسوب في الامتحانات الوطنية العامَّة

(٦) القصور في استغلال الموارد الاستثمارية:

تتوفَّر لدى بعض المؤسَّسات التَّعليمية بإفريقيا رؤوس أموال من عقارات وأراض زراعية ممَّا لا بأس به في الاستثمار، لكن تلك المؤسَّسات عاجزة عن استثمار تلك الأموال؛ فنراهم يشكون العجز بينما تتوفَّر بين أيديهم الوسائل المادية اللازمة، ففي حال الجامعة الإسلامية بأوغندا، نجد أنَّ التَّقرير الذي أشرنا إليه مراراً، ينصُّ على حيازة الجامعة لمئات الهكتارات الممنوحة لها من قِبَل الحكومة أو غيرها.. من ذلك (١٧) هكتاراً بالعاصمة

(٦) Ministry of Gender, Labor and Social Development. National Report on Adult Education in Uganda. April 2008. <http://www.mglsd.go.ug>, accessed on: 14 March 2012

(٧) في كينيا - مثلاً - يوجد خمسة عشر مسلماً من مجموع أغنى عشرين شخصية، ويصدق مثل ذلك في مالي والسنغال، وربما في نيجيريا أيضاً.

العام من حيث الإعداد المهني للتدريس.

(٥) تفعيل «ملتقى مديري الجامعات الإسلامية»:

ومن صور التفعيل الجاد لهذه المبادرة وضع خطة استراتيجية ملزمة لجميع الأعضاء من تلك الجامعات، بمتابعة برنامج تطويري، يمكن أن يبدأ بتدريب مكثف للمديرين في مهارات الإدارة، وتوكيل أمر مراقبة معايير الجودة بالجامعات إلى شركة متخصصة في هذا المجال، وتلك أمور ممكنة إذا ما حُدَّت من وتيرة اللقاءات الكثيرة، والأسفار المكلفة للتركيز في الواقع العملي في الساحة.

(٦) إنشاء جامعة إسلامية مفتوحة:

لعل الأوان قد آن للتعليم الجامعي الإسلامي بإفريقيا الدخول في تجربة التعليم عن بُعد، وحتى إذا صدق القول إن التطور التقني ببلاد إفريقيا لم يرتق إلى هذا المستوى؛ فإن ذلك لا يمنع الشروع في تجربة الجامعات المفتوحة؛ إذ يُحتمل أن تغطي بعضاً من القصور في القوة الاستيعابية للجامعة الحالية، كما يساعد في الحد من الهدر التكنولوجي لدى الشباب الذين يقضون عشرات الساعات في المواقع الإلكترونية فيما لا فائدة منه، ويضيعون في ذلك أيضاً بعض الأموال.

خلاصة القول: إن بلاد شرق إفريقيا تتمتع بموروث تاريخي واجتماعي قوي، وببنية تعليمية عريقة في مجال التعليم الإسلامي، تساعدها في مواجهة التحديات الكثيرة التي تعترض طريقها في تطوير التعليم الإسلامي؛ لمواكبة متطلبات العصر الراهن في الإطار الإسلامي الصحيح.

هذا، وإن واقع التعليم الإسلامي بشرق إفريقيا، على الرغم مما يعتره من عوارض الضعف والوهن، ما زال يحتوي على الكثير من المناعة ودواعي النهوض، خصوصاً إذا أخذ القائمون بشأن التعليم الإسلامي بالمكتسبات التربوية والحضارية في تلك المنطقة، وأعادوا تفعيلها وبث النشاط فيها بإذن الله.

الوطنية للتعليم الإسلامي (٧٥٪)، وقد سعت كينيا لتحقيق هذا الهدف، فوضعت ما يُعرف بـ «ميثاق التعليم الإسلامي الوطني»، وأكد رئيس المحاكم الشرعية بها على ضرورة هذا الأمر، شاجباً قصور العاملين التربويين في هذا المجال^(١).

(٢) تأسيس شهادة إقليمية ثانوية لشرق إفريقيا:

وقد يقضي هذا الإجراء على الكثير من مواطن القصور في التعليم الإسلامي، ويحقق تقريب المناهج المتبعة في كل دولة وتطويرها، وهذا المشروع يمكن أن يلتحم في صورة كبيرة بتجارب منظمة «الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية» (أسست ١٩٩٦م)^(٢) التي وضعت من مشروعاتها إنشاء مجلس إسلامي عالمي للامتحانات.

(٣) إنشاء مركز بحثي إقليمي:

وذلك على غرار معهد البحوث الإفريقية بالخرطوم وبالقاهرة، وفي التقرير الذي تكررت الإشارة إليه، ذُكر أن الجامعة الإسلامية بأوغندا قد شرعت في دراسة شاملة حول التعليم في أوغندا وفي شرق إفريقيا، لكن هذا المشروع قد توقف بسبب الحاجة إلى التمويل، لذا نرى أن مثل هذه المشروعات، ليس من الأسلم أن تستقل بها جهة أو دولة واحدة.

(٤) تفعيل معاهد تدريب المعلمين والمديرين

الموجودة بدول شرق إفريقيا:

من خلال توسيع نطاقها لتشمل التدريب مستوى التعليم العالي للمحاضرين؛ حيث إن كثيراً من خريجي الجامعات الإسلامية حملة الشهادات العالية لا يختلفون كثيراً عن نظرائهم من معلمي التعليم

www.muntada.islammessage.com . accessed on: (1)
18th March 2012

www.wfais.org (٢)



واقع التعليم الإسلامي في شرق إفريقيا (النموذج الكيني)

د. عبد المنعم حسن الملك عثمان (*)

مقدمة :

في الداخل، وقد أسّس المسلمون عدداً من الإمارات المسلمة التي أسهمت في نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية على طول الشواطئ الشرقية لإفريقيا.

وأهم هذه الإمارات هي:

إمارة لاموا^(٣): هي مدينة تقع على ساحل كينيا «أسست إمارتها على يد أسرة عباد بن عبد الجلندي - من عمان - على زمن الحجاج بن يوسف في العام ٦٩٥ للميلاد، كما هاجر للمنطقة في العام ٧٣٩ للميلاد الشيعة الزيديون»^(٤).

الدين الإسلامي يعد أقدم دين وافد إلى إفريقيا، ودخوله إلى كينيا كان في القرن الثامن الميلادي

إمارة بات PATE: تقع على المحيط الهندي من شرق كينيا، نشأت في مطلع القرن الثامن على يد سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني - صاحب عمان -، وقد اعتمدت الحديث باللغة السواحلية المكتوبة بالخط العربي، وكان التعليم مقتصرًا بها على الكتابيب للناشئة، وحلقات القرآن والفقه والتفسير والحديث بالمساجد. واشتهر بها الشيخ الأمين المزروعى الذي

كينيا بلاد جبلية تتصل شمالاً بإثيوبيا والسودان، وجنوباً بتنزانيا، وغرباً بأوغندا وقسم من بحيرة فكتوريا، وشرقاً بالصومال وساحل المحيط الهندي، مما يشير إلى وقوعها داخل الحزام الأفروعربي، وحتمية تأثير الثقافة العربية والإسلامية فيها، هذا باستثناء حدودها مع السودان الجنوبي غير المسلم^(١).

تبلغ مساحة كينيا ٥٨٢,٦٥٠ كم، وعدد سكانها يصل إلى ٤٣,٠١٣,٢٤١ (July ٢٠١٢ est)، وبحسب الدراسة فإن عدد المسلمين فيها يتراوح ما بين نسبة ٣٠٪ - ٢٥٪ من عدد السكان، ويتوزعون ما بين الحدود الإثيوبية، وفي المناطق الشمالية حول ممباسا، وفي المناطق المتاخمة لكل من تنزانيا وأوغندا، وتوجد مناطق يبلغ بها عدد المسلمين نسبة ١٠٠٪، مثل مناطق شرق كينيا ذات الأغلبية الصومالية.

من الناحية التاريخية؛ فإن دخول اللغة العربية ارتبط بدخول الدين الإسلامي، وترتفع نسبة المسلمين في المناطق الساحلية، وتقل

(*) الأستاذ المشارك بجامعة إفريقيا العالمية وبالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) أمين، إبراهيم معلم، أطروحة دكتوراه غير منشورة بعنوان: تحليل وتقييم منهج اللغة العربية بالمدارس الثانوية العربية الأهلية في كينيا، الخرطوم، جامعة أم درمان، كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، ٢٠٠٦م.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢.

(٤) جلو، عبد العزيز: سياسات الدول الإفريقية تجاه الوطن العربي - مجلة المستقبل العربي - العدد ٢٢ - بيروت - لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٠م، ص ٨٢.

ومسك الدفاتر، حتى أصبحتا لغتي التعليم والاتصال، ولقد هزمت المواجهة التي اعتمدها المدارس الإسلامية تجاه هذه الهجمة الغربية لعدم ارتباط التعلّم فيه بالمعاش، بالإضافة إلى إسناد أمر التربية والتعليم للكناّس، وتحريم استخدام اللغتين العربية والسواحلية في دواوين الحكومة^(٢).

بمجيء الاستعمار البريطاني أصبح التعليم المدني محصوراً في مدارس البعثات التنصيرية

أثر التركيبة الدينية والثقافية والاجتماعية في قيام عمل تربوي إسلامي في كينيا؛

لقيام عمل إسلامي تربوي جاد في كينيا لا بد من معرفة العوامل الإيجابية المساعدة والعوامل الأخرى المثبطة لهذا العمل، ولا بد من النظر إلى التراث والتاريخ الإسلامي في هذا المجال، وذلك على النحو الآتي:

١ - عدم التفريق بين العلم الديني والديني، يرى «حران»^(٣) أن الإسلام لم يعرف التفريق بين العلمين الديني والديني، بين العلم الشرعي والعلم المدني الديني، وأنهم فرّقوا بينها فيما بعد كما حدث في كينيا، وكانت نتيجة ذلك التخلف الذي ألمّ بهم، وقعد بهم عن كل مجالات الحياة، ومنهم المسلمون في كينيا.

٢ - أنّ النظرة المتوجسة من التعليم الغربي للإرساليات التنصيرية والشروط القاسية لتعلّم

استهض الهمم وبث روح العمل والنشاط، وكانت له آراء تُنشر في مجلة الإصلاح التي أصدرها باللغتين العربية والسواحلية، وقد أصبحت «بات» قوة كبيرة تحت حكم أسرة النبهاني.

ولقد برز الدور الأكبر للتجارة البحرية العربية في نشر الثقافة العربية والإسلامية التي امتدت لأكثر من ألف سنة، كما كانت منطقة سواحل كينيا ملاذاً آمناً لكل فائر من قمع السلطة، فوجد إليها «أولاً جماعة من الشيعة الزيديين، ثم جماعة من أهل السنة من الإحساء، وأخيراً بعض الإباضية من عمان»^(١).

ولقد زار ابن بطوطة، ساحل كينيا في عام ١٣٢٩م، حيث وجد في «مقديشو» سلطاناً يسمّونه «الشيخ»، يتحدث لغة «مقديشو» ويعرف العربية، ومن هناك اتجه إلى مدينة (كلوا)، وفي الطريق أمضى يومين في «مباسا» التي كان أهلها يدينون بالمذهب الشافعي، ويتصفون بالورع وإقامة المساجد.

وتعد مباسا (العاصمة الثانية لكينيا) حاضرة الإسلام على عهد الدولة العمانية، ومنبعاً من منابع الثقافة الإسلامية بمنطقة شرق إفريقيا، وتأسس بها «معهد مباسا الإسلامي» ليكون نواة لجامعة إسلامية، ولكن دخول غير المسلمين فيه انحرف برسالته.

وعندما جاء المستعمرون إلى كينيا وجدوا التعليم الإسلامي منتشراً في كل مكان، ووجدوا أنّ المسلمين وحدهم يتمتعون بقدرات على القراءة والتدوين والإدارة، فقاموا باستخدامهم في الوظائف العامة، وهو ما أدى إلى انتشار الإسلام، وهو ما اضطرهم إلى اتباع سياسة جديدة تحدّ من هذا الأمر، ومن ذلك جعل اللغتين الإنجليزية والفرنسية لغتي الإدارة

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٣.

(١) كامي، ميورالي، مرجع سابق، ص ١٤.



حتى عام ١٩٧١م، وأنها (اللغة العربية) كانت ذات تأثير واضح في الحياة الاجتماعية إلى عهد قريب، وأن غيابها عن الدور الاجتماعي ارتبط بالسياسات الغربية في المنطقة.

٧ - أن دافعية تعلمها عند غير المسلمين ترتبط بسوق العمل في الخليج العربي، وأن هناك شركات تقوم بإرسال العمالة بشكل مقنن إلى بلاد الخليج، منها: مؤسسة الخليج، ومؤسسة الفرسان، ومؤسسة الجواهر^(٢).

٨ - «أن تعلمها قد لقي اهتماماً من الدولة؛ إذ أصبح مسموحاً به ضمناً في تعلم القرآن والعلوم الإسلامية بالمدارس الابتدائية، وهو متاح بالثانوية وبالجامعة على أساس الاختيار، كما أن الدولة تكفلت برواتب المعلمين بدلاً عن مسلميها الذين كانوا يصرفون من مالهم الخاص على هذا الأمر.

٩ - أن الدولة قدّمت تسهيلات وأراضي لإقامة مشروعات إسلامية، ولكن جملة من التحديات قلّصت من حجم النتائج الإيجابية^(٣).

١٠ - أن المجتمع لا يعطي هذا الأمر العناية اللازمة، وأن الجهود العربية والإسلامية ضعيفة في هذا الجانب.

السياسات التربوية الكينية وأثرها في العمل التربوي الإسلامي:

يبدو أنه لا يوجد بكينيا قوانين أو لوائح تمنع قيام برامج تعليمية قائمة على الدعوة الإسلامية، ولكن المسألة يمكن إدراجها في إطار الصراع والمنافسة بين الثقافة الغربية الغالبة والفكرة الإسلامية المتطلعة، ولكي تتبين محاور هذا الصراع علينا أن نستعرض بعض ملامحه.

أبناء المسلمين فيها، وعدم مواكبة المدارس الإسلامية لمتطلبات الحياة، قد أقعد أبناء المسلمين عن التطور المعرفي والمهني، وهو ما أوجد واقعاً جديداً ومغايراً للواقع التاريخي الذي استأثرت به الجماعة المسلمة على عهد الإمارات، وإلى قبيل دخول الاستعمار الغربي، خصوصاً أن أهداف العملية التربوية لهذه المدارس التصيرية ارتبطت بأهداف استعمارية، عملت بقصد على إضعاف دور اللغة العربية في المجالات السياسية والإدارية.

٣ - أن اللغة العربية التي كانت لغة الكتابة حتى منتصف القرن التاسع عشر، هي لغة مقدسة لدى أبناء المسلمين، حتى إن الواحد منهم إذا وجد ورقة مكتوبة بالعربية ملقاة على الأرض فإنه يرفعها ويحفظها في مكان آمن، وأن دافعية تعلمها ترتبط بمعرفة الإسلام وعلومه، وأن هناك ميولاً إيجابية عالية تجاه تعلم اللغة العربية، ومن ثم تعرّف الإسلام وعلومه، وأن الخطب في المساجد ما تزال تُلقي بالعربية، وأنها تنتشر في مناطق واسعة من كينيا وبخاصة المناطق الساحلية.

٤ - أن هناك صلات عرقية، وتزاوج وتوالد بين المسلمين العرب والمسلمين من القبائل الكينية، وهناك ارتباط وجداني عميق ما بين أبناء الثقافة الأفروعربية والثقافة العربية والإسلامية وقضاياها.

٥ - أن اللغة السواحلية كانت تُكتب بالعربية، وأنها ما تزال تحمل الكثير من مفرداتها، نحو ٢٠٪ من لغة التخاطب، و ٣٠٪ من لغة الكتابة، و ٥٠٪ من لغة الشعر السواحلي القديم الذي يعدّ أجنبياً^(١).

٦ - أن العملة المحلية كانت تُسك بالعربية

(٢) أمين، إبراهيم معلم، مرجع سابق، ص ١٧.

(٣) كامي، مبورالي، مرجع سابق، ص ٢١.

(١) كامي، مبورالي، مرجع سابق، ص ١٨.

أما المرحلة الدنيا فكانت تقوم على الكتابات التي تعلم مبادئ الكتابة والقراءة وتلاوة القرآن وحفظه والعبادات، إلا أن هذا النوع من التعليم لم يكن يؤهل الدارسين إلى الوظائف الحكومية. وبمجيء الاستعمار البريطاني أصبح التعليم المدني محصوراً في مدارس البعثات التبصيرية، حين انقلق التعليم الإسلامي على تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية، وأهمل العلوم العصرية، وتعد تجربة الشيخ الأمين المزروعى (١٢٠٧هـ - ١٣٦٩هـ / ١٨٩٩م - ١٩٤٩م) أول تجربة زاوجت بين العلمين وبين المعرفتين.

أنواع المدارس الإسلامية^(٣)؛

هناك ثلاثة أنواع من المدارس الإسلامية، وهي:

١ - المدارس العربية الإسلامية: هذه المدارس تُعنى بتعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية، وقد تضيف بعض المقررات اليسيرة مثل اللغة الإنجليزية، ولا تدرّس العلوم العصرية، ومثال ذلك «مركز التوحيد».

يبدو أنه لا يوجد بكينيا قوانين تمنع قيام برامج تعليمية قائمة على الدعوة الإسلامية، ولكن المسألة صراع بين الثقافة الغربية الغالبة والفكرة الإسلامية المتطلعة

٢ - المدارس المسائية: هذه المدارس تقوم بتدريس العلوم العربية والشرعية في الفترة المسائية لطلابها الذين يلتحقون في

تشير دراسة «برالة»^(١) إلى أن السياسات الغربية قد عملت على تنشئة المواطن الكيني بعيداً عن الثقافة الإسلامية، وعملت على إشاعة ثقافة العلمانية، فأصبح أبناء المسلمين الذين يتلقون تعليماً عالياً بعيدين عن المعرفة بالدين إلا من تيسر له ذلك من منافع أخرى، كما أن المستفيدين من المنح الحكومية هم من أبناء المسيحيين والوثنيين.

وتدرّس مادتا التربية الإسلامية والمسيحية إجبارياً في المرحلة الثانوية، ولكن بعض أبناء المسلمين يفضّلون امتحان مادة التربية المسيحية للحصول على الشهادات؛ لكونها مكتوبة باللغة الإنجليزية التي يفهمونها، ولصعوبة مناهج تعليم التربية الإسلامية، ولكونها مكتوبة باللغة العربية التي يعانون أمر تعلمها، ولضعف القائمين على تدريس العربية وتدريس العلوم الإسلامية، ولضعف خريجي المدارس العربية والمتخصصين في تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية بالإنجليزية لغة التواصل ولغة التدريس، علماً بأن الحكومة الكينية قد أدخلت مادة اللغة العربية في التعليم الثانوي والجامعي رسمياً، ولكن الأمر يحتاج إلى دعم عربي وإسلامي.

التجارب التربوية الإسلامية بكينيا ما بين النجاح والفشل:

يشير «حران»^(٢) إلى أن التعليم في كينيا حتى مجيء المستعمر البريطاني كان تعليماً إسلامياً، وأن المراحل العليا منه كانت في المساجد، وكانت تقوم على تدريس القرآن وعلومه والحديث والفقه بجانب اللغة العربية،

(١) برالة، حسين إبراهيم: الدعوة الإسلامية في كينيا، من ١٩٦٠ - ١٩٩٠م، دط، د/ن، ١٤١٠هـ، ص ٢٢.

(٢) حران، تاج السر أحمد، المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٣) الدويش، محمد بن عبد الله: التعليم الإسلامي العربي في إفريقيا، مجلة قراءات إفريقية، العدد الأول، رمضان ١٤٢٥هـ / أكتوبر ٢٠٠٤م، ص ٦٢.



مثل «مركز الشيخ زايد الخيري لرعاية الأطفال» وغيره، ويبلغ عددها حالياً ١٧ مدرسة^(٢). ولهذا النظام مزاياه بالرغم مما يواجهه من صعوبات، من أهمها التمويل، فتكاليفه تبلغ أضعاف تكلفة المدارس الإسلامية، كما أن الجمع فيها بين نظامي التعليم يضيف عبئاً زائداً على المتعلمين، وكثيراً ما يؤثر في تحصيلهم في التعليم النظامي أو في التعليم الشرعي.

أما أهم مزاياه: فهي أن الخريجين في هذه المدارس يتمكنون من الالتحاق بالجامعات الكينية أو الجامعات في العالم الإسلامي، ويسهل عليهم أن يلتحقوا بالدراسات الإسلامية أو المدنية.

تجربة مدرسة الغزالي:

يشير «حران» إلى تجربة الشيخ محمد عبد الله الغزالي (١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م) بوصفها التجربة الإسلامية الحديثة، وكونها امتداداً لتجربة المزروعي؛ حيث تقوم بتدريس علوم التاريخ والرياضيات واللغة العربية والعلوم الإسلامية، وقد تبعتها بعد ذلك مدارس أخرى، مثل «مدرسة الشيخ عبد الله الحسني»، ومثل «مدرسة الفلاح» التي أنشئت في ممباسا في الأربعينيات من القرن الماضي.

ويشير «حران»^(٣) إلى تقرير كان قد صدر بعد الاستقلال (١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م)، على يد لجنة حكومية، أسست لعلاج أمر التعليم وإصلاحه، كان من أهم توصياتها: أن التعليم ينبغي أن يهدف إلى ترقية المساواة الاجتماعية والوحدة الوطنية في البلاد، ولعل هذين الأمرين يمكن أن يكونا حاسمين في مدى قبول فكرة التعليم الإسلامي الوافد، وتوطين هذا التعليم

الفترة الصباحية بالمدارس العامة، وذلك مثل: «المدرسة المنورة الإسلامية»، و«مدرسة الإنابة للبنات»، و«مدرسة الصالحين»، و«مدرسة معاذ».

وهذان النوعان هما أكثر مؤسسات التعليم انتشاراً وأوسعها تأثيراً في نشر اللغة العربية والعلوم الشرعية، لتركيزهما في هذا الجانب واعتنائهما به، ولكن لهما سلبيات أيضاً، فالتلاميذ في المدارس العربية الإسلامية يعانون صعوبة مواصلة الدراسة في الجامعات؛ لعدم اعتراف كثير من مؤسسات التعليم الجامعي والقطاع العام والخاص بشهادتهما^(٤).

«أما التلاميذ في المدارس المسائية؛ فيدرسون في المدارس المدنية حتى الخامسة مساءً، ثم يبدؤون الدراسة الدينية بعد ذلك، وبما أن الطلاب يكونون مرهقين جسدياً وعقلياً فإنه يصعب عليهم استيعاب هذه الدروس، وهذا أمر يحتاج لمجهود كبير، وقد لا يتيسر لطلاب المرحلة الثانوية، فيتركون الدراسة، أو يرسبون في امتحان الشهادة الوطنية».

ولأجل حل هذه المشكلات ظهر نوع ثالث من المدارس، وهي:

٣ - المدارس المدمجة: هذه المدارس

تقوم بتدريس المتعلمين المنهجين في آن واحد، فيطبق فيها مناهج وزارة التعليم الكيني للمرحلة الابتدائية، وتضيف إلى ذلك تدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية.

وأول مدرسة طبقت هذا النظام في ممباسا «مدرسة أبي هريرة الإسلامية» التي أنشئت عام ١٩٩٥م، ثم سارت على منوالها مدارس أخرى،

(٢) محمد بن عبد الله الدويش، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٣) دراسة حران، مرجع سابق، ص ١٦٠.

(٤) وثيقة عن المنهج الدراسي لمرحلي الابتدائية والمتوسطة حسب برنامج الدمج بين العلوم المدنية والدراسات الإسلامية، إعداد: إدارة «مدرسة أبي هريرة الإسلامية».

في بلد مثل كينيا؛ إذا لا بد من إيجاد آلية تجعل هذا التعليم - وفق هذا المنظور - أمراً مقبولاً. ولقد أوصت اللجنة بحسب المصدر بالآتي:

- تحسين الأوضاع التعليمية في مناطق المسلمين عن طريق تحسين المستوى التعليمي في كلا المنهجين الديني والمدني (العلماني)، مشيرةً إلى القصور الواضح في تدريس العلوم المدنية العصرية في المدارس الإسلامية، وعزت ذلك إلى نقص الوسائل وغياب التدريب.

- تحسين المدارس الحكومية وتحسين مناهجها؛ حتى يتمكن الطلاب المسلمون من الانضمام إليها دون خوفٍ على دينهم.

هيكلية المدرسة الإسلامية بكينيا^(١):

يشتمل نظام المدرسة الإسلامية في كينيا على عدة مستويات، تختلف باختلاف حجم المدرسة - كبيرة أو صغيرة -، وهذه المستويات هي على النحو الآتي:

المستوى الأدنى: وهو ما يقابل الروضة في النظام التعليمي الحديث، والاسم الشائع له هو الكتاب أو الخلوة، ويتعلم الطفل فيه قراءة القرآن، ومبادئ القراءة والكتابة في اللغة العربية، وتلاميذ هذا المستوى غير منتظمين في الحضور ولا في أوقاته.

بعض أبناء المسلمين يفضلون امتحان مادة التربية المسيحية للحصول على الشهادات؛ لكونها مكتوبة باللغة الإنجليزية التي يفهمونها، ولصعوبة مناهج تعليم التربية الإسلامية

المستوى الابتدائي (٦ سنوات): وهو المرحلة التعليمية الثانية (المدرسة الابتدائية)، وفيها يستمر الطالب في قراءة القرآن وحفظه، مضافاً إليه علوم ومعارف أخرى، كعلم التوحيد، والحديث، والفقه، والتاريخ الإسلامي، والسيرة النبوية، والخط العربي، واللغة العربية - صرفها ونحوها -، وعلم الأخلاق.

المستوى المتوسط (٣ سنوات): وهو المرحلة الإعدادية، ويستمر الطالب فيها في تعلم العلوم السابقة، مع توسع فيها، إضافة إلى علمي التفسير والتجويد.

المستوى الثانوي (٣ سنوات): وهو آخر المراحل؛ وتُضاف إليه بجانب العلوم السابقة: علوم أصول التفسير، والتصوف، والمنطق، والإنشاء.

وتشير الدراسة إلى أن بعض الطلاب يعوّضون نقص العلوم المدنية بالدراسة المسائية بالمدارس الثانوية الأخرى غير الإسلامية.

وأهم أهداف هذه المدارس: حفظ الهوية الإسلامية، وتربية الأولاد تربيةً إسلاميةً صحيحةً، وتعليمهم الدراسات الإسلامية واللغة العربية، وإعدادهم دعاةً وخطباءً وأئمةً ومدرسين.

المشكلات التي تواجهها المدارس الإسلامية العربية:

تواجه هذه المدارس بعض المشكلات والصعوبات، من أبرزها^(٢):

- ١ - عدم صلاحية المناهج.
- ٢ - كثرة المواد وطول المنهج.
- ٣ - عدم وجود الإشراف التربوي والتوجيه المهني.

(٢) أبو حمزة: وثيقة حول مشكلات المدارس وحلولها، إعداد: جمعية التعليم والنهضة والتنسيق لمسلمي كينيا MEDAN.

(١) حران، المرجع السابق، ص ١٦٠.



معظم المدارس الحديثة تعد اللغة العربية لغة تفاعل وتواصل، بعد أن كانت لغة عقيدة وعبادة فقط، غير أنهم يواجهون بعض الصعوبات والمشكلات

«وأغلبية متعلمي اللغة العربية في مباسا يُجيدون القراءة باللغة العربية، ولكنهم يجدون صعوبةً في فهم المعاني والتعبير والكتابة بها؛ وذلك لأنهم تعلموا قراءة القرآن منذ الصغر، وهم يجيدون الأداء في الاختبارات التحصيلية، ولكنهم يعجزون عن استخدام اللغة في مواقف لغوية حيّة، وهذا حسب تجربة الباحثة في مجال تدريس اللغة العربية في مباسا، ومما يؤثر سلباً على تعليم اللغة العربية في هذه المدارس قلة استخدام الوسائل المعينة في تدريسها»^(١).

وتعد المناهج التعليمية أبرز مشكلات تعليم اللغة العربية في المنطقة، فهذه المدارس تختزل المنهج في محتوى الكتاب المدرسي الذي أُعدَّ سلفاً لبيئة أخرى غير بيئة المتعلم، فأغلبية هذه المناهج من السعودية ومصر، ونجد أن المناهج السعودية متعددة، فهناك منهج من وزارة المعارف والتعليم، ومنهج آخر من الجامعة الإسلامية، وآخر من المعاهد الدينية والبرامج الخاصة للناطقين بغير العربية، وهذا يؤدي إلى خلل في معيارية اختيار هذه المناهج واستخدامها، فإذا وجد المدرس أي كتاب يُعجبه

٤ - عدم وجود إدارة مدرسية في معظم المدارس.

٥ - عدم وجود مكتبة مدرسية.

٦ - عدم وجود زمن كاف للدراسة.

٧ - قلة المدرسين المختصين والمؤهلين.

٨ - ضعف الإمكانيات المادية بسبب ضغوط

الحكومة فيما يُسمّى بـ «الإرهاب»، حيث تمّ إنهاء نشاط كثير من المنظمات الإسلامية في كينيا.

تعليم اللغة العربية في المدارس العربية الإسلامية :

كانت اللغة العربية تُدرّس في معظم المدارس القديمة للأغراض الدينية فقط، وليس بوصفها أداة للتواصل، لذلك لم يكن هناك تركيز في تعليم مهارتي الاستماع والتحدّث، ولكن الوضع تغيّر حالياً، فنجد معظم المدارس الحديثة تعد اللغة العربية لغةً معاملة وتفاعل وتواصل، بعد أن كانت لغةً عقيدة وعبادة فقط، وتشجّع التلاميذ على التحدّث بها داخل المدرسة، غير أنهم يواجهون بعض الصعوبات والمشكلات، ومثال تلك المدارس: «المدرسة المنوّرة الإسلامية»، و «مدرسة معاذ»، و «مدرسة أبي هريرة الإسلامية»، و «مدرسة لواتوني» وغيرها^(١).

«أما بالنسبة لطريقة تدريسها، فنجد أن معظم المدارس، إن لم تكن كلها، تستخدم طريقة القواعد والترجمة، فيستخدمون اللغة السواحلية أو الإنجليزية لغة وسيطة لتقديم الدروس، وتركز المدارس على إتقان القواعد النحوية أكثر من المهارات اللغوية»^(٢).

(١) العمودي، هدى عيسى، أطروحة (غير منشورة) لنيل درجة الدكتوراه في المناهج وطرق التدريس، قسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠٠٨م - مقابلة مع د. عبد الله خطيب، عميد كلية الدراسات الإسلامية - كيسانوني، في مكتب مدير الكلية، بتاريخ ١٣/٦/٢٠٠٧م.

(٢) أبو بكر، نيرات سعيد: الصعوبات اللغوية التحريرية التي تقابل

متعلمي اللغة العربية في المدارس الثانوية الحكومية بكينيا، منطقة مباسا نموذجاً، بحث غير منشور لنيل درجة الماجستير لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ٢٠٠٥م، ص ٦٢.

(٣) العمودي، مرجع سابق.

بالمدارس الثانوية الحكومية والأهلية.
٤ - إعداد الدعاة والأئمة والخطباء والقضاة
الشرعيين.

تجربة الكليات الإسلامية - الجامعية :

بحسب دراسة «أمين»^(٢) توجد في كينيا الآن كليتان، هما كلية الدراسات الإسلامية في ممباسا وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في «ثيكا»، تأسست الأولى في العام ١٨٨٥م، وتتبع المؤسسة الإسلامية، ومقرها بالعاصمة نيروبي، وبها قسم واحد هو قسم الدراسات الإسلامية، أما كلية الشريعة بـ «ثيكا» فقد تأسست في العام ١٩٩٨م، وهي تتبع لجنة مسلمي إفريقيا، وبها قسم للدراسات الإسلامية وقسم للشريعة، كما توجد كلية إسلامية لإعداد المعلمين في ممباسا.

وحديثاً تم افتتاح جامعة «راف» التي كانت تُسمى «جامعة الأندلس» عند إنشائها قبل سنتين تقريباً، وهي على بعد ٦٠ كم تقريباً من العاصمة نيروبي باتجاه مناطق الماساي، ويبلغ مجموع الطلاب المقبولين بهما حوالي سبعين طالباً؛ بنسبة ٢٠ طالباً وطالبة للأولى، و ٥٠ طالباً وطالبة للثانية، وتقوم بقبول طلاب المدارس الإسلامية بجانب طلاب المدارس الثانوية الحكومية، وهو ما يضيّق فرص القبول أمام الأعداد الكبيرة من الطلاب؛ لذلك فإن الحاجة ملحة إلى وجود جامعات عربية وإسلامية.

مشكلات المسلمين التعليمية بكينيا :

يرى «حران»^(٤) أن مشكلات التعليم لدى المسلمين بكينيا تكمن في:
١ - عدم توفّر البيانات والإحصائيات

يستعمله ويجعله منهجاً لمدرسته، وقد يُستخدَم في المدرسة الواحدة عدة مناهج، كما أن أهداف هذه المناهج غير واضحة وغير محددة. فهذا التفاوت في برامج التعليم ومناهجه أدى إلى تفاوت مستوى التلاميذ في هذه المدارس، وهو ما تسبّب في صعوبة تعلّم اللغة العربية، وبالأخص عندما ينتقل التلميذ من مدرسة إلى أخرى.

وأغلبية معلمي اللغة العربية غير مؤهلين، وغير مدربين، إضافة إلى ضعف بعضهم في مهارة التعبير الشفهي^(١)، وهو ما أدى إلى تدني مستوى اللغة العربية في هذه المدارس، فهذه الأمور كلها تؤثر سلباً في اتجاهات التلاميذ نحو اللغة العربية، ونحو الحضارة والثقافة العربية والإسلامية.

تجربة المعاهد الإسلامية - الثانوية^(٣) :

قامت المؤسسة الإسلامية في العام ١٩٨٠م بإنشاء معهد ثانوي في مدينة ممباسا باسم «معهد كساؤني الإسلامي»، ويعد أول معهد يقبل طلاب الدراسات العربية والإسلامية بالمرحلة الثانوية، ولقد تطور هذا المعهد إلى كلية للدراسات الإسلامية، تشتمل على القسمين الثانوي والجامعي، وقد تخرج في هذا المعهد وحتى العام ٢٠٠٤م حوالي ١١٢٠ طالباً وطالبة من المرحلة الثانوية.

وتهدف الدراسة بهذا المعهد إلى:

- ١ - تربية الطلاب على مبادئ الشريعة الإسلامية.
- ٢ - تدريس العلوم الإسلامية باللغة العربية.
- ٣ - تأهيل معلمي الدراسات الإسلامية

(١) حمد، عبد الرحيم علي، وثيقة عن الدورة التدريبية لمعلمي اللغة العربية في كينيا، معهد الخرطوم الدولي، ٢٠٠١م، ص ٣.

(٢) أمين، معلم إبراهيم، مرجع سابق، ص ٢١.

(٣) حران، تاج السر أحمد، مرجع سابق، ص ١٧.

(٤) حران، تاج السر، المرجع السابق نفسه، ص ١٦.



سوق العمل، وتقوي من أثرهم الاجتماعي.
٤ - المسلمون المتعلمون تعليماً غربياً،
وتتاح لهم منح مجانية لتلقي دراسات عليا في
العلوم الإسلامية.

٥ - المسيحيون، وتقدم لهم دراسة ظاهرها
العلم الدنيوي وباطنها الدعوة إلى الإسلام.

التوصيات:

١ - قراءة الواقع السياسي والاجتماعي
والاقتصادي الكيني قراءة جيدة، ومن ثمّ الدخول
في مشروعات سياسية واجتماعية واقتصادية
تؤثر في القرار السياسي، وتؤمن خطة مشروعات
التعليم الإسلامي، وتعود بالفائدة على المجتمع
الكيني المسلم اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً.

الدخول من بوابة التعليم بشكله العام؛ بغرض
رفع مستوى تأهيل الإنسان المسلم، وجذب غير
المسلم للتفاعل مع الإنسان المسلم، مما يحقق
التوافق الاجتماعي الذي يضمن سلامة الإنسان
المسلم أولاً، ومن ثمّ البرامج المقدمة إليه،
ومن ثمّ التدرج بالتعليم إلى التخصص المتميز
بمجالات الدعوة.

٢ - توفير الإمكانيات اللازمة لجعل بيئة
التعليم الإسلامي جاذبة لتنافس غيرها من
النماذج الحكومية العلمانية والتنصيرية الغربية.
٣ - الأخذ بتجربة «جامعة إفريقيا العالمية»
بوصفها نموذجاً يُحتذى به في عملية المزج بين
العلوم الشرعية والعلوم الحياتية.

٤ - توفير معاهد لتدريب المعلمين لتدريس
العلوم كافة.

٥ - فتح معهد متخصص في تأهيل وإعداد
وتدريب المعلمين في مجالات تعليم اللغة العربية
للناطقين بغيرها؛ على غرار معهد الخرطوم
الدولي، أو توسيع فرص القبول به ليقبل أكبر
عدد ممكن من الدارسين.

الدقيقة حول عدد المسلمين بكينيا، وأماكن
توزيعهم، ونسب الفئات العمرية بينهم، ونسب
الذكور إلى الإناث، وعدد المتعلمين، والذين
يحتاجون إلى التعليم.

٢ - قلة المؤسسات التعليمية التي تقدم
العلوم الشرعية والعلوم الحياتية في آن واحد.

٣ - قلة أعداد الطلاب المسلمين بين الطلاب
الملتحقين بمراحل التعليم العليا؛ إذ يتناقص
عددهم صعوداً كلما انتقلوا من مرحلة لأخرى.

٤ - تشرب أبناء المسلمين، الذين درسوا
في المدارس التنصيرية والعلمانية، بالثقافة
والفكر الغربي، وجعلهم بقم الإسلام، وتمسكهم
بقيم الليبرالية الغربية، جعلهم يتقاعسون عن
مساعدة مجتمعهم المسلم، بالرغم من تنفذهم
في السلطة، بحجة الحفاظ على العلمانية!

٥ - محدودية تعليم من تخرجوا في
المدارس الإسلامية، ومحدودية تأثيرهم في
المجتمع لعدم إلمامهم بعلوم العصر.

٦ - قلة اهتمام المسلمين بإرسال أبنائهم
للتعليم الابتدائي.

٧ - عدم توفر المدرّس المؤهل.

٨ - ضعف الإمكانيات الفردية في تحمل
مصروفات الدراسة.

الفئات التي يمكن أن يستهدفها برنامج التربية والتعليم القائم على المنهج الإسلامي:

١ - المسلمون الأميون وشبه الأميين، الذين
لم يتلقوا تعليماً نظامياً، وتكون مساعدتهم
بتقديم برامج محو أمية.

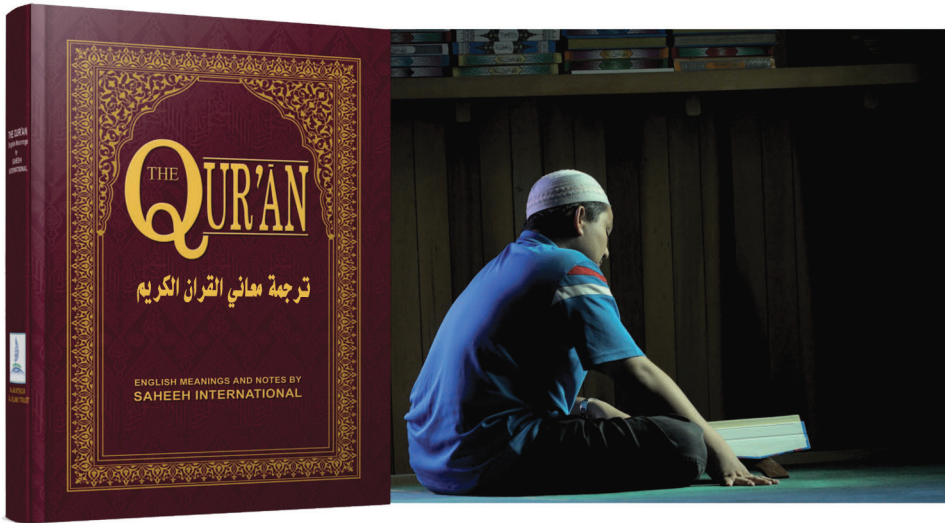
٢ - أطفال المسلمين من صغار السنّ من
الجنسين.

٣ - المسلمون المتعلمون تعليماً إسلامياً،
وتقدم لهم برامج تعليمية تؤهلهم للمنافسة في

والعربي والاجتماعي الذي يسود هذه البلاد .
 ١٢ - ربط المؤسسات التعليمية بمجالات
 خدمة المجتمع.
 ١٣ - فتح فرص العمل أمام المتخرجين في
 المدارس والمراكز والكليات الإسلامية بشرق
 إفريقيا عامة، وبكينيا على وجه الخصوص .
 ١٤ - فتح قناة فضائية تعليمية تُعنى بنشر
 اللغة العربية والمعارف الإسلامية، تكون بعض
 برامجها باللغة السواحلية، وتأخذ مادتها من
 واقع البيئة المسلمة بشرق إفريقيا، وتخصيص
 بعض البرامج التعليمية في القنوات القائمة،
 مثل: قناة إفريقيا .
 ١٥ - إنشاء مشاريع وأوقاف، تدرّ المال
 وتغطي بعض احتياجات العملية التعليمية بكينيا،
 وبغيرها من بلاد شرق إفريقيا .

٦ - توحيد المناهج في المدارس والمراكز
 المتخصصة في تعليم اللغة العربية والعلوم
 الإسلامية في كل المراحل الدراسية في شرق
 إفريقيا، وفي كينيا بصورة خاصة .
 ٧ - توفير الكتاب المدرسي الجيد ومعيناته .
 ٨ - العمل على بناء محتوى المنهج بالصورة
 التي تميز بين أهداف تعليم اللغة العربية
 والمعارف الإسلامية وبين بيئة المتعلم .
 ٩ - توحيد المدارس والمراكز والكليات
 الإسلامية تحت مظلة واحدة؛ بحيث تتوحد
 أهدافها ووسائل عملها، وطرق تنفيذ برامجها،
 وحل مشكلاتها .
 ١٠ - مراعاة الفروق المذهبية بين الطوائف
 المسلمة .
 ١١ - مراعاة عدم الاستقرار السياسي

كتاب الله ... سبب هداية..



info@quranabc.com “بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً”

markrting@qiraaat.com



050 91 21 795



494 49 49



دار قراءات للنشر والتوزيع - الرياض



المرأة والتعليم الإسلامي العربي في إفريقيا (نيجيريا نموذجاً)

محمد الرابع أول سعاد (*)

بتعلّم الإسلام واللغة العربية، وذلك منذ القرن السادس عشر الميلادي تقريباً^(٢)، وهناك دلائل تشير إلى وجود هذا النظام التعليمي للمرأة قبل زمن الشيخ عثمان بن فوديو، يدلّ على ذلك وجود تاريخ لعالمات عشن في القرن السادس عشر^(٤) وقبله، منهن السيدة أم هانئ، وقد كانت عالمة داعية آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر^(٥).

كما ثبت في تاريخ علماء بلدان المنطقة وجود مؤلفات يرجع تاريخ تأليفها إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، مثل مؤلفات العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي (٨٦٧هـ /

يسلّط هذا المقال الضوء على التعليم الإسلامي العربي للمرأة في إفريقيا قديماً ومحاولة ربطه بالتعليم العربي الحكومي الحديث، ويقدم الباحث «نيجيريا» نموذجاً في هذا المقال؛ لأن دور حكومات نيجيريا في التعليم العربي نموذج لكثير من دول غربي إفريقيا.

أوليات دخول المرأة في التعليم العربي الإسلامي؛

هل كان هنالك تعليم عربي للمرأة في مناطق غربي إفريقيا قديماً؟ نعم ودون شك، فقد تمتعت المرأة في منطقة بلاد الهوسا^(٦)

(*) جامعة بايرو كانو، نيجيريا.

(٢) «الهوسا» لغة وشعباً: كلمة «هوسا» أو «الحوسا» والصحيح الأول: وهو لفظ يُطلق على الشعب وعلى اللغة التي يتكلم بها ذلك الشعب. وقبائل الهوسا: هم الجماعة الذين انحدروا أصلاً وتاريخياً من منطقة بلاد الهوسا واستقروا بها، أو نزحوا منها وسكنوا بمناطق أخرى، وحافظوا على لغتهم وثقافتهم، كما يُطلق هذا الاسم على الذين سكنوا منطقة بلاد الهوسا، وأخذوا لغتهم ثم طبقوا عادات الهوسا وتقاليدهم وعقائدهم فهوسوا واختلطت أصولهم واندرت لغاتهم، وذلك مثل بعض الفلاني وشعب غُدري (Guddurawa Tribe)، وغيرهم، من الذين سكنوا مناطق الهوسا واختلطت أصولهم وانقرضت وتلاشوا في الهوسا.

وأما بلاد الهوسا: فهي المنطقة التي يسكنها شعب الهوسا، والموقع الجغرافي الأكبر تجمع لهم هو: البلاد الواقعة في غرب الحدود الشمالية ووسطها، والتي تميل إلى الشرق لدول غربي إفريقيا حديثاً، وهذا التجمع الكبير للموقع قد قسمته الحدود السياسية الجغرافية الاستعمارية: فكان القسم الأول - وهو الأكبر - يشغل أكثر بلاد شمال نيجيريا، والقسم الثاني في وسط الحدود الجنوبية لدولة النيجر (Niger Rep) متصلاً بالقسم الأول.

تقع بلاد هوسا الحالية في شمال نيجيريا وجنوب جمهورية النيجر، بين أرض بَرَنُو شرقاً إلى الضفة الغربية لنهر النيجر غرباً، وتحدها شمالاً الصحراء الكبرى، وجنوباً حتى قريباً من نهر بَنُو. وربة بلاد هوسا قد توسّعت كثيراً عن مركزها الأول، بل هي في توسع مستمر حتى اليوم، يقول الباحث وُولف: «هوسا لغة عالمية، يتكلم بها حوالي خمسين مليون نسمة، غالبيتهم في نيجيريا وجمهورية النيجر والدول المجاورة في غربي إفريقيا»، راجع:

Mahdi Adamu: The Hausa Factor In West African History p3

H. Ekkehard Wollf. « Standardization and varieties of written Hausa West Africa.

p21 Proceed of Symposia on Language Standardization University of Hamburg. 1991

(٣) وهذا التقدير افتراضي؛ حيث لم يحصل الباحث على تحديد لتاريخ مدون حسب اطلاعه المحدود في المصادر والمراجع المتوفرة لديه.

(٤) محمد الرابع أ. سعاد: أدبية بلاد السودان.. نانا أسماء بنت الشيخ عثمان بن فوديو، ص ٩، ١٩٩٥م.

(٥) محمد بيللو بن عثمان: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص ٥٣. وانظر أيضاً كتاب: المجاهد الكبير في غرب إفريقيا.. الشيخ عثمان بن فوديو، ص ١٨، للدكتور أمين الدين أبوبكر.

٤٦٣م^(١) وغيره، ويتوقع أن هؤلاء العلماء كانوا يقومون بتعليم النساء أمور دينهن ووعظهن.

مرحلة تطور التعليم الإسلامي العربي للمرأة في غرب إفريقيا:

بدأت هذه المرحلة في القرن السابع عشر الميلادي، وازدهرت على أيدي حملة راية حركة الجهاد في المنطقة، أمثال ألفا محمد كعت، والحركة العلمية في تمبكتو و جني وفي ماسينا، و أغدس عند العالم جبريل بن عمر، وعند علماء باغرمي، و آدموا، و كلمفرد، و كانم و برنو، وعند علماء يندوتو، غوبر، وغيرها.

ثم بلغت مرحلة التطور ذروتها في حركة الشيخ عثمان بن فوديو؛ فقد برز عدد من العالمات، منهن: العالمة مريم، والسيدة خديجة، والسيدة أسماء، بنات الشيخ عثمان بن فوديو.

ويدل على هذا التطور في تعليم المرأة وجود منظومة شعرية باللغة العربية تُنسب إلى السيدة الرقية بنت محمد سعد^(٢)، ومن أبيات القصيدة ما يأتي:

الكريم يقبل تائباً أتاه
لا يخاف بخساً كل من رجاه^(٣)

وبالنظر الدقيقية للأبيات - وهي تبلغ أكثر من ثلاثين بيتاً - يدرك المرء أنه كان للمرأة نظام تتعلم وتعلم فيه، وأنها قد بلغت مستوى رفيعاً في الثقافة العربية الإسلامية، وتؤكد البحوث وجود عالِمات عشن في تلك الحقبة، وكان لهنّ نشاط دعوي، كتدريس القرآن، وغيره من العلوم العربية الإسلامية.

ومن الدلائل القصيدة التي نظمها أسماء بنت الشيخ عثمان بن فوديو بالفلانية، وذكرت فيها أسماء العالمات من الصحابيات والتابعيات، وعالمات عشن في بلاد السودان وبلاد الهوسا قبل زمن حياة الشيخ عثمان بن فوديو وبعده، وعرب القصيدة حفيدها الشيخ جنيد، من أبياتها:

نتبع عابدات عصر شيخنا
القانتات التابعات السننا
الصالحات الحافظات غيباً
الزاهدات الطاهرات قلبا
منهن أذكرياً أخي، حبيبة
صالحة الأحوال ذات الهيبة
عالمة تعلّم النساء
أمور دينهنّ لا مرأا
ثم تلي عائشة الوليصة
صالحة محسنة للنبيّة
وجوّط كاورّي التي تعلّم
للساء قرءاناً بها اغتموا^(٤)

وقد تتلمذ بعض علماء المنطقة على أيدي بعض العالمات، كما ذكروا ذلك في كتاباتهم، منهم الشيخ عبد الله بن فوديو شقيق الشيخ عثمان بن فوديو، حيث قال إنهما تتلمذا عند جدته نانا رقية، وأمّه السيدة حواء، وهذا في كتابه (إيداع النسخ فيمن أخذت منه من الشيوخ)، وهو دليل آخر على تطور تعليم المرأة آنذاك وما بلغته من منزلة في العلم.

تطور تعليم المرأة في خلافة ابن فوديو وتنظيمه:

قد شهد تعليم المرأة اللغة العربية والتعاليم الإسلامية وتعلمها ازدهاراً وتنظيماً

(١) انظر: The Encyclopedia of Islam. 4/ 550 (1986)

(٢) أدبية بلاد السودان .. أسماء بنت الشيخ عثمان بن فوديو، ص ١٢.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها

(٤) الوزير جنيد بن محمد البخاري: قصيدة أولياء الله من النساء الكمل، ص ٩



فهذه الأبيات دلّت على اهتمام كلٍّ من الشعب والعلماء بأمر تعليم المرأة، ثم قد كانت المرأة - لاشتياقها إلى التعلّم - تأتي إلى استماع الشيخ وتعليمه، فيبين لهن (الجماعة) أن الاختلاط ممنوع شرعاً^(٤)، ثم - كما ذكرنا - خصّص الشيخ لهنّ المكان والزمان في كلِّ بلد وصل إليه لأمر الدعوة.

يرجع تاريخ بدء التعليم العربي الإسلامي الحكومي الحديث ببلاد إفريقيا الغربية في شمال نيجيريا إلى سنة ١٩١٠م

وبعد أن تخرجت عالمات تتلمذن على أيدي الشيخ وجماعته؛ تولّت المرأة تدريس النساء في نظام مزدهر، وهو الذي عُرف في تاريخ خلافة سوكونتو (Sokoto) الإسلامية باسم «جماعة يَنْتَارُو» (yan taru)، وتم ذلك بتأسيس مدرسة الشيخة أسماء بنت عثمان بن فوديو سنة ١٨٤٠م^(٥)، وبعدها تولّت التدريس فيه الشيخة مريم في بيت زوجها، حيث تأتيها الدارسات من جيرانها حتى من القرى، في جمع تقوده عجوز هرمة، يتعلمن القرآن والتوحيد والفقه والحديث واللغة العربية، ثم ترجع هؤلاء النسوة إلى أهلهن ويبشئن ما تعلمنه، ويحاربن به البدع والشعوذة^(٦).

(٤) المرجع السابق، ص ٦.

(٥) انظر: Aliyu Hamza: Developments in Islamic Education with Particular Reference to female Bayero 1995 رسالة ماجستير contribution. P. 145 .University, Kano

(٦) انظر: Jean Boyd: The Role of Women Scholars in the Sokoto Caliphate. Seminar ١٩٨٤

في زمن حركة جهاد الإصلاح التي قادها الشيخ عثمان بن فوديو وجماعته ببلاد الهوسا، والمناطق المجاورة، مثل مناطق في الجنوب الغربي لجمهورية النيجر، والبلدان الواقعة في شرق جمهورية بنين، ومنطقة غرب جمهورية الكاميرون، وذلك أن الشيخ نظّم تعليمه ووعظه وإرشاده للمرأة، فخصص للنساء أوقاتاً وأمكناً لذلك؛ فظن بعض العلماء والناس أن الشيخ يترك الرجال والنساء يختلطون في مكان ووعظه، حتى كتب العالم مصطفى غُونِي Gwani الأبيات الآتية إلى الشيخ يقول:

أيا ابن فوديو فمّ وأنذر أولي الجهل فامنع زيارة نسوان لوعظك إذ

لعلهم يفقهون الدين والدونا خلط الرجال بنسوان كفى شيئا^(١)

فأمر الشيخ عثمان شقيقه الشيخ عبد الله بأن يجيب هذا الشيخ، فرد عليه بالأبيات الآتية: يا أيهذا الذي قد جاء يرشدنا سمعاً لما قلت فاسمع أنت ما قلنا

نصحت جهدك لكن ليت تعذرنا وقلت: سبحان! هذا كان بهتاناً!

إنّ الشياطين إنّ جاؤوا لمجلسنا هم يبثون سوء القول طغيانا

لسنا نخالط بالنسوان كيف! وذا كنا نحذّر لكن قلت: سلمنا

إنّ كان ذلك، ولكن لا أسلم أن يُتركن بالجهل هملاً^(٢) كان إحسانا

إذ ارتكاب أخف الضّر قد حُتّما يكفّر الجهل إنّ ذا كان عصيانا^(٣)

(١) عبد الله بن فوديو: تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات، ص ٧

(٢) هكذا في المخطوط، والصواب (حملا)، والعلم عند الله

(٣) تزيين الورقات، ص ٧ - ٨

هناك، فزار مصر والسودان، وجال في الكتابات والمدارس الإسلامية الابتدائية والثانوية ومعاهد تدريب المدرسين، وهذا في فبراير ١٩٠٩م، وبعد عودته فتحت هذه المدرسة في كانو^(٤) للمرحلة الابتدائية والمتوسطة^(٥).

ثم جاء تأسيس المدرسة على هذه الكيفية ملبياً رغبة المسلمين نسبياً؛ حيث اصطبغت المدرسة بالصبغة العربية الإسلامية التي هي ثقافة الشعب، وكان أمراء المسلمين قد أشاروا إلى المستعمرين بلزوم إدراج المواد العربية والإسلامية في التدريس، فأدخلوا هذه المواد، وكانت المواد الدينية تُدرس بلغة الهوسا، وتدرس مبادئ اللغة العربية، ولا تتجاوز هذه المواد تحفيظ بعض السور القرآنية وقراءة بعض الكتيبات وترجمتها إلى اللغات المحلية (الهوسا والفلانية)، ولما نجحت تجربة تأسيس مدرسة كانو، فتحت مثلها في كل من وسكوتو وكستينا^(٦).

مما سبق؛ يظهر لنا أن تدريس اللغة العربية والمواد الإسلامية بالنظام الحكومي الحديث لم يكن - في هذه المرحلة - على مستوى رفيع، ومع أن المستعمرين أدركوا أهمية هاتين المادتين فإنهم أهملوا تدريسهما فيما بعد، وظل الأمر في مثل هذه المدارس الابتدائية والمتوسطة Primary and Middle School بهذه الحالة إلى زمن محاولات المدرسين رفع مستوى تدريس مادتي اللغة العربية والدين الإسلامي في المدارس الحكومية، حيث عقدوا

(٤) المرجع السابق.

(٥) وكان ذلك في شهر سبتمبر ١٩٠٩م، بدأ بفصل تدريب المدرسين الوطنيين، تدرس فيها: القراءة والكتابة بالهوسا، ومبادئ الحساب والجغرافيا والرسم، ومبادئ علم الصحة، ثم أضيفت العربية والدين.

(٦) المرجع السابق، ص ٩٤ - ٩٥.

ومن الدور الذي لعبته المرأة في دفع عجلة الدراسات العربية الإسلامية إضافتها الكثير من الإنتاجات الأدبية المنظومة، والتأليف المنشورة في اللغة العربية، كما نجده عند السيدة رقية الفلانية، والسيدة أسماء بنت عثمان بن فوديو، التي نظمت أشعاراً عربية في مختلف الأغراض كالثناء، والمراسلة، والمدح، والثناء على الله^(١). وكذلك مريم ابنة الشيخ عثمان بن فوديو، برسائلها العربية التي تدل على رسمية اللغة العربية في ذلك الزمن، كالرسالة التي كتبتها إلى أمير كانو عثمان^(٢) بن دابو، لما أرسل إليها يسألها عن أناس ينتقلون من بلاد الهوسا نحو الشرق بزعم قرب ظهور المهدي، فأجابته ببطلان هذا الزعم الذي يروونه هجرة، كما أنها ترجمت ونظمت (مختصر خليل) - في الفقه - إلى اللغة الفلانية.

أوليات التعليم العربي الحكومي الحديث ببلاد إفريقيا؛

يرجع تاريخ بدء التعليم العربي الإسلامي الحكومي الحديث ببلاد إفريقيا الغربية في شمال نيجيريا إلى سنة ١٩١٠م، وذلك بتأسيس أول مدرسة أنشأها الإنجليز لتأهيل المدرسين ومن يساعدونهم من الوطنيين، بعد أن أخفقت محاولاتهم في فتح مدارس التنصير بالمنطقة، حيث رفض الشعب تسجيل أطفالهم في هذه المدارس التنصيرية، فبعثت الحكومة الاستعمارية مست هنس بيشر^(٣) (Hanns Vischer) إلى البلدان الإسلامية التي تحت الاستعمار البريطاني ليرى طبيعة التعليم

(١) أدبية بلاد السودان.. نانا أسماء بنت الشيخ عثمان، ص ٨ - ٥٠.

(٢) جنيد بن محمد البخاري: عرف الريحان، ص ٦٠.

(٣) شيخو أحمد سعيد غلادنتي: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص ٩٣.



وأرادت المواصلة لم يكن لها خيار إلا أن تواصل في المدرسة الثانوية الإنجليزية للبنات، أو في مدرسة إعداد المدرسات.

الدراسة العربية الإنجليزية الثانوية الحكومية للبنات:

كما أشير سابقاً أن الفتاة بعد التخرج من المرحلة الابتدائية العربية الإسلامية، لم تكن لها مدرسة ثانوية تواصل فيها الدراسة العربية الإسلامية، والبرنامج الذي اجتازته كان يركز في المواد الدراسية المهمة، وهي مواد اللغة العربية، من قراءة، وكتابة وإملاء، وإنشاء، ونحو، ومطالعة، إضافة إلى المواد الإسلامية، وتُجرى الدراسة بالعربية الخليطة باللغات المحلية، وإذا رغبت الطالبة في مواصلة الدراسة فعليةا أن تلتحق بالمدرسة الثانوية الإنجليزية للبنات. والسؤال هنا: هل توجد في هذه الثانوية الدراسة العربية؟ وهل تستطيع المتخرجة في ابتدائية عربية مواكبة الدراسة في مثل هذه المدارس؟ وما هي طبيعة الدراسة العربية الإسلامية فيها؟

للإجابة عن الأسئلة السابقة نقول: أولاً أُسست أول مدرسة ثانوية خاصة للبنات في كَنُو سنة ١٩٤٧م^(٥)، وهي مدرسة حكومية إنجليزية إعدادية للمدرسات، وسميت «كلية إعداد المدرسات» (Women Teachers College، Kano)، والدراسة في المدرسة غالبيتها إنجليزية، لكن يوجد فيها مادة اللغة العربية والدين الإسلامي.

وكان عدد حصص اللغة العربية وخصص الدين كلها ست ساعات في الأسبوع في المرحلة الإعدادية، ثم تكون سبع حصص في

مؤتمراً كانوا لإعادة النظر في وضع منهج اللغة العربية والدين، وذلك في يناير سنة ١٩٣٨م^(١)، فتحسّن الأمر نوعاً ما.

تأسيس أول مدرسة عربية حكومية:

وهي «المدرسة الشرعية الكبرى» في كانو Northern Province Law School، والتي أسهمت بدرجة كبيرة في تطور تعليم اللغة العربية، والدراسة الإسلامية، والمحافظة على قيمتهما ومكانتهما، وعلى شرف دارسيهما في نيجيريا.

وكان التأسيس في زمن أمير كانو الحاج عبد الله بَايَرُو، بعد عودته من الحج سنة ١٩٣٤م^(٢)، فرجع بفكرة إنشاء مدرسة على غرار ما شاهده في الديار المقدسة وفي السودان، وفتحت المدرسة في السنة نفسها لتخريج القضاة، وكان من أساتذتها ثلاثة من القضاة السودانيين^(٣).

وفي سنة ١٩٤٧م عدّل في منهج المدرسة، وأدخلت فيه الرياضيات، وتدريب المعلمين في مواد اللغة العربية، إضافة إلى تخريج القضاة، وغير اسم المدرسة إلى «مدرسة العلوم العربية»، وكان التدريس فيها باللغة العربية، والالتحاق بها يكون لمن تخرج في الإعدادية^(٤). وأما ما يتعلق بتعليم الفتيات؛ فلم تتجاوز دراستهن المستقلة في اللغة العربية والدراسة الإسلامية المرحلة الابتدائية، وأكثر المدارس العربية كانت أهلية، وإذا تخرجت في الابتدائية

(١) المرجع السابق، ص ٩٦ - ٩٧.

(٢) حركة اللغة العربية في نيجيريا، ص ١٠٠، وانظر (History of Education in Nigeria. P. 56)

(٣) الثقافة العربية في نيجيريا، ص ٢٢١.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(٥) انظر: University Primary Education in Nigeria. 79-A Study of Kano State. P. 78

السنة النهائية^(١) للثانوية.

والدراسة عبارة عن قراءة في كتيبات عربية وشرحها باللغة المحلية، ثم تدريب الطالبات على الإملاء والنقل لما في الكتاب المقرر في مادة العربية، وأما حصة الدراسات الإسلامية فتتمثل في تلقين المدرس الطالبات بعض السور من القرآن، تکررها الطالبات، ثم يُكلفن بحفظ بعضها، وتعليم مبادئ العبادات والأخلاق. وأما باقي المواد فهي تُدرس باللغة الإنجليزية، وهذا يعني أن الطالبة التي تخرّجت في المدارس العربية الإسلامية تُغيّر تخصصها إلى الدراسة الإنجليزية في المرحلة الثانوية، وهذه الطالبة تستطيع مساندة كل المواد المدروسة بالإنجليزية في مستوى زميلاتها اللاتي تخرجن في الابتدائية الإنجليزية، وقد تتفوق عليهن أو على بعضهن.

أنشأت ولاية كانو في سنة ١٩٧٧م أول مدرسة عربية ثانوية خاصة للبنات باسم «كلية إعداد مدرّسات العربية»

ثم هذا التغيير للتخصص قد تعدّله - نوعاً ما - في المرحلة التي بعد الثانوية بالمعاهد أو الجامعة؛ حيث تستطيع الالتحاق ببرنامج الدبلوم أو الليسانس في الدراسات الإسلامية واللغة العربية؛ شريطة أن تتجح بتقدير جيد في هاتين المادتين مع بقية المواد في العبادات في الامتحان النهائي للحصول على الشهادة الثانوية.

تطور التعليم العربي الحكومي للمرأة

في كانو:

أهداف التعليم العربي الإسلامي:

يمكن تلخيص أهداف تأسيس المدارس العربية الإسلامية الحكومية الثانوية الخاصة للبنات فيما يأتي:

١ - تزويد الفتاة بالتعليم الديني والتربية وتعريفها مسؤوليتها، وخصوصاً بعد أن تصبح أمّاً.

٢ - إيجاد كادر نسوي يعمل في الحقل التربوي والتخصصات الأخرى المناسبة.

٣ - إعداد المرأة لمواصلة الدراسات العليا.

٤ - إيجاد قارئة حافظة لكتاب الله ومدّسة له^(٢).

٥ - تثقيف الفتاة في التدبير المنزلي والتدريب المهني المناسب لها.

رأينا فيما سبق كيف كانت الدراسة العربية والإسلامية الثانوية في أول أمرها، وأن التعليم العربي للمرأة في هذه المرحلة لم يجد اهتماماً كبيراً في المدارس الحكومية، وقد أنشئت مدارس ابتدائية عربية إسلامية أهلية كثيرة، تعد بالعشرات إن لم تكن بالمئات في كانو ويتخرج فيها الطالبات، ويرفض أولياء أمورهن أن يلتحقن بالمدارس الإنجليزية حفاظاً على دينهن؛ فجعل الآباء وأولياء الأمور والغيورون يرفعون الشكوى والمطالبة بفتح مدرسة عربية للبنات.

وقد أدركت الحكومة حاجتها إلى مدرّسات للغة العربية والتربية الإسلامية خصوصاً في مدارس البنات، لذا أنشأت ولاية كانو في سنة

(٢) يتأكد هذا الهدف بإنشاء مدرسة وأقسام تجويد وتحفيظ القرآن الكريم.

(١) حركة اللغة العربية، ص ٩٧.



وتُقبَل في هذه المدرسة الطالبة المتخرجة في الابتدائية الإسلامية، أو الكتاب، أو في ابتدائية حكومية، بعد اجتياز امتحان القبول في الثانوية، والذي تعدّه وزارة التربية والتعليم التابعة للولاية بعناية، ويتم إسكان الطالبات بوحدات إسكان خاصة بهن، ويجدن الرعاية الصحية، والتوجيه والإرشاد، وتُلزم الطالبة بلبس زي المدرسة (الحجاب).

المنهج الصّفي (المواد المقررة) حسب المرحلة والتخصص:

المنهج الصّفي للمدارس العربية الثانوية^(٢) (المقررات الدراسية) الخاصة للبنات متنوع حسب الأقسام الموجودة بالمدرسة، فكلّ قسم مقررات منهجية خاصة به تناسب الأهداف التي من أجلها أنشئ القسم، ويوجد ثلاثة أنواع من المناهج حسب التخصص.

١ - منهج مدارس الدراسات الإسلامية العالية للبنات.

٢ - منهج مدارس التحفيظ للبنات.

٣ - منهج مدارس تجويد القرآن للبنات. وسوف نعرض الأول والثاني؛ إذ لم تتوفر لنا معلومات كافية عن مقررات قسم التجويد.

منهج الدراسات الإسلامية العالية يشمل الآتي:

مقررات المرحلة الإعدادية:

الدراسات الإسلامية: القرآن الكريم، التجويد، التفسير، الحديث، التوحيد، الفقه، السيرة والتاريخ.

الدراسات العربية: الخط، الإملاء، الإنشاء، القراءة والمطالعة، المحادثة، النحو، تاريخ الأدب العربي، النصوص الأدبية.

١٩٧٧م^(١) أول مدرسة عربية ثانوية خاصة للبنات باسم «كلية إعداد مدرّسات العربية» Women Arabic Teachers' College Sharada Kano، بحَيِّ شَرَطَ مدينة كَانُو، تحت إشراف وزارة التربية والتعليم بكانو، وكانت هذه المدرسة الأولى من نوعها، ليس في كانو أو في بلاد الهوسا أو في نيجيريا فحسب، بل في دول غربي إفريقيا عامة.

ثم فُتحت أبواب فصول الدراسة في مقر المدرسة بالحي الجنوبي لمدينة كانو في السنة المذكورة سابقاً، ويضم المبنى بعد فصول الدراسة مبنى الإدارة، ومبنى وحدات إسكان الطالبات، والمطعم، ومرافق أخرى تحتاج إليها المدرسة، وقد وصل عدد الطالبات سنة ١٩٨٠م إلى مائة وسبعين طالبة^(٣)، ثم نُقلت المدرسة إلى مبنى أوسع في داخل سور المدينة بالجهة الغربية قريباً من تل غُورُون دُوَطي (Goron Dutse Hill)، وسُميت «كلية مدرّسات العربية».

وكانت هذه المدرسة نموذجاً طيباً، وفتاحة خير لإنشاء مدارس أخرى عربية إسلامية في الولاية نفسها، وذلك لإقبال الآباء وأولياء أمور الطالبات من سكان هذه الولاية، ومن باقي الولايات القريبة والبعيدة في نيجيريا، ومسارعهم لإلحاق بناتهم بهذه المدرسة.

وبإنشاء هذه المدرسة فُتحت صفحة جديدة لتطور مستمر في تاريخ التعليم العربي الإسلامي الحكومي الخاص بالمرأة في بلاد الهوسا عامة ومدينة كَنُو خاصة؛ إذ وجدت الدراسة جواً دراسياً عربياً إسلامياً الصبغة.

(١) انظر: University Primary Education in Nigeria. P. 120.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٠.

(٣) قسم الدراسة العربية الإسلامية، وزارة التربية والتعليم، ولاية كانو نيجيري.

الإنشاء التحريري والشفوي.
لغة الهوسا: الأدب والقواعد.
اللغة الإنجليزية.
التربية.
الدراسات الاجتماعية.
العلوم.
الزراعة.
الحساب.

الخاتمة:

التعليم الإسلامي العربي للمرأة في إفريقيا له مستقبل جيد، وفرصة التخصص في التعليم الإسلامي العربي للبنات متوفرة في كل المراحل الدراسية، من روضة الأطفال والابتدائية مروراً بالمرحلة الثانوية الدبلوم الوسيط حتى المرحلة الجامعية، وفي المرحلة الجامعية يمكن للمرأة مواصلة الدراسات العليا حتى مرحلة الدكتوراه في كثير من الجامعات في نيجيريا، وباب القبول مفتوح للطالبات الأجنياب، وأيضاً من المؤشرات للمستقبل المشرق فتح كلية جامعية خاصة للبنات في الجامعة الإسلامية بدولة النيجر، والتي تخرجت فيها دفعات عديدة من بنات إفريقيا.

ومع هذا ما زالت هناك تحديات، تناول بعضها من قام ببحوث في مشكلات التعليم الإسلامي العربي.

مبادئ التربية.
إحدى اللغات النيجيرية الرئيسة (الهوسا).
اللغة الإنجليزية.
التدبير المنزلي.
الرياضيات.

مقررات المرحلة الثانوية:

الدراسات الإسلامية: القرآن وعلومه، التفسير، التوحيد، الحديث، مصطلح الحديث، الفقه، أصول الفقه، المنطق.

الدراسات العربية: النحو، الصرف، الترجمة، تاريخ الأدب العربي، الأدب العربي النيجيري، النصوص الأدبية، النقد الأدبي، التعبير الشفهي والكتابي، العروض والقافية، البلاغة، المطالعة.

التربية: التربية وعلوم النفس، طرق التدريس العامة والخاصة، التربية العملية.

التاريخ الإسلامي.

الرياضات.

اللغة الإنجليزية.

لغة الهوسا وآدابها.

التدبير المنزلي والتربية المهنية.

بعض هذه المقررات يدرس في كل مستويات المرحلة، وبعضها الآخر يدرس في مستوى بعينه، وهذا يعني أنها مقسمة في المدة الزمنية للدراسة في المرحلة، وهي ثلاث سنوات في الإعدادية وأخرى في الثانوية.

مقررات مدارس التحفيظ:

القسم الثانوي:

الدراسات القرآنية: الحفظ والتلاوة، القراءات، الترتيل والتسميع، التنغيم، علوم القرآن والتشريع، التفسير.

الدراسات الإسلامية: التوحيد، الفقه

وأصوله، الحديث ومصطلحه.

الدراسات العربية: النحو، الأدب والنصوص،



مظاهر تأثير التعليم الغربي في التعليم الإسلامي في إفريقيا

محمد البشر سمبلا (*)

المدارس كان جزءاً متمماً للنظام الاستعماري، وكان من المهم تجنب أن يكون تعليم سكان البلاد من الوطنيين دافعاً للاضطراب الاجتماعي، بحسب تعبير G. Hardy، ومن هنا أتى التقنين في التعليم والمناهج المبتورة التي كانت تتجنب الخوض في التاريخ الإفريقي الأصيل، بل التوسع في الثقافة العامة التي تؤدي إلى تنوير العقول.

والواقع أن التعليم الاستعماري كان ترجمة مدرسية للعمل الإجمالي؛ لذلك لم يكن مستغرباً عن الزعماء الذين كان يُطلب منهم إرسال أبنائهم إلى المدرسة أن يرسلوا بدلاً عنهم ما عندهم من صغار العبيد^(٤).

أهداف التعليم الاستعماري وسماته قبل مرحلة الاستقلال:

يمكننا تسجيل ملاحظات وسلبيات كثيرة على التعليم الاستعماري ونظامه في إفريقيا خلال القرن التاسع عشر، فقد اتسم هذا التعليم بسمات معينة، تصب في السياق العام لحركة الاستعمار في القرن التاسع عشر، حيث كان يصدر عن مرجعية غربية عن الواقع الذي يطبق فيه، لا تتلاءم مع ضروريات المجتمع وحاجاته الأساسية، ويستهدف تحقيق أهداف استعمارية محددة.

وكان من أهم أهدافه ما يأتي:

- أن التعليم في إفريقيا لم يكن بغرض الأخذ بيد الإفريقي ليواكب ركب التقدم والحضارة؛ وإنما

الأثار السلبية التي خلفها التعليم الغربي في إفريقيا، تمس قضايا جوهرية في جوانب الحياة التعليمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، قال عبده موميني أحد التربويين المشهورين في غرب إفريقيا: إن «التعليم الاستعماري قد أفسد تفكير الإفريقي وحساسيته وملأه بعقد شاذة»^(٢).

اعتقدت فرنسا - كغيرها من الدول الاستعمارية الأخرى - أنها تحمل رسالة حضارية إلى الشعوب السوداء المختلفة، وأن ذلك يتطلب التغيير الجذري لكل النظم السياسية والثقافية والاجتماعية السائدة في تلك المجتمعات البدائية المتخلفة، وهو ما أكدته حوليات الحكومة الإفريقية الغربية الفرنسية (A.O.F) بقولها: «بواسطة مدارسنا نستطيع أن نقيم علاقات مع الأهالي ليطلعوا على ثقافتنا ويعترفوا بنا، ومدارسنا في القرى والأرياف تلعب دوراً سياسياً أكثر من دورها التعليمي والتربوي، وكل ما نقوله هو أن أهداف هذه المدارس بين الأهالي تجمع بين الأهداف السياسية والاقتصادية»^(٣).

ومن البديهي أن مضمون التعليم في هذه

(*) مدرس الحضارة والأدب الإفريقي بالمدرسة العليا لإعداد المعلمين - مالي.

(٢) د. إسماعيل زنگو برزي: قضايا لسانية إفريقية، ط ١، ٢٠١١م / ١٤٣٢هـ، بماكو مالي، ص ١٢٦.

(٣) توري علي بن موسى: أثر الاستعمار الفرنسي على التعليم الإسلامي في ساحل العاج (كوت ديفوار) أطروحة ماجستير - جامعة إفريقيا العالمية ١٩٩٦م - ١٩٩٧م، غير منشورة، ص ٩٢.

(٤) جوزيف - كي - زيريو: تاريخ إفريقيا السوداء، ترجمة: يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، سوريا - دمشق ١٩٩٤م، ج ٢ / ص ٧٨٢.

الإفريقية تحت سيطرته، كان حريصاً على ألا يدع مجالاً لظهور كيانات سياسية كبيرة في إفريقيا، فكانت استراتيجيته قائمة على التفتيت، وتكريس واقع الانفصال القطري، حتى لو أدى ذلك لتقطيع القومية الواحدة ليصير كل قطر عالماً بذاته، فالاستعمار البلجيكي - مثلاً - اتبع طريقة تعليم كل مجموعة لغوية على حدة، بلغتها في الكونغو، وهو ما باعد بين هذه المجموعات، وأخل بعلاقتها التقليدية^(٣).

ولهذا حينما عاد قادة التحرر الإفريقي من المهجر الأوروبي ليقودوا عملية النضال من أجل التحرر والوحدة؛ اصطدموا بحالة التجزئة القطرية التي فرضها الاستعمار، فكيفوا أنفسهم مع ذلك الواقع، وصارت رؤاهم الوحودية الكبرى تضمحل وتتضاءل لتتلاءم مع ذلك الواقع الجديد^(٤).

ولقد تحدّث الكاتب النيجيري تشينوا أتشيبي Chinua Achebe عن هذه التفرقة والتجزئة في أولى رواياته عام ١٩٨٥م، في إنجلترا، بعنوان: (الأشياء تتداعى) Things Fall Apart ومدارها حول مأساة مزدوجة، فلما تنقضي العقوبة، ويعود إلى قريته، يكتشف أن المشيرين أقاموا الكنائس، وعسكروا داخل القرية، وعند ذلك يغضب ويثور، ويحارب رجال الإدارة الاستعمارية حتى يقتل رسولاً بعثه المأمور الأبيض لإيقاف اجتماع العشيرة، الذي دعا إليه (أوكونكو) بطل القصة، ولكنه سرعان ما يجد نفسه وحيداً في هذا الصراع الجديد، فقد انقسم القرويون، وتداعت الوشائج القبلية، وفي غمرة من الإحساس بالغربة والإحباط يشق نفسه^(٥).

كان بهدف التأثير في تفكير الإفريقي وروحه؛ بحيث يصبح من السهل اقتياده وإخضاعه ونهب خيرات بلاده.

- إعداد جيل من المواطنين والكتبة والسعاة لملء الوظائف الشاغرة في إدارة المستعمرات والشركات الرأسمالية الموجودة فوق الأراضي الإفريقية.
- محاربة مراكز التعليم الإفريقي والإسلامي، وتجريدها من قواعدها الاقتصادية؛ حتى تعيث يد التعليم التنصيري بكل شيء، وحتى يصبح للمستعمرين اليد الطولى في هذا المجال.

أما أبرز سمات التعليم الغربي الاستعماري، فهي:

١ - حرص المستعمرين على تقديم تعليم متواضع؛ ولم تصل التغيرات العلمية الكبيرة إلى الفصول الدراسية إلا في مدارس محدودة للغاية.
٢ - لم يكن محتوى التعليم إفريقياً بل كان أوروبياً بحتاً؛ فعندما ذهب أطفال البمبا إلى المدرسة كي يتعلموا مقرراً دراسياً عن حياة النبات؛ تلقوا تعليماً عن الزهور الأوروبية ولم يتلقوا تعليماً عن أشجار إفريقيا^(٦).

٣ - الانبثاق عن مرجعية غربية عن بيئة المتعلم وظروفه؛ وتجاهله التام لتريكية بيئة المتعلم الاجتماعية والنفسية والجغرافية والاقتصادية، فهو متسم بإسقاطه مشكلات غربية على البيئة^(٧).

٤ - محاولته غرس روح الانبهار بالغرب والعجز أمام قدراته؛ وذلك بتلقين الطالب الإفريقي بأن فرنسا - مثلاً - دولة غنية جبارة قادرة على فرض نفوذها.

٥ - زرع التفرقة والشتات في المجتمعات الإفريقية؛ فالاستعمار الأوروبي، حينما وقعت البلاد

(٣) امبايلوبشير: قضايا اللغة والدين في الأدب الإفريقي، مركز البحوث والترجمة السودان، ١٩٩٥م، ص ٥٣.

(٤) محمد البشير سمبلا: النكسة الأخيرة لحركة الجامعة الإفريقية، محاضرة لطلاب الكليات والمعاهد العليا بجامعة بامكو.

(٥) جيوالدمور: سبعة أدباء من إفريقيا، ترجمة: علي شلش، كتاب الهلال العدد ٣١٨، يونيو ١٩٧٧م، ص ١٢٢، بتصرف.

(٦) عبد العزيز الكحلوت: الاستعمار والتصوير في إفريقيا السوداء، منشورات صحيفة الدعوة الإسلامية، ط ١، ١٩٩١م، ص ١٠٠.

(٧) د. قطب مصطفى سانو: النظم التعليمية الوافدة في إفريقيا، كتاب الأمة، قطر، المحرم ١٤١٩هـ، العدد: ٦٣، ص ٤٩.



المدفع والتوراة نحو القلب الإفريقي!
لقد امتلأت الأرض بالدماء لأن أبناءها .. نهضوا
لكي يدافعوا عن فجر الحرية⁽¹⁾!
وقد استطاعت الكنيسة أن تلتقط بعض أبناء
الأفارقة، وأن تقتلعهم من الثقافة الأم وتدرجهم
في إطار الحضارة الأوروبية لغة وديناً وزبياً، حتى
صار يُشار إليهم باسم «أبناء الإرسالية» Mission
Boys تمييزاً لهم عن المواطنين من جهة، وعن رجال
الكنيسة البيض من جهة أخرى، وعن موظفي الإدارة
الاستعمارية من جهة ثالثة.

من أخطر مظاهر تأثير التعليم الغربي التنفير من الدين

ولم يكن هذا التمييز في كل الأحيان مصدر
نفع خالص، وإنما كان في أغلب الأحيان مقروناً
بشيء من مشاعر الاحتقار التي لا تخفيها أي من
هذه الجهات الثلاث، فالوطنيون لا يرتاحون ولا
يطمئنون لأبنائهم الذين انفصلوا عن عاداتهم وتراثهم
وأديانهم، والإداريون الأوروبيون العلمانيون لا يخفون
استخفافهم بهذه الفئة الساذجة التي يُراد تطويعها
وإدراجها في النظام الكنسي، والسذي لم تتطور
أوروبا إلا بعد التمرد والخروج عليه، أما القساوسة
الأوروبيون أنفسهم فلعلمهم كانوا يندبون حظهم الذي
أوقعهم بين هذه «النفوس المتبلدة» التي لا تنفذ إليها
روح المسيح بالرغم من جهود السنين!

آن الأوان لابن الإرسالية - مع تزايد معرفته
بالظاهرة الاستعمارية - أن يدرك أن الكنيسة التي
أخرجته من دينه لم تدخله في شيء يستعيب به عن
ذلك إلا في طقوس الدين وأشكاله التي تتناقض مع

٦ - قيامه على سياسة الاحتقار والإذلال والاثام
بالتأخر والبربرية: والتي زرعت خلال فترة طويلة
في نفوس الشعوب الإفريقية المحتلة شعوراً بالدونية
والنقص، فأسس التربية والتعليم في المستعمرات
كانت ترسخ في الطالب الإفريقي فكرة انتمائه إلى
العالم «البدائي» الذي يروم العالم الغربي المتحضر
تمدينه، فالكتاب المدرسي كان يصور الإنسان
الإفريقي تعساً في هيئته، مترهلاً في شكله ومنظره،
يميل للطرب أكثر من ميله للتفكير، ثنائي الحياة بين
دق الطبول وطقوس الأجداد، من ثم يترعع الطالب
الإفريقي قانعاً بحظه الوضيع في الحياة، مقدساً
عبقرية الرجل الأبيض، مؤمناً بأسطورته.

ورواسب هذا العهد ما زالت باقية في سياسة
الدول الكبرى، وكذا في نظرتها إلى الشعوب
حديثة العهد في الاستقلال السياسي، ولأن الدول
الاستعمارية كانت هي دول أوروبا جعلت من لون
بشرتها البيضاء علامة التقدم وأهلية القيادة، تبعاً
لنتائج البحث الذي وقع تحت تأثير الاستعمار في
العلوم الإنسانية، وفي مقابل ذلك جعلت الألوان
الأخرى، ما عدا اللون الأبيض، رمزاً للإخلف، وإمّا
للتقدم المحدود الذي لا يعطي الصلاحية الكاملة
لقيادة البشرية.

وقد عبّر عن ذلك الشاعر السنغالي: دافيد ديوب
DAVID DIOP بقوله:

«قاس وتآلم أيها الزنجي التعس....»

أيها الزنجي الأسود سواد الأحران».

وقد جمع «دافيد ديوب» كل ألفاظ الإهانات
التي توجّه لبني جنسه من الزنوج في قصيدة بعنوان:
(الأبيض قال لي)، فيقول: ما أنت إلا زنجي!

وكثيراً ما تناول الإفريقيون الشعراء مهمة (أوروبا
في نشر الحضارة) في أشعارهم، ساخرين وواصفين،
فوجد «أماودو مصطفى واد» تناولها في ملحمة
الاستعمار قائلاً في اقتضاب:

ها هم قادمون (ناقلوا الحضارة).. وهم يصوِّبون

(1) محمد البشر سميل: النظم الاستعمارية والتناقض الداخلي،
محاضرة لطلاب المدرسة العليا لإعداد المعلمين - بماكو مالي.

ولكنها أيضا تضر بالسيادة القومية؛ لأن السيادة ليست على الأرض والناس فحسب، ولكنها أيضا تمتد إلى القيم والنظم التي تعمل في إطارها.

ثانياً: الموقف الشعبي:

لم يكن موقف الشعوب المسلمة في تحدي التعليم الغربي الاستعماري مناسباً في كلا العهدين - العهد الاستعماري والعهد الوطني-، فقد اقتصر ردُّ فعلهم على الإعراض الجزئي عن المدارس الكنسية والحكومية على أيام الإدارة الاستعمارية، ولم يدرك أحد منهم ضرورة تطوير نظام التعليم الإسلامي؛ بالرغم من أنهم وجدوا أنفسهم يقفون في آخر الصف بعيداً عن مواقع التأثير في حركة الحياة.

لقد أورتنا التعليم الغربي تقديم المنفعة المادية على المنفعة الأخروية

كما لم ينشط المسلمون في إقامة الجمعيات التي تنشئ المدارس الحديثة لأبنائهم أسوة بغيرهم من الهيئات والطوائف؛ إذ أن هذا الطريق أخف وطأة عليهم من الانجاء إلى مدارس الحكومة في غياب الطريقة المثلى، وهي تكمن في وضع مواد اللغة العربية والعلوم الإسلامية في مناهج المدرسة العربية الحديثة، ثم اتباع الطرق الحديثة في تدريس هذه المواد.

كما أنهم لم يستطيعوا حمل حكوماتهم الوطنية على تغيير مناهج التعليم التربوي حتى تساير مصالح المواطنين المسلمين.

ثالثاً: موقف المتغربين:

أما غلاة الداعين لتمديد الأفارقة عن طريق الكنيسة؛ فقد كان هدفهم إسقاط المعارف الإفريقية السابقة للاستعمار الأوروبي واستئناف العملية التعليمية من الصفر، والسير بها في اتجاه النهج

روحه وتتناقض مع مصالحه المدنية، وأن المنصرين الذين يبشرونه بوعود زائفة كانوا يفضون الطرف أو يتواطؤون بصورة مباشرة مع الإدارات الاستعمارية التي سفكت دم الإنسان الإفريقي، ونهبت ثروته، واحتقرت ثقافته، واشمازت من لون بشرته.

الموقف من التعليم الغربي في ظل الاستعمار وفي عهد الحكومات الوطنية:

يبدو للدارس، في كثير من البلاد الإفريقية، أن الاستعمار ما زال موجوداً وإن اختفى وجوده الإداري، وأظهر ما يكون وجوده في مؤسسات التعليم، حيث بقيت أهداف التعليم ومناهجه ووسائله ومؤسساته كما هي؛ وإن زاد عدد المدارس والمؤسسات التعليمية⁽¹⁾، ونستعرض هنا موقف كل من الحكومات والشعوب والمتغربين من التعليم الغربي.

أولاً: موقف الحكومات:

ورثت حكومات العهد الوطني نظمها التربوية عن الإدارة الاستعمارية، ولم يشغل الساسة الأفارقة بعد الاستقلال أنفسهم بشيء آخر غير الصراع على كراسي السلطة وإظهار أيهم أقرب مودة ورحمة للدولة التي كانت تستعمر بلاده، وهي (الدولة الأم) كما كانت تُسمّى عند بعضهم.

ولم يلتفت المسؤولون في البلاد الإفريقية لمعالجة مشكلات التعليم، ولم يعطوا أهمية لدور التعليم في التربية والتوجيه وتكوين الإنسان الحر المستقل؛ ولذا لم يتمكن التعليم من أداء دور في النمو الاجتماعي والاقتصادي⁽²⁾، ذلك أن النظم التعليمية في معظم أنحاء إفريقيا صورة من النظم التعليمية للبلاد الأوروبية التي كانت تستعمرها وصبغتها بصبغتها الخاصة، وهي تفرض وصاية تربوية وتعليمية، لا تضر بالعقل الإفريقي وحده،

(1) أحمد عمر عبيد الله: لمحة عابرة عن التعليم في إفريقيا، رسالة إفريقية، العدد الأول، ديسمبر 1991م، ص 34.

(2) أحمد عمر عبيد الله: المرجع السابق، ص 34.



الغربي، بغرض تذويب الإنسان الإفريقي وإدراجه في الحضارة الأوروبية^(١).

مظاهر تأثير التعليم الغربي في إفريقيا بعد مرحلة الاستقلال:

تعاني إفريقيا في مرحلة ما بعد الاستقلال، ومعظم دولها في عقودها السابعة من الاستقلال الجزئي، مظاهر وتأثيرات غربية خطيرة في العديد من الجوانب، وعلى رأسها التعليم الإسلامي.

فمن أبرز آثار التعليم الغربي في جانب التعليم الإسلامي فقدان الثقة التامة عند بعض الفئات المعنية بالتعليم الإسلامي، كأنما هو تعليم متخلف رجعي يورث الخوف والاضطراب النفسي، فالتعليم الإسلامي يعاني غربة يوماً بعد يوم، وخصوصاً بين المتحدثين بالثقافة الفرنكوفونية والأنجلوسكسونية، بالرغم من المؤتمرات واللقاءات المتكررة لتأكيد أهميته وتعزيز مكانته.

وليس أدل على ذلك من وقوع بعضهم فيما يُسمّى بالتحدي والاستجابة، حيث نجد كثيرين ممن تعلموا في مؤسسات التعليم الإسلامي غلبتهم الظاهرة الاستعمارية - القابلية الاستعمارية - في عقر ديارهم، فأدخلوا معظم أولادهم في المدارس الاستعمارية، مؤمنين ومتيقنين أن المستقبل الظاهر والغد القريب يتحقق به.

ولم يقف طمس معالم الثقافة الإفريقية والإسلامية عند هذا الحد، ولكنه تخطى إلى تغريب الدين والعواطف والقيم والمقاييس والمواقف والاتجاهات ليكون التاسب كاملاً بين الجيل الناشئ الذي تم إعداده وبين المهمة التي يراد إسنادها إليه^(٢).

(١) من محاضرات الباحث لطلاب المدرسة العليا لإعداد المعلمين EN.Sup بـماكو - مالي.

(٢) د. إسماعيل زنفو بريزي: قضايا لسانية إفريقية، مرجع سابق، ص ١١٢.

لقد أورتنا التعليم الغربي تقديم المنفعة المادية على المنفعة الأخروية، وهو ما أفقدنا أحياناً الثقة في منفعة التعليم الإسلامي، ويحضرني في هذا المقام قول أحد الإخوة عندما قال - أسفاً وتحسراً - : هل الذنب علينا نحن الذين قبلنا هذا النوع من التعليم أو الذنب على أولياء أمورنا؟ فقال مجيباً نفسه: الذنب علينا نحن حيث قبلنا مواصلة التعليم بالرغم من وضوح عدم فاعليته، وأنه لا ينبغي لأحد المواصلة في هذا النوع عند بلوغه سن الرشد والتمييز!! وقال الآخر: لو كان تعليمي هذا تعليماً فرنسياً أو إنجليزياً لحصلت منه خيراً كثيراً!!

ومن أخطر مظاهر تأثير التعليم الغربي التفرير من الدين من حيث مبادئه، فالغرب بصفة عامة، والفرنسيون بصفة خاصة، يعملون بجديّة على طمس معالم الدين من قلوب المجتمع الذي وقع تحت نيره؛ لتحطيم البنية التحتية أو الدعامة الأساسية العقدية التي يقوم عليها المجتمع المسلم؛ إذ يغرس التعليم الغربي في نفوس الشباب التهاون بأمر الدين، وجعله في نظرة الشبية أمراً لا يستحق أدنى تقدير، وينجم عن ذلك في نهاية المطاف عدم التزام الفرد بأوامر الوحي^(٣).

بالإضافة إلى ترغيب المجتمع في ثقافة الغرب في إطار منظومة القيم والعادات والتقاليد الغربية، حرصاً منه على السيادة الفكرية، والعمل على بليلة القيم الإسلامية لدى المجتمع المعني، بحيث يكون الفرد كريشّة في مهب الريح؛ مما يؤدي إلى إحداث شرح غير هين في البنية الاجتماعية.

والأساليب التي تتخذها فرنسا لتحقيق ذلك كثيرة، على رأسها الثقافة التعليمية، وذلك الكم الهائل من المنشورات المكتوبة والمجلات المصورة التي تعج بالصور الفاضحة، والكلمات البذيئة المحلّة

(٣) محمد البشر سميلا: الأوضاع السياسية وآثارها على التعليم الإسلامي في مالي، رسالة الماجستير، غير منشورة.

ومن أبرز المظاهر استخدام التاريخ الميلادي في كل المعاملات اليومية، بما فيها مؤسسات التربية والتعليم، وهي من أبرز آثار التعليم الغربي في تاريخ إفريقيا المعاصرة، يُضاف إلى ذلك الاحتفال بـ ٢١ ديسمبر نهاية العالم الميلادي ووداعه والدخول في عام ميلادي جديد .

رؤية في معالجة آثار التعليم الغربي، والنهوض بالتعليم الإسلامي؛

بعد إخفاق تجربة النظم التعليمية الوافدة على القارة الإفريقية؛ فإن تجربة التعليم الإسلامي هي الأداة الوحيدة التي توحد الشعوب الإفريقية.

وتتمثل الإصلاحات التعليمية في إعادة كتابة مناهج التاريخ الإفريقي وتفرغته من التشويهات التي بثها المستعمرون وأنصافهم، وإظهار دورهم في تجارة الرقيق على أنه ثانوي، وإثبات الدور الرئيس والكبير للأوروبيين في تلك التجارة التي عبرت المحيط الأطلسي إلى أوروبا وأمريكا، والتعريف بالدور الرائد للأفارقة المسلمين في إثراء المعارف الإسلامية والإنسانية، وإدخال اللغة العربية في مناهج التعليم الإفريقي بوصفها لغة يتكلمها ٥٠٪ من سكان القارة الإفريقية، ولها تاريخها المشهود في إفريقيا، بالإضافة لمعالجة قضايا العلوم الإسلامية داخل المنهج الحكومي^(٢).

نريد أن يكون للتعليم الإسلامي مكانته السامية، وأن يُعطى القدر اللائق من الاهتمام من الجهات الشعبية، والجهات الرسمية والمسؤولة، وعلى الحكومات الإفريقية أن تستفيد من الازدواجية الثقافية، وأن تضع لها حساباتها في التخطيط لعملية التعليم.

التي تكون لها وقع سيئ في نفوس الناشئين، كما تؤثر سلباً في سلوكهم، فضلاً عن الكم الكبير والمتدفق من الكتب الشيوعية والرأسمالية صوب القارة، والتي تمثل في منهجيتها دعوة سافرة للإلحاد، وفي ظل هذا الوضع المعادي لكل ما من شأنه أن يخدم الدين من قريب أو بعيد انتفى ذلك الشعور بالانتماء الديني لدى الأفراد .

ومن آثار التعليم الغربي الهزيمة النفسية، فقد تعرض الأفارقة، والدول التي استعمرت أنحاء أخرى من العالم، لحرب نفسية وثقافية، جعلتهم على الأقل يقبلون الرؤية الأوروبية للأشياء، ويعني ذلك أن الإفريقي نفسه يحمل شكوكاً حول قدرته على تحويل بيئته الطبيعية وتطورها^(١).

إن النظرة الغربية للحياة - لمعظم سكان إفريقيا - والتأثر بالفرنجة جعلتهم لا يعبؤون بأمور الإسلام والمسلمين، فالدولة علمانية في معظم جوانبها، وينعكس ذلك - دون شك - على العمل الإسلامي الرسمي أو الذي يقوم به الأفراد بمجهوداتهم الشخصية.

ومن مظاهر التأثر بالتعليم الغربي أن مناهج التعليم في جميع الدول الإفريقية لا تفرس في النفوس الرغبة في استرداد الحقوق المعنوية والمادية من ظالمهم بالأمس، وربما كان هذا أبرز الظواهر وضوحاً في تاريخ إفريقيا الحديث، على الأخص إذا استعاد الإنسان ذكرى مشاعر الغضب والمرارة التي كانت تزداد باستمرار داخل القارة على مدى قرون .

ومن آثار التعليم الغربي في الجانب الاقتصادي أنه شجع قيام الاقتصاد على القطاع العام، فصنع أجيالاً هشة متخاذلة، أكلت رصيد الدولة بالكسل والتراخي، والاعتماد على رأس مال الغير، لا يعنيهم كسب أو خسر.

(٢) د. عبد الرحمن أحمد عثمان: مشكلات التعليم الإسلامي في إفريقيا، ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا، قاعة الصداقة - الخرطوم ١٩٨٨/٢/٣م، إصدار مركز البحوث والترجمة، جامعة إفريقيا العالمية، ص ٤.

(١) د. إسماعيل زنگو برزي: قضايا لسانية إفريقية، مرجع سابق، ص ١١٨.



خريجو التعليم العربي وسوق العمل ومجالاته في غرب إفريقيا

د. هارون المهدي ميغا (*)

للتجار السودانيين والعرب وغيرهم أثر كبير في ذلك قبل الإسلام. تمّ هذا الدخول الأوّلي للغة العربية إلى غرب إفريقيا في نطاق ضيق، والمهمّ أنّ العلاقات التجارية وتبادل الرحلات هي التي وضعت حجر الأساس للعربية في إفريقيا كلّها^(٢). تأكّدت علاقة غرب إفريقيا باللغة العربية بدخول الإسلام إليه منذ منتصف القرن الأوّل الهجري، ثم بانتشاره وازدهار حضارته وثقافته، وقيام الممالك والسلطنات، وعناية ملوكها وسلطانيتها بالدين الإسلامي واللغة العربية، وبالعلاقات الثقافية والعلمية، مع المشرق والمغرب الإسلاميين، ثم بوجود مراكز علمية وتجارية وحضارية قادت الحركة العلمية والثقافية والدينية، والتجارية والسياسية... إلخ؛ من أبرزها تمبكتو، وغانو، وجني، وكانو، وكاشنه، وغيرها، وبتأليف علماء المنطقة باللغة العربية في مختلف العلوم والفنون^(٣).

شهد هذا الازدهار نوعاً من التدهور في أغلب المنطقة بسقوط «إمبراطورية سنغاي» آخر الإمبراطوريات الإسلامية في القرن السادس عشر الميلادي، ولما جاء الاستعمار

إنّ من أهمّ قضايا الساعة التي يجب أن تتكاتف فيها الجهود السعيّ لتطوير التعليم العربي بدول غرب إفريقيا، والعناية بمناهجه ومؤسساته وكفاءتها الداخلية، وتأهيل القائمين عليه، والبحث عن حلول للمشكلات التي تواجه مخرجاته في دولهم.

والمقصود بالتعليم العربي في هذا البحث هو التعليم الذي يهتمّ باللغة العربية، ويشمل العلوم الإسلامية والعربية والتاريخية والحضارية.

نحن نعيش في عصر طُغت فيه الجوانب المادية؛ فكثر الأمراض النفسية والعقلية، والجرائم الاجتماعية، والحروب، ولا شكّ في أنّ محاربة هذه الأشياء ومعالجة آثارها جزء من واجبات التعليم العربي الإسلامي وخريجيه، وذلك بمراعاة الجوانب المادية والمعنوية معاً، وفقه الواقع، للسعي إلى تحقيق السعادة في الدارين.

من المسلمّ به أنّ اللغة العربية من أقدم اللغات غير الإفريقية وصولاً إلى غرب إفريقيا، حدد بعض الباحثين تاريخ هذا الوصول بما قبل القرن السابع الميلادي؛ بسبب ازدهار التجارة وقوافل الرحلات والاتصالات بين شرق إفريقيا وشمالها وبين غربها؛ ولأنّ المنطقة الصحراوية كانت أقلّ تصحُّراً مما هي عليه الآن، وقد كان

(٢) انظر: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، د. شيوخو أحمد سعيد، ص ١٧، ١٨، ١٩، دار المعارف بالقاهرة، بدون ت. ومجلة دراسات إفريقية، السودان، عدد ١، رجب ١٤٠٥هـ / أبريل ١٩٨٥م، ص ١٠١، بحث «انتشار اللغة العربية في بلاد غربي إفريقيا عبر التاريخ»، د. السرّ العراقي. ومجلة الدراسات اللغوية، فصلية محكمة يصدرها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، مجلد ١ - عدد ٢ - ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ / يوليو - سبتمبر ١٩٩٩م، ص ٢٢٢ - ٢٢٣، بحث «تعليم اللغة العربية في المدارس الحكومية بغرب إفريقيا، الواقع والأمل» هارون المهدي ميغا.

(٣) مجلة الدراسات اللغوية (مرجع سابق)، ص ٢٢٣، بتصرف.

(*) أستاذ البلاغة والنقد والأدب، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة مابكو، مالي.

دراساتهم فحصلوا على الشهادات العليا
الليسانس والماجستير والدكتوراه، ولم يستطع
كثير منهم الحصول في دولهم على وظائف ثابتة
يقتاتون منها.

امتداد خريجي التعليم العربي في الجامعات الإفريقية:

إن أكثر خريجي التعليم العربي في الجامعات
الإفريقية الوطنية وغير الوطنية إنما هم امتداد
- أولاً - للتعليم العربي في المدارس الإسلامية
العربية بدول غرب إفريقيا، وهم امتداد - ثانياً -
لجانب من التعليم نفسه في المعاهد والجامعات
بالدول العربية؛ من حيث تخصصات من يتولون
هذا التعليم في الجامعات الإفريقية الوطنية
وغيرها، ومن حيث المناهج وتطبيقها، والتركيز
على الهدف العام، وهو تعليم أبناء المسلمين
دينهم، وإغفال الأهداف الخاصة والمرحلية،
فهذه كلها أمور ينبغي أن نجعلها نصب أعيننا إذا
ما أردنا أن ننظر نظرة شمولية وموضوعية إلى
مخرجات هذا التعليم في الجامعات الإفريقية،
وإلى مدى تأثيرها في مجتمعاتها، ومجالات هذا
التأثير.

مجالات عمل الخريجين:

لا شك في أنه كان ينبغي للتعليم العربي في
بعض مراحلها أن يعيد ترتيب أوراقه، لإعداد
خريجين في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية،
والسياسية والإدارية، والإعلامية، والتربوية...
إلخ، لكن هذا لم يحدث.

إن من العبث محاولة بدول غرب إفريقيا
في مجال عمل معين حصر الطالب في دراسة
تخصصات معينة، فذلك ما لا يرضاه هذا

الفرنسي والإنجليزي إلى غرب إفريقيا كان
من أبرز أهدافه مقاومة اللغة العربية ومحاربة
الإسلام، وقد نجحت نوعاً ما في إقصاء اللغة
العربية عن الدوائر والمدارس الحكومية، لكنها
بقيت صامدة يتعلمها المسلمون ويتعلمون بها
علوم الإسلام في حلقات المساجد، وفي كتابات
تحفيظ القرآن، وفي بيوت العلماء والسلاطين،
واضطر الاستعمار تحت الضغط الشعبي إلى
تعليم اللغة العربية في مدارس بعض بلدان
المنطقة، وإلى إنشاء مدارس ابتدائية مزدوجة
التعليم تحت إدارته^(١).

بدايات نظام التعليم المدرسي الإسلامي العربي في غرب إفريقيا:

قامت مدارس إسلامية عربية أهلية في
مرحلة الاستعمار بجهود فردية، وقد كان
الهدف الأساس لمؤسسيها^(٢) هو تحصين أبناء
المسلمين بالمحافظة على تعليمهم دينهم في
مواجهة الاستعمار وتعليمه ومؤسساته التي
أنشأها لمحاربة التعليم العربي والإسلامي،
ومحاولة اجتثاث الإسلام من المجتمعات
الإفريقية المسلمة.

استمرت المدارس الإسلامية العربية بعد
الاستقلال في القيام بما يحقق هذا الهدف،
على الرغم من المشكلات التمويلية والإدارية
والمنهجية والسياسية والتربوية التي كانت
تواجهها^(٣)، وخرجت الآلاف، واصل بعضهم

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٢٤، ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) يرجع الفضل في قيام أغلبها وفي النهضة التعليمية المعاصرة
إلى حجاج ومجاورين بالحرمين الشريفين، انظر: بحث «حجاج
ومجاورون ينقلون دروس الحرمين الشريفين إلى غرب إفريقيا»،
هارون المهدي ميغا. مجلة الحج والعمرة، وزارة الحج، جدة،
السعودية، سنة ٦٠ - عدد ٥ - جمادى الأولى ١٤٢٦هـ / يونيو
- يوليو ٢٠٠٥م، ص ٤٠ - ٤٢.

(٣) انظر: بحث: «المدارس الإسلامية العربية في غرب إفريقيا،
مشكلات وحلول» هارون المهدي ميغا، مجلة الفيصل، يصدرها

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض،
السعودية، عدد ٢٥٧ - ذو القعدة ١٤١٨ هـ / مارس ١٩٩٨م، ص
٢٦ - ٣١.



طرقهم، بالرغم من ذلك كله فإنّ في أوساط خريجي التعليم العربي نادر يعملون في مجالات ليست من تخصصاتهم في مختلف الإدارات الحكومية والأهليّة، ويجيدون فيها، لكنّ العدد قليل، ولو وُجدت عناية بالتكوين وإعادة التأهيل عن طريق الدورات التدريبية المتخصصة لكان بالإمكان أحسن مما كان.

٢ - المجال الحكومي: في الوظائف العمومية على تفاوت بين دول غرب إفريقيا؛ من أبرزها: التعليم في المدارس الحكومية، والإشراف على مراكزه ومفتشياته، والتدريس في أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية، أو في غيرها من الأقسام التي تُدرّس العربية بوصفها لغة اختيارية في الجامعات الوطنية، وقيادة الجمعيات الإسلامية الحكومية، أو المجالس العليا الحكومية للشؤون الإسلامية، وإدارات الشؤون الدينية، والترجمة، والإعلام، والقضاء، وأقسام العلاقات العربية الإفريقية.

ومنهم من يعملون مستشارين للرؤساء في الشؤون الدينية، كما في بوركينا فاسو ومالي والسنغال وغامبيا... إلخ. ومن خريجي التعليم العربي في بعض دول غرب إفريقيا من يعمل في الأمن الوطني، والجيش، والجمارك؛ إذا تخرّج في كليات الشرطة أو الجيش ببعض الدول العربية في إطار التعاون الثقافي والتدريبي بينها وبين دولته، أو في كليتهما في بلده، وهذا إمّا من حَمَلَة الثانوية المزدوجة التعليم (العربي / الفرنسي، أو العربي / الإنجليزي)، أو من خريجي الأقسام العربية في الجامعات الوطنية. وعدد هؤلاء - على قلتهم - في ازدياد بدول غرب إفريقيا، كالسنغال ومالي والنيجر ونيجيريا وغينيا كوناكري... إلخ. لكنّ شَرْدَمَةً قليلين في المجال الحكومي لا يقلّ ضررهم بهذا التعليم وأهله عن غيرهم ممن يحاربونه جهاراً نهاراً، ولا

التعليم لنفسه، ولا يقبله عقل سليم، لاختلاف مجالات الإبداع في العمل باختلاف القدرات العقليّة، واختلاف الرغبات والميول النفسيّة، وتعدد المواهب والأهداف والوسائل، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]، إذا نفرت طائفة واحدة من طوائف الفرقة المؤمنة للتفقه في الدين والإنذار فهل تبقى طوائف الفرقة المتبقية بلا عمل؟! كلاّ إنّما عمل كل فرد من كل طائفة هو ما يتقنه ويتناسب وقدراته العقليّة والبدنيّة والنفسيّة.

أمّا مجالات عمل خريجي التعليم العربي في دول غرب إفريقيا فيمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين، هما: المجالات الحاليّة، والمجالات المستقبلية.

أولاً: المجالات الحاليّة:

لعلّ أبرز هذه المجالات هي:

١ - المجال الديني: يتمثل الجانب الغالب عند هؤلاء الخريجين في الوعظ والإرشاد في المساجد ووسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة، وإلقاء المحاضرات العامّة، والتعليم في المدارس الإسلامية العربية، وإقامة الدورات التعليميّة والتدريبية، والفصل في قضايا الأحوال الشخصية.

وبالرغم من مشكلات مناهج التعليم العربي في دول غرب إفريقيا، ومواقف الجامعات والمعاهد التي تخرّج فيها أغلب الخريجين في الساحة، ومحاولات حصر تخصصاتهم في الدراسات الإسلامية (الشريعة، والدعوة، وأصول الدين)، وتضييق بعض المؤسسات والهيئات مجال تعاقدها في وجوه أصحاب التخصصات الأخرى، والعقبات المحليّة التي توضع في

التعليم وهمومه، أو يجعله يرمي به وراء ظهره، أو يتعاون بالقول أو العمل أو المال أو الجهد في التضيق عليه ومحاربتة؛ بحجة مراعاة سوق العمل وحاجاته، فنوع من نكران الجميل لهذا التعليم ومدارسه.

٤ - المجال المؤسسي: يتمثل في العمل بمكاتب الهيئات والمؤسسات الإسلامية، وفي المراكز الثقافية والسفارات العربية بدول غرب إفريقيا، أو العمل مبعوثين من قبل هذه المؤسسات للدعوة والتعليم، كرابطة العالم الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والمنتدى الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، ولجنة مسلمي إفريقيا، وهيئة الإغاثة، والهيئة الخيرية الإسلامية، ووزارات الشؤون الإسلامية والأوقاف، وإيسيسكو... الخ. وقد أخذ جهود بعضها تتقلص لأسباب منها الحرب المعلنة على هذه المؤسسات منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م؛ ففرقت دول غرب إفريقيا وغيرها دومةً من إلغاء العقود الخارجية.

٥ - المجال السياسي: هناك عدد من خريجي هذا التعليم يعملون في المجال السياسي، وبخاصة الدبلوماسية، سفراء، وقناصل، ومستشارين، ومترجمين، بسفارات دول المنطقة في العالم العربي. ومن المجال السياسي بعض التجارب البلدية والبرلمانية والحزبية، في السنغال ومالي وغانا ونيجيريا وغينيا. لكن قضية مشاركة الدعاة - وهم النسبة العليا من خريجي هذا التعليم - في السياسة لا تزال موضع خلاف شديد، وتقاذف بالسوء - أحياناً - بين المؤيدين والمعارضين؛ بسبب اختلاف الأهداف والوسائل والأساليب، وندرة قيادات بارزة على مستوى عالٍ من المقدرة الإدارية والسياسية، والموازنة بين إيجابيات المشاركة وسلبياتها، ومدى المساحة المتاحة

يتوانون في وضع العقبات أمامه كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً!

٣ - المجال الاقتصادي والتجاري: اتجه كثير من خريجي التعليم العربي إلى الكسب الحلال ليتعمقوا عمّا في أيدي الناس، ولينجوا بجلودهم من تجنّباً لتقلبات العقود الخارجية والداخلية التي قد تُلغى بين عشية وضحاها بلا سابق إنذار. يتمثل مجالهم الاقتصادي في التجارة ومؤسساتها، ويوجد كثيرٌ من وكالات السفر والسياحة والحجّ والعمرة في عدد من دول غرب إفريقيا، يملكها ويديرها خريجون من هذا التعليم، ولهم منافسة قوية لوكالات يديرها غيرهم، وبخاصة في مالي والسنغال وغينيا كوناكري... الخ.

ولفريق منهم تجارب في الإعلام الخاص بإنشاء صحف بالعربية أو الفرنسية والإنجليزية، وإن لم ينجح أكثرها وبخاصة العربية منها؛ بسبب الخلافات الشخصية، والنزوع المادي، والاتكالية في العمل، وقلة الموارد ووسائل النشر والتوزيع، والشح في القراءة والقراء.

وإذا كان هذا السعي في المجال الاقتصادي حسناً ومرغباً فيه فينبغي أن يكون باعتدال، سواء تعلق الأمر بالدعوة أو بطلب الرزق، والمقياس الفيصل هو تقوى الله تعالى، والإخلاص له في القول والعمل، وقُوَّة الإرادة، وتقديّم المصلحة العامة، ولذلك كان الجمع بين الدعوة إلى الله - بما فيه التعليم - وبين طلب الرزق من الحلول المقترحة لمعوقات مادية تواجه الدعوة والدعاة والتعليم العربي ومؤسساته وخريجيه في غرب إفريقيا، حيث سيتمكن من يجمع بينهما من الإنفاق على نفسه وأهله، وتحمل بعض التكاليف المادية للدعوة، والتطوُّع للتدريس في بعض مؤسسات هذا التعليم.

وأما أن يشغل طلب الرزق الخريج عن هذا



للحكومة وقفت مكتوفة الأيدي ولم تحاول تقديم أي حل استراتيجي لإنقاذ التعليم العربي إلى أن جاءت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - في سبيل اهتمامها بهذا التعليم - جاءت بمشروع إعداد دورات تدريبية عام ١٩٩٧م^(١)؛ لأن كل حكومات مالي - مثلاً - قدمت قبل هذا التاريخ بعض الحلول الفنية والتربوية لهذا التعليم، واقتُرحت بعض المناهج على مدارسها، ووظفت خريجين^(٢)، وكذلك الأمر في معظم دول غرب إفريقيا التي يفوق بعضها مالي في هذا المجال، كالنيجر ونيجيريا والسنغال.

ولو أمعنا النظر في هذه المجالات لوجدنا أن المجال الديني هو أكبر مجال عمل لخريجي التعليم العربي، وتزيد نسبته على ٨٥٪ من هؤلاء الخريجين، على الرغم من المشكلات السياسية والإدارية والمالية والاجتماعية التي قد تواجه هذا المجال، وبخاصة في السنوات الست الأخيرة. وإذا كان الوعظ والإرشاد والإمامة في المساجد، والعناية بقضايا الأحوال الشخصية، والتعليم بالمدارس الإسلامية العربية، إذا كان كل أولئك مجالات مهمة لكل مسلم ومجتمع ولا يجب التهاون في شأنه؛ فإن الاقتصار عليها يبتعد بنا عن الوعي بشمولية الإسلام وواقعيته، وعن حقيقة مفهوم عبادة الله.

ومن ثم يردُّ عليه السؤال الآتي:

ما أسباب الاستمرار في محاولة حصر الهدف الأساس من هذا التعليم في جانب واحد من المجال الديني وهو الجانب المذكور قبل قليل؟
إن هناك عوامل كثيرة ساعدت على الاستمرار

للتحرك في ظل أحزاب علمانية ومواقف دولية ضاغطة بكل ما تملك، وتجارب شخصية سابقة لبعض أبناء هذا التعليم غلب عليها تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، أضف لذلك ضعف الوعي الاجتماعي والثقافي^(٣).

هذه - حسبما وقفت عليه - أهم المجالات الحالية بدول غرب إفريقيا التي يعمل فيها خريجو التعليم العربي، سواء من تخرَّج في معاهد الدول العربية وجامعاتها، أو من تخرَّج في الأقسام العربية والإسلامية بالجامعات الوطنية وغيرها بهذه المنطقة.

وبناء على المجالات السابق ذكرها؛ يكون من المبالغة - نتيجة نقص التتبع - قول أحد الباحثين: إن فرص العمل مغلقة أمام خريجي هذا التعليم، أو إن من المعروف والمعتاد لدى الخاصة والعامة أن أي أحد يدرس العربية يتخصص في مجال مجهول المستقبل من حيث إمكان مواصلة الدراسة أو الفرص المتاحة للتوظيف العمومي والمساهمة في التنمية وخدمة الوطن، أو أنه لم يعد أمامهم مجال ما عدا التدريس بالمدارس العربية الأهلية أو المشاركة في أعمال لا صلة لها بتخصصهم^(٤).

ومن المبالغة كذلك القول بأن السلطات

(١) انظر: مشاركة الدعوة في السياسة بغرب إفريقيا، سلبيات وإيجابيات، ورقة عمل شاركت بها في ندوة: «مشاركة الدعوة في السياسة مفاهيم وآليات»، التي أقامتها لجنة إفريقيا بالندوة العالمية للشباب الإسلامي في مخيم طلاب إفريقيا بالرياض يوم الخميس ٢٧/٢/٩٤هـ / ٢٠٠٦م. ثم تناولته بالتدريعات: زيادة ونقصانا. وألقيته محاضرة يوم الأحد ٢٠١٠/٢/١٤ في قاعة د. عبد الله الخاطر بمقر منظمة الفاروق (المنتدى الإسلامي سابقاً) في بياكو، بتنظيم رابطة الدعوة في مالي، مكتب البلدية الخامسة بالعاصمة.

(٢) اللغة العربية في مدينة تمبوكتو الثقافية بمالي والمنظور المستقبلي من خلال التاريخ والواقع: مع دراسة وتحقيق لمخطوط (وقاية المتكلم من اللحن المثلث) في النحو ل: محمد بن باد التمبكتي، ص ٢٠٧، بتصرف. رسالة ماجستير، إعداد عبد الفتاح سيسي، كلية الدعوة الإسلامية بليبيا، عام ٢٠٠٤م - ٢٠٠٥م.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٨، بتصرف.

(٤) فضل القول في هذا زميلي الدكتور عبد الرحمن عبد الله سيسي، في بحث أعدّه للنشر بعنوان «تحليل نظام التعليم العربي في مالي من عام ١٩٤٧م إلى عام ٢٠٠٦م» وقد اطّلت على مسودته.

الإسلام، العبودية الحق لله تعالى لا تقتصر على العبادات الإسلامية كالصلاة والصوم والزكاة... إلخ، بل تشمل كل شؤون المسلم في حركاته وسكناته، وفي علاقته بربه، وفي علاقته بكل ما حوله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]. والعبادة عند السلف «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة».

العامل الثالث: الخلط بين الأهداف العامة والأهداف الخاصة والمرحلية للتعليم العربي الإسلامي؛ فقد سبق أن ذكرنا أن الهدف الأساس لمؤسسي المدارس النظامية الإسلامية العربية أيام الاستعمار وبعده هو تحصيل أبناء المسلمين؛ بالمحافظة على تعليمهم شؤون دينهم في مواجهة الاستعمار وتعليمهم ومؤسساتهم، لكننا لم نفهم - كما يبدو لي - أن هذا الهدف كان بالنسبة لهم هدفاً عاماً ومرحلياً، أو بعبارة أخرى كان منطلقاً وأساساً تبني عليه أهداف أخرى شاملة وفق حاجات المجتمع الإفريقي في كل زمان.

ولم نفهم كذلك أنه كان على خريج هذا التعليم من الجيل الذي قبلنا وعلينا وعلى الذين بعدنا الانتقال به إلى مرحلة الهدف الخاص، وهو إعداد جيل يمكن أن يسهم في كل زمان ومكان في جميع قضايا مجتمعه، الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية والتربوية... إلخ، ولا يكون ذلك إلا بالوعي، وبُعد النظر، وبأن نؤوع في أساليب المحافظة على ذلك الهدف العام ووسائله، وبأن نطور باستمرار نظام هذا التعليم ومناهجه، وأهدافه الخاصة والمرحلية التي تحقق لمجتمعاتنا المعاصرة شمولية الإسلام وواقعيتها.

العامل الرابع: - من عوامل الاستمرار في عدد ذلك الهدف العام هو الوحيد للتعليم العربي

في عدد هذا الهدف هو الوحيد لمدارس التعليم العربي وأقسامه وجامعاته بدول غرب إفريقيا، وقد مرّ على إنشاء بعضها عشرات السنين، ويتمتع كثيرٌ من مؤسسي مؤسساته في السنوات الأخيرة بمستوى علمي رفيع، ومعرفة بالتعليم النظامي ووسائله ومناهجه.

العامل الأول: قصور الوعي بشمولية الإسلام وواقعيتها، فغفل القائمون على تخريج هؤلاء عن أمور أساسية في هذا التعليم لا غنى للمجتمع عنها: غفلوا عن إعداد الشباب المسلم علمياً وعملياً لمواجهة شؤون الحياة وصراعاتها. وغفلوا عن جانب آخر مهم جداً وهو عناية الإسلام بشؤون الحياة الدنيا والآخرة؛ فرغبوا عن المجالات الاجتماعية والسياسية والإدارية والاقتصادية، فخلت الساحة لغيرهم يسرح ويمرح كيفما شاء. وغفلوا - أيضاً - عن ضرورة سعي المسلم لخدمة دينه وبيئته على علم وبصيرة في كل المجالات بما يجلب لها نفعاً ويدفع عنها ضرراً؛ فعندئذ يُحقق الاستخلاف في الأرض، ويحقق المفهوم الحقيقي للدين عند المسلمين، وللدين عند المسلمين مفهوم لا تجده عند أصحاب الملل، الدين عند المسلمين - كما يقول الشيخ محمود شاكر - الحياة كلها، «فهو اسم لكل تصرف يتصرفه المرء المسلم في حياته، منذ يستيقظ من نومه إلى أن يؤوب إلى فراشه، وفي كل عمل يعمل، مهما اختلفت هذه الأعمال من أحقرها وأدناها إلى أشرفها وأعلاها، كل ذلك دين، هو مسؤول عنه يوم القيامة.... وإن في بعض ذلك على بعض فضل»⁽¹⁾.

العامل الثاني: قصور فهم لحقيقة العبادة في

(1) أباطيل وأسمار، محمود شاكر، ص 223 - 224، مطبعة المدني، القاهرة، ط 2 عام 1972م.



والإسلامي بدول غرب إفريقيا - محاولة الإقصاء بسبب الثقافة بدلاً من الالتحام الاجتماعي مع التعدد الثقافي: سمى عبد القادر سيلا هذا الإقصاء بـ «تجويح حاملي الشهادات من المعاهد الإسلامية، الذي صار في نظر منفذيه سياسة ناجحة في إماتة التعليم الإسلامي»^(١).

ويقول عن معاناة التعليم العربي في بلده - والصورة واحدة في المنطقة -: «بلغ من مضايقة العربية والاستخفاف بها أن طُبع على عقول الناس الاعتقاد بأن التعليم الفرنسي [أو الإنجليزي] هو الطريق الوحيد إلى السلطة والثقافة الحديثة، والتقن في العيش، والتوسع في المعرفة والعلم وأسرار الحياة، والمستوى الاقتصادي الرفيع، ونجم عن هذه الأفكار الخاطئة أن أصبح الناس في السنغال [وغيرها من دول المنطقة] منقسمين إلى فئتين، أذكاء وأغبياء، أناس ينتمون إلى الصفوة، وآخرين إلى العامة، يتعلم الأذكاء الفرنسية [أو الإنجليزية]، وينهجون نمط الحياة الأوروبي، ولا يتعلم العربية إلا الأغبياء»^(٢).

من وسائل هذا الإقصاء الثقافي ما سمّاه آدم عبد الله الأتوري (علمنة العربية) بتعلمها على سبيل الاستشراق، أي مجردة عن الدين الإسلامي وتعاليمه^(٣)، وهي علمنة موجودة في أقسام اللغة العربية بالجامعات الإفريقية الوطنية، ولا يُستبعد أن يكون التخوف من هذه العلمنة هو الذي يدفع بكثير من القائمين على مؤسسات التعليم الإسلامي العربي إلى رفض المناهج المقترحة من بعض الحكومات باسم

تطوير مدارسه.

ولعل من آثار هذه العلمنة أن بعض خريجي التعليم الإسلامي العربي لا يُعطون للجانب الديني أهمية في تعاملهم وسلوكهم، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وعندئذ يكون هؤلاء وأمثالهم - على قلتهم - نموذجاً سيئاً من خريجي هذا التعليم في نظر كثير من أفراد المجتمع الذي يتوقع منهم التزاماً أكثر وأقوى بالإسلام وتعاليمه قولاً وعملاً؛ لأنّ دارس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في اعتقادهم الجازم لا ينبغي إلا أن يكون قدوة حسنة لغيره.

وأياً كان؛ فاللغة العربية التي يريدون علمنتها ترفض هذه العلمنة لثلاثة أسباب رئيسة: أحدها: أن الدراسات اللغوية العربية نشأت وترعرعت في حضان الدراسات القرآنية، خذ مثلاً واحداً فقط: أليس الخوف من اللحن في قراءة القرآن الكريم هو السبب في وضع حركات الإعراب وضوابط التمييز بالنقطة بين الحروف المعجمة والمهملة، منذ أوائل النصف الثاني من القرن الأول الهجري؟! قام بالأول أبو الأسود الدؤلي، وبالتالي تلميذه نصر بن عاصم الليثي في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي^(٤).

والسبب الثاني: أن اللغة العربية إنما انتشرت في العالم بانتشار الإسلام وعلومه وحضارته، واكتسبت من الإسلام وانتشاره ومن حفظ الله لكتابه بقوله: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر : ٩]، اكتسبت منهما المناعة الذاتية التي تتمتع بها ضد الضياع والضعف^(٥).

(١) المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، عبد القادر سيلا، ص ١٤٩ (كتاب الأمة ٦٢) ط ١ عام ١٤٠٦هـ - وزارة الأوقاف القطرية - الدوحة.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) تاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم، آدم عبد الله الأتوري، ص ٢٦٦، مكتبة وهبة - القاهرة - ط ٢ عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٤) انظر: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد آل ياسين، ص ٥٢-٥٥، دار ومكتبة الحياة - بيروت - ط ١ عام ١٩٨٠م.

(٥) انظر: المسلمون في السنغال، ص ١٤٩، ومجلة الدراسات اللغوية (مرجع سابق)، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

غير، أمّا مستوى تلاميذهم ومستقبلهم العلمي فلا يهتمهم لافتات مثل هذه المدارس منتشرة بكثرة في مدن دول غرب إفريقيا وفي الأرياف والقرى.

ومما زاد الطين بلة - أخيراً - : أن الشعورُ بعدم وجود مستقبل آمن لمتعلمي العربية والعلوم الإسلامية قد أخذ يتنامى بدول غرب إفريقيا في أوساط أبناء التعليم العربي وبعض أولياء أمورهم، وفي بيئاتهم المدرسية والجامعية والسياسية والاجتماعية، مع المبالغة - أحياناً - في تأجيج هذا التخوف لشيء في نفس يعقوب.

هذا عن المجالات الحالية التي يعمل فيها خريجو التعليم العربي بدول غرب إفريقيا، فماذا عن المجالات المستقبلية؟

ثانياً: المجالات المستقبلية:

يلوح في الأفق القريب مستقبل زاهر لهذا التعليم ولخريجيه، سواء كانوا من خريجي الجامعات الإفريقية الوطنية أو من غيرها، داخل غرب إفريقيا أو خارجها، وقد تناولت في بحث سابق مشيرات كثيرة بهذا المستقبل^(١)، أوجزها فيما يأتي:

أ - النظرة المتجددة لدى شعوب المنطقة في ربط الدين الإسلامي وتعاليمه بفهم العربية غالباً: وتجد إقبالاً ممن ثقافتهم غير عربية على تعلم مبادئ القراءة والكتابة باللغة العربية ليتمكنوا - على الأقل - من قراءة القرآن الكريم. أمثال هؤلاء سيكونون سندا قوياً لهذا التعليم في مجالات عملهم؛ إذ منهم موظفون في مختلف الإدارات الحكومية والأهلية، والمساجد وحلقات الدروس الدينية مليئة بأمثالهم.

والسبب الأخير: لا توجد لغة تفصل عمّا يعتقد أهلها، صحيحاً كان أم خطأ؛ لأنّ اللغة أداة تعبير عن أفكار ومشاعر، والدين إنّما هو معتقد يعتقد الإنسان يُترجمه بالقول والعمل.

العامل الخامس: امتداد نظام التعليم العربي في الجامعات الإفريقية وفي المعاهد والجامعات العربية التي تخرّج فيها أغلب من في الساحة من خريجي هذا التعليم، فهي في الأولى تقتصر على الدراسات الإسلامية والعربية، كالجامعة الإسلامية بالنيجر، وفروع كلية الدعوة في السنغال وبينين وتشاد، والكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية في السنغال، وبعض الكليات العربية والإسلامية في نيجيريا وبوركينا فاسو ومالي، والأقسام العربية في الجامعات الوطنية. أمّا معاهد الدول العربية وجامعاتها، فهي تغلق أبواب التخصصات غير الشرعية واللغوية ونحوها، كالتاريخ والحضارة والترجمة، في وجوه أبناء هذا التعليم - إلا ما ندر -^(٢).

ومنها: تشبّث بعض الخريجين بمناهج المعاهد والجامعات التي درسوا فيها بالدول العربية، وأحياناً بسياساتهم التربوية، وخلافاتهم الاجتماعية والسياسية، حتى إنّ منهم من يرفض أيّ تطوير لهذه المناهج وقد مضى على بعضها عشرات السنين، وخضعت في دولها الأصلية لعدّة تطورات تلائم مجتمعاتها وتراعي حاجاتهم العقلية والنفسية والعلمية المعاصرة، والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أولى بها.

ومنها: المتاجرة بهذا التعليم ومؤسساته؛ لأنّ بعض المدارس تجارية بحتة، الهدف الأوّل والأخير لمؤسسيها هو الكسب المادي، لا

(١) انظر: اللغة العربية وظلم ذوي القربى، ص ٧٠ - ٧٣، مجلة الحجّ والعمرة، وزارة الحجّ، السعودية، سنة ٦١ عدد ٩ رمضان ١٤٢٧هـ / أكتوبر ٢٠٠٦م.

(٢) انظر: تفاصيلها في مجلة الدراسات اللغوية (مرجع سابق)، ص ٢٥١ - ٢٥٦.



الفاروق، الدراسة فيه سنتان ونصف السنة بعد الثانوية، مديره الدكتور سعيد محمد بابا سيلا، يدرس فيه الطالب العلوم الإسلامية والعربية باللغة العربية، وعلوم التقنية (الحاسوب) باللغة الفرنسية تحت إشراف شركة دولية متخصصة في التقنيات، ويمكن لخريجيه التدريب والعمل بجميع الإدارات في مجال تقنية الحاسوب، وافتتحت الجامعة الإسلامية بالنيجر في العام الجامعي ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م كليتي: علوم التقنية، والاقتصاد والعلوم الإدارية.

هـ - الاهتمام بالتأهيل التربوي لأساتذة التعليم العربي: وإعداد برامج مرتبة ومسموعة وكتب في هذا الصدد، يتولاها في داخل دول المنطقة معاهد تربوية، ومدارس عليا لتكوين الأساتذة، وفي خارجها معاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في السودان، والمغرب، وجامعة الملك سعود بالرياض، وبعض كليات التربية.

وستكون الفرصة متاحة - إن شاء الله - بشكل أفضل وأقوى لخريج هذا التعليم في كل المجالات بشروط:

الوعي - قولاً وعملاً - بشمولية الإسلام وواقعيته؛ لأنه يفرض الوعي بتنوع الثغرات التي يمكن أن يرابطوا فيها لخدمة دينهم ومجتمعاتهم على علم وبصيرة، وتحقيق مصالحهم الدنيوية. الانتقال إلى التعليم العالي الأهلي في الدراسات الإسلامية والإنسانية المقارنة، والتخصصات العلمية؛ لأن التعليم العالي الوطني لا يستطيع استيعاب الراغبين في الالتحاق بالتعليم العالي العربي.

ويلاحظ على التعليم العالي الوطني نوع من التركيز على اللغة البحتة، حتى إن الدراسات الإسلامية في أكثر جامعات غرب إفريقيا الوطنية تتم بالفرنسية أو الإنجليزية،

ب - الإقبال المتنامي على اختيار اللغة

العربية: في المدارس الحكومية (الثانوية)، وفي كثير من الأقسام بالجامعات الإفريقية: فقد أصبح كثير من المثقفين بغير العربية يدركون الحاجة الماسة إليها للاطلاع على المصادر التاريخية الأولى عن حضارة المنطقة وتاريخها، ومعظمها باللغة العربية، سواء ما كان من تأليف أبنائها أو من تأليف المسلمين العرب الذين كتبوا عن غرب إفريقيا وشعوبها وممالكها قبل الأوروبيين، سواء كانوا زاروا المنطقة أو سمعوا عنها في لقاءاتهم بالحجاج وعلماء المنطقة ووفودها في المشرق والمغرب، أو عن طريق المراسلات العلمية بينهم وبين علمائها.

ج - تزايد افتتاح أقسام اللغة العربية

والدراسات الإسلامية: في الجامعات الوطنية بدول غرب إفريقيا، ووجود وحدات لتعليم هذه اللغة في بعض الجامعات.

د - الاتجاه المتزايد في المدارس الإسلامية

العربية الأهلية إلى التطوير والشمولية: والعناية بالتعليم ثنائي اللغة (عربي / فرنسي أو إنجليزي)، مع إضافة المواد العصرية: حتى صار لبعض الحكومات - مثل مالي - شهادة ثانوية عربية لا تختلف عن نظيرتها بالفرنسية في الاعتراف بها واستحقاقاتها، وأدخلت التربية الإسلامية في المدارس الحكومية بالسنگال، بل بدأنا نشاهد في المنطقة معاهد وجامعات إسلامية أهلية تجمع بين التعليم الشرعي والفني كجامعة الهدى في واغادوغو التي يرأسها الدكتور أحمد سفاذوغو، وفيها كلية الشريعة والتقنية، وكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، يتم تدريس الشريعة باللغة العربية، والتقنية والعلوم الإدارية باللغة الفرنسية على يد أساتذة بعضهم من الجامعة الحكومية، والمعهد العربي المهني في بماكو، التابع لمنظمة

تكون امتداداً لجانب من التعليم نفسه في الدول العربية التي تخرّج فيها أغلب من في الساحة من الخريجين، وهم المشرفون على جزء كبير من هذا التعليم ومناهجه ومؤسساته.

أكدت هذه الدراسة أنّ من العبث محاولة حصر خريجي التعليم العربي في مجال معيّن، وإن كان أبرز مجالات عملهم في الوقت الحاضر هي: المجال الديني والتعليمي والحكومي والاقتصادي والمؤسسي والسياسي، لكنّ جانباً من المجال الديني هو الغالب على المجالات الحالية، وقد رأيت في هذه الدراسة عدّة أسباب لاستمرار عدّ ذلك الجانب هو الهدف الوحيد - عند قوم - للتعليم العربي ولمؤسساته ورجاله في غرب إفريقيا، كقصور الوعي بشموليّة الإسلام، والخلط بين الأهداف العامّة والأهداف الخاصّة والمرحليّة، ومحاولة الإقصاء الثقافي.. إلخ، أمّا المجالات المستقبلية فمفتوحة، وقد وقفت بك هذه الدراسة على مبيّرات وشروط لمستقبل زاهر ينتظر هذا التعليم ومخرجاته.

من النتائج المرجوة لهذه الدراسة: توطيد العلاقات الثقافية، والعلمية، والدينية، والسياسية، بين الدول الإفريقية والعربية، ورفع معنويات القائمين بالتعليم العربي والمهتمين به شعباً وحكومات، وهي معنويات بدأ يطرقها - كما نعلم جميعاً - نوعٌ من التذبذب والضعف. وأخيراً توصي هذه الدراسة بتكرار الندوات عن التعليم العربي الإسلامي في إفريقيا، وبالتركيز والدقة والموضوعية في تناوله وفي محاولات تطويره، وبدعم البحوث والدراسات الموضوعية وتسهيل الوصول إليها للمؤسسات والباحثين والقائمين على هذا التعليم، وبالتعاون في تنفيذ الرؤى والحلول الواردة في تلك الندوات.

وفق مناهج المستشرقين، باستثناء حالات في شمال نيجيريا، وأقسام وكليات في السنغال، وبوركينا فاسو (جامعة الهدى).

التوزيع في التخصصات وإعادة التأهيل الفني واللغوي بالفرنسيّة أو الإنجليزيّة للمتخصصين في الدراسات الشرعية والدعوية واللغوية.

العناية بإنشاء مراكز للبحوث والدراسات المقارنة بالعربية والفرنسية أو الإنجليزية، وربطها بقضايا المجتمع، والبحث عن حلول لمشكلاته.

الخاتمة :

بإمعان النظر في هذه الدراسة ننتهي إلى ما يأتي:
الحاجة الماسّة إلى ندوات تتحاور بموضوعيّة وإخلاص حول هذا التعليم، حاضره ومستقبله، ما عليه وما له.

ليس التعليم العربي الإسلامي غربياً في البيئات الثقافية والتربوية والاجتماعية بغرب إفريقيا؛ لقدّم علاقة اللغة العربية بغرب إفريقيا؛ وللاثر العلمي والثقافي والإصلاحي والحضاري للدين الإسلامي منذ انتشاره وقيام ممالك وإمبراطوريات إسلامية، فلم تستطع الرياح التي عصفت بالمنطقة القضاء على مؤسساته ورجاله ولا كسر عزائمهم.

وجوب تكاتف الجهود لتطوير التعليم العربي شكلاً ومضموناً، والعناية بمؤسساته وبالقائمين عليها، مع ضرورة مراعاة الجوانب الماديّة والروحيّة، والدينيّة والأخرويّة معاً، في التعامل مع حاجات المجتمعات بدول غرب إفريقيا إلى مخرجات هذا التعليم في مدارس غرب إفريقيا وجامعاتها الوطنيّة وغير الوطنيّة، تلك المخرجات التي يغلب عليها - حالياً - أن



متطلبات تطوير التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا

د. قاسم بدماصي (*)

Secondary School ، والثانوية الكبرى
Senior Secondary School، أو الثانوية
العامية التي تُدرس فيها اللغة العربية والدراسات
الإسلامية.

٥ - الكليات المتوسطة الأهلية والمعاهد
العليا: التي تمنح شهادات الدبلوم التي يقوم
عليها بعض الشيوخ والدعاة المتحمسين للدعوة
والتعليم الإسلامي، أو التي قامت بتأسيسها بعض
المؤسسات الإسلامية الخيرية من الخارج.

٦ - كليات التربية المتوسطة الحكومية: حيث
توجد أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

٧ - الجامعات الأهلية: المحلية أو التي
تملكها المؤسسات الإسلامية من خارج البلد،
مثل الجامعة الإسلامية بجمهورية النيجر، وتلك
التي بجمهورية أوغندا، وجامعة الحكمة بمدينة
إلورن في نيجيريا.

٨ - الجامعات الحكومية: التي توجد فيها
كليات أو أقسام لغة العربية والعلوم الإسلامية.

هذا، وإنما لجأت إلى هذا التصنيف لتتمكن
من استبصار تفاوت المستويات العلمية في
تلك المؤسسات؛ بما يستلزم مراعاة الوسائل
والأساليب المناسبة لتطوير التعليم في كل صنف
منها.

والآن إلى تلك الوسائل المهمة لتطوير التعليم
الإسلامي في المنطقة على ضوء هذا البحث:

أهم الوسائل والأساليب اللازمة لتطوير التعليم في غرب إفريقيا:

لا يخفى وجود تشابه كبير في الأوضاع
التعليمية بين دول إفريقيا غير العربية عامة،

عندما نتحدث عن التعليم الإسلامي في
غرب إفريقيا؛ فإنما ينصب ذلك أولاً على التعليم
الإسلامي ولغته العربية وثقافته الشاملة.

وهذا الذي يجعلني أتطرق لتحديد أنواع
المؤسسات التعليمية الموجودة على الساحة في
دول غرب إفريقيا؛ لنستطيع إلقاء الضوء على
الوسائل والأساليب اللازمة لتطوير التعليم من
خلالها.

وعلى ذلك أقول:

إن المؤسسات التعليمية الإسلامية في غرب إفريقيا بالمفهوم العام تتكون من دور العلم الآتي ذكرها:

١ - الكتاتيب: لتعليم القرآن العظيم
وتحفيظه، وتعليم القراءة والكتابة، وشيء يسير
من الفقه واللغة العربية وما أشبه ذلك، حسب
مستوى الطالب العلمي.

٢ - مجالس العلم: في المساجد ودور
العلم، ومنازل بعض العلماء، حيث يتجمع طلاب
العلم من الأماكن القريبة والبعيدة لتلقي العلوم
المتنوعة من عالم أو أكثر من علماء تلك الدور.

٣ - المدارس النظامية العربية الإسلامية
الأهلية: بمراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية.

٤ - المدارس الحكومية: بمستوياتها
الابتدائية، والثانوية الصغرى Junior

(*) عميد كلية العلوم الإنسانية (الآداب) - سابقاً - بجامعة الحكمة
الورن - نيجيريا.

ودول غرب إفريقيا خاصة؛ من حيث واقع التعليم في مراحل، وإدارته ومدارسه، وموقف الحكومات منه، وواقع الكفايات العلمية في تلك المدارس، ومن حيث مقاطعة المسلمين - في جميع أقطار المنطقة - مدارس الإرساليات التصيرية التي تتبع الاستعمار أو يدعّمها، وإبقاء أولادهم في كتاتيب القرآن خشية أن يتصّروا^(١)، بل أسس بعضهم مدارس عربية مستقلة تقدّم العلوم العربية والإسلامية دون العلوم العصرية، وذلك لتأثر التعليم الحكومي بالتعليم النصرانية في مناهجه^(٢).

أنجح وسيلة لازمة لتطوير التعليم: إنشاء اتحاد إقليمي للمؤسسات التعليمية العربية الإسلامية لجميع دول غرب إفريقيا

ثم تطوّر الأمر إلى تأسيس معاهد ثانوية وكليات متوسطة خاصة تُعنى بالعلوم العربية والإسلامية، إلا أن هذا النوع من المدارس والكليات غير معترف بها لدى الحكومات في بعض دول غرب إفريقيا؛ فلا يحصل خريجوها، بل ولا خريجو جامعات الدول العربية، على وظائف حكومية بشهاداتها، ولا يُسمح لهم بمواصلة التعليم العالي في جامعات البلاد إلا

(١) ينظر مثلاً: حسين إبراهيم براله، الدعوة الإسلامية في كينيا من ١٩٦٠م - ١٩٩٠م، نشر في ١٤١٠هـ - ١٤١١هـ، لم يذكر عنوان دور النشر ومكانها، ص ٢٠، والاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية، دورة تدريب المعلمين في غامبيا غرب إفريقيا، في رجب ١٣٩٧هـ / يوليو ١٩٧٧م، للاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية، نشر دار وهدان للطباعة والنشر، ٦ ميدان بركة الرطل، ص ٢٨، وهو من خطاب السيد/ دمبو جاتا، وزير التعليم بجمهورية غامبيا آنذاك.

(٢) الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية، المرجع السابق، ص ٢٨.

نادرًا^(٣).

والحديث عن الوسائل والأساليب المناسبة لتطوير التعليم في منطقة غرب إفريقيا يتطلب تصنيفها وفق الإطار العام للمراحل التعليمية المختلفة، مع الإشارة إلى بعض أساليب قد تتعلّق ببعض وسائل التعليم من حيث المناهج، والمعلمون، والكتب، وطرق التدريس ونحوها، لذا قسّمت الوسائل إلى خاصة وعمامة، والخاصة منها ما هي فنيّة ومنها مادية.

أولاً: إنشاء مجلس إقليمي للمؤسسات التعليمية العربية الإسلامية لـ(غرب إفريقيا).

ثانياً: الوسائل الخاصة المادية.

ثالثاً: الوسائل العامة.

وألزمها في وجهة نظر الباحث:

أولاً: إنشاء مجلس إقليمي للمؤسسات التعليمية العربية الإسلامية لـ(غرب إفريقيا)؛

إن معظم دول غرب إفريقيا - إن لم يكن جميعها - يحتاج التعليم الإسلامي فيها إلى عناية كبيرة لتطويره؛ بطريقة تجعله مع التعليم العصري الحكومي كفرنسي رهان، من حيث التنظيم والتطوير والمتابعة، مع احتفاظه بطابعه

(٣) ينظر: في جزء من تقرير عام عن الثقافة الإسلامية والتعليم العربي بالقارة الإفريقية، مقدّم من الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية، في المرجع السابق، ص ١٦١ - ١٦٢. هناك دول في غرب إفريقيا تعترف بشهادات الجامعات العربية، منها: مالي، والنيجر، وغينيا كوناكري، وغامبيا، والسنغال، وهي تختلف في الاعتراف بشهادات المدارس الأهلية، ونيجيريا كذلك من الدول التي تعترف بشهادات جامعات الدول العربية بفضل الله، ثم بما بذله فضيلة الشيخ أحمد بللو - رحمه الله - أول رئيس لمجلس وزراء نيجيريا عند الاستقلال في دفاعه عن اللغة العربية والعلوم الإسلامية (ينظر كلمته في: منشور المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد بمكة المكرمة، بتوجيه الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - في ١٣٨٤هـ، ص ١٧ - ٢٨)، ورفع لمستواهما إزاء التخصصات الأخرى في الدولة، إلا أنها لا تعترف حتى الآن بشهادات المدارس العربية الإسلامية والكليات الأهلية؛ إلا ما احتضنتها إحدى الجامعات المعترف بها في البلاد، وهذا ما أدى إلى تخلف هذه المؤسسات التعليمية، وقفل من إقبال الطلاب عليها في هذه الآونة.



الإسلامي الأصيل.

وأنجع وسيلة لازمة لتحقيق ذلك - في نظري - إنشاء اتحاد إقليمي للمؤسسات التعليمية العربية الإسلامية لجميع دول غرب إفريقيا، ويُعقد لتأسيسه مؤتمر إقليمي يجمع ممثلي الدول الأعضاء، ويكون مقره الرئيس في دولة من دول غرب إفريقيا، على أن يتفرع منه اتحاد وطني كذلك لكل دولة من تلك الدول، يكون بمثابة وزارة التعليم والتربية الوطنية للمدارس العربية الإسلامية، ويُسجّل لدى سلطات الدولة حتى يكون معترفاً به وبما يقوم به من أعمال ونشاطات في التعليم والتربية في الدولة التي هو بها، وفي جميع دول العالم.

وينبغي أن يتمتع هذا المجلس بما يأتي:

١ - اعتراف كامل من جميع الدول العربية الإسلامية بكونه المجلس الموحد للمؤسسات التعليمية العربية والإسلامية بجميع مراحلها الدراسية في غرب إفريقيا.

٢ - الاعتراف بما يصدر عنه من أعمال ونشاطات تعليمية وتربوية.

٣ - توجيه جميع الدعم والمساعدات الخاصة بالتعليم في غرب إفريقيا من أي مؤسسة خيرية أو جامعة إسلامية أو دولة عربية وإسلامية إلى هذا المجلس؛ بوصفه وكيلًا عن المؤسسات التعليمية العربية الإسلامية في المنطقة.

٤ - إيصال جميع الدعم والمساعدات الخاصة بالتعليم لأي مؤسسة تعليمية في غرب إفريقيا إلى الجهة المستفيدة عن طريق هذا المجلس.

وهذه الوسيلة في نظري هي كبرى تلك الوسائل وأراها لازمة ومهمة لتحقيق بقية الوسائل الخاصة والعامّة.

ثم إن مهام هذا المجلس تتركز في السعي لتحقيق الوسائل والأساليب التي غايتها أن ترفع

شأن التعليم الإسلامي وتطوّره، وتمكّنه من منافسة التعليم العصري الإلحادي، ومن إثبات جدارته لمسايرة تطورات الحياة الإنسانية. ولعل أبرز الوسائل التي يمكن أن يطور بها التعليم، مما ينبغي أن يكون من مهام المجلس المذكور، ما يأتي:

[١] توحيد المناهج الدراسية بين جميع

مدارس كل دولة من الدول الأعضاء:

إن أنواع المؤسسات التعليمية الموجودة في غرب إفريقيا تنقسم في مجملها من حيث جهة إدارتها إلى مجموعتين؛ أولاهما مؤسسات تعليمية أهلية، والأخرى حكومية.

فالمجموعة الأولى، وهي المدارس والكليات الأهلية: معظمها غير ملحقة بالجامعات في المنطقة، وتدار بمجهودات فردية قاصرة، ومن ثم فهي تعاني نقصاً شديداً في اتباع أساليب تربوية حديثة مناسبة في التعليم، ولا تملك مناهج محددة تسيّر عليها، وقد لا يفهم المدير شيئاً عما يُسمّى بالمنهج؛ إذ لا توجد لهذه المدارس جهة مسؤولة عن وضع المناهج للمواد التي تُدرس فيها.

وأما المجموعة الثانية، وهي المدارس الحكومية التي تُدرس فيها اللغة العربية والعلوم الإسلامية: فتعاني ضعفاً شديداً في المنهج الذي وُضع للمقرّرين، حيث أُسند الأمر في وزارات التعليم فيها إلى غير أهله، فوضعوا منهجاً لطالب الثانوي لا يناسب المستوى الابتدائي مثلاً، بل يتخرج الطالب الجامعي في قسم اللغة العربية ولا يستطيع تركيب جملة عربية صحيحة، فضلاً عن التحدّث بها بصورة مقبولة.

فيكون من مهام المجلس إنشاء قسم خاص في كل اتحاد وطني لكل دولة (فرع المجلس)، يتخصّص في توحيد المناهج الدراسية لجميع المواد الدراسية في المدارس العربية الإسلامية الأهلية والحكومية، على أن يراعي في ذلك

الخطوات الآتية:

أ - أن يتم ذلك من قبل علماء تربويين غيورين على الإسلام؛ من ذوى الخبرات الطويلة في وضع مناهج الدراسة وذوي الاختصاص لكل مادة من المواد والمقررات.

ب - أن يُهتَمَّ بمراجعة تلك المناهج وتطويرها كلما دعت الحاجة إلى ذلك، أو تُحدد لذلك مدة معينة من قبل القسم أو المجلس.

ج - إلزام المدارس العربية الإسلامية، التي تحرص على الاعتراف بشهاداتها في الدول العربية والإسلامية بل في العالم كله، بتطبيق تلك المناهج الموحدة^(١).

د - أن يُراعى في المنهج الموحّد إدخال منهج اللغة الرسمية لكل دولة، من إنجليزية أو فرنسية أو برتغالية، بصورة تضمن للطالب التمكن منها، والنجاح في امتحانات الشهادة الثانوية العامة التي يُنظّمها مجلس امتحانات غرب إفريقيا لامتحانات الشهادة West African Examination Certificate Council للالتحاق بالجامعات الحكومية.

هـ - إدخال العلوم العصرية في المنهج الموحّد، من رياضيات واجتماعيات ونحوها، بطريقة ترفع مستوى الثقافة العامة لدى الدارسين، ويُستحسن أن تكون دراسة هذه العلوم باللغة الرسمية، لتعين الطلاب على التمكن من تلك اللغة، على أن يُراعى ألاّ تتجاوز نسبة ما يُدرس بغير اللغة العربية ٢٥٪ من مجموع مقررات

(١) وذلك لعلمي بمجهودات سابقة في إنشاء مثل هذه الرباطات للمدارس العربية الإسلامية في نيجيريا، إلا أنها لم تعط ثمارها المنشودة حتى ماتت أو وُتدّت لعدم تعاون مديري المدارس أو مؤسسيها فيما بينهم؛ لظنهم أن المشاركة في مثل هذه الاتحادات قد تقوّت عليهم مساعدات خاصة، أو تمنعهم من بعض ثمار الجهود التي بذلوها على مدارسهم، مع أن عوائد توحيد المناهج على تلك المدارس أكبر وأنفع لهم ولطلابهم لو كانوا يعلمون!

كل فصل دراسي.

و - يمكن - بدلاً من تحقيق الفقرة السابقة - أن يُعمل المنهج الموحّد لكل من القسمين الأدبي والعلمي، بأن تُدمج مناهج جميع المواد الأساسية لكل من القسمين من المدارس الحكومية في مناهج المدارس العربية الإسلامية، مع التنسيق بين عدد ساعات كل مادة بما يتناسب مع مفردات منهجها.

ز - إيجاد قسم مهنيّ مستقل بعد الثانوية أو على مستواها في أقسام الدراسة بالمدارس العربية الإسلامية، وعمل منهج دراسي له يتناسب مع فكرة أسلمة المعرفة، ويُوفّر له كل ما يحتاج إليه من الأجهزة التعليمية المناسبة من معامل ومختبرات وغيرها، تحت إشراف المجلس المقترح.

ح - يقوم المجلس بالتنسيق بين قسم المناهج ومعاهد اللغة العربية ومراكز تعليمها للناطقين بغيرها؛ لإدخال ما تدعو إليه الحاجة من مناهج وطرق تدريس العربية للناطقين بغيرها في المنهج الموحّد للقطر من جانب، ولجعلها جزءاً من منهج دورة تدريب المعلمين التي تُنفذ من جانب آخر.

ط - العمل على إقناع قسم المناهج في وزارات التعليم والتربية بالدول الأعضاء على اعتماد تدريس المنهج الموحّد للغة العربية والدراسات الإسلامية في مدارس الدولة التي اعتمدت إقرارها ضمن مواد الدراسة؛ لأن المناهج الموضوععة لتدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية في المدارس الحكومية، سواء في المراحل الدنيا أو المراحل العليا في المعاهد والكليات وحتى أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات، مناهج قاصرة جداً، لا تغني ولا تعطي المستوى العلمي اللائق بالطلاب.



معظم المدارس العربية الإسلامية في المنطقة تعاني تدهوراً شديداً في المباني غير اللائقة صحياً لفصولها الدراسية

[٢] إعداد المدرّسين:

إن غايات المناهج وأهدافها ليست المكوّنات الوحيدة للنظام التربوي، وإنما المكوّن المركزي لذلك هو المعلم، وإذ لا يمكن للتربية أن تصل إلى غايتها بوصفها وسيلة لتطوير التعليم بغير معلمين مؤهلين مدرّبين متفانين من ذوي العزم على نشر المعارف النافعة، وذوي رغبة في تقدّمها^(١).

وبما أن المدرّس عنصر أساس في رفع المستوى التعليمي وتطويره؛ فلا بد من أن يُعطى الأولوية المطلقة والعناية الفائقة في إعداده وتأهيله ورفع مستواه، وذلك ما أوصت به لجنة التربية والمجتمع المنبثقة عن المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي المنعقدة جلساتها في ٤ - ٦/٤/١٩٧٧م في مكة المكرمة^(٢)، فإعداد المدرّس يُعد من العناصر الأساسية اللازمة لتطوير التعليم الإسلامي في المنطقة، ويمكن أن يتم ذلك بما يأتي:

أ - إيجاد كلية أو معهد عال للتربية في كل دولة من دول المنطقة، لإعداد المعلمين والتربويين، ولمدّ المدارس العربية الإسلامية بكفايات مدرّبة ومعدّدة إعداداً علمياً وتربوياً وإدارياً وإسلامياً، وتسييرها وإغداق الميزانية

(١) سلسلة التعليم الإسلامي، التربية والمجتمع في العالم الإسلامي، من ندوات المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي بمكة المكرمة الذي نظّمته جامعة الملك عبد العزيز، إعداد د. محمد وصي الله خان، ترجمة د. عبد الحميد محمد الحزبي، نشر مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٤هـ، ص ٤١.

(٢) سلسلة التعليم الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٩٣.

السنوية الكافية عليها، وقد يُستعان في توفير ميزانيتها ببعض الهيئات الخيرية، وللمجلس الإقليمي العام في المنطقة أن يقوم بتسويق المشروع في العالم الإسلامي، ويعلن أن لكل هيئة خيرية تريد التمويل أو الدعم أن تختار البلد الذي تريد أن تنشئ فيه الكلية أو المعهد^(٣)، مع ضرورة حصولها على الاعتراف من الدولة.

ب - ضرورة عقد دورة تربية تدريبية سنوية لجميع المدرسين غير المؤهلين تربوياً بالمدارس الإسلامية في كل دولة من الدول الأعضاء، ويعمل القسم المختص بذلك في المجلس تسبقاً لترشيح المدرسين الذين يشتركون في دورة كل سنة؛ بطريقة تسهّل لكل مدرسة في الدولة أن تستفيد من المشروع.

ج - عقد دورات تربية أخرى تجديدية سنوية كذلك، تكون للذين سبقت لهم مشاركات في الدورة التدريبية التأهيلية، أو المؤهلين تربوياً، وذلك لمتابعة ما تدرّبوا عليه في الدورات السابقة، ولإفادتهم بمعلومات مستجدّة في مجال التربية والتعليم في العالم تبعاً^(٤).

د - فتح قسم خاص للإعداد اللغوي بالكلية أو المعهد، يُعنى بتنظيم دورات مكثّفة في الإعداد اللغوي في اللغة الرسمية في البلد، ويكون مهيناً لاستقبال أبناء البلد المتخرجين من خارج الدولة

(٣) الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية، المرجع السابق، ص ١٧٥.

(٤) الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية، مشروعات الاتحاد، المرجع السابق، ص ٣٤.

أعلن وزير التعليم الغامبي سنة ١٩٧٧م أن مدرسي المواد غير العربية والإسلامية في المدارس الغامبية، الذين يعطون دروسهم بالإنجليزية، تُعقد لهم سنوياً دورات تدريبية، تشترك فيها الحكومة الغامبية مع بعض الهيئات الثقافية البريطانية والبعثات التبشيرية التي أنشأت المدارس في غامبيا. في حين أن مدرسي الثقافة العربية والإسلامية هم الوحيدون الذين لا يهتم أحد بتدريبهم أو توفير الدراسات التربوية المناسبة لهم، وأن هذا الوضع يجعلهم في مستوى أدنى من زملائهم، سواء في نظر الوزارة أو في نظر التلاميذ والأهالي.

والكليات الأهلية بالمنطقة اعتماد بعضها على تدريس الكتب القديمة التي لا تلائم في طريقة عرضها للمواد العلمية أساليب العصر الحديث، ولا تراعي مستويات الطلاب ومداركهم وفق المرحلة الدراسية، وقد تجانب بعضها في نصوصها واقع حياة الطالب في المنطقة، وذلك بسبب عدم توافر المقررات الدراسية الملائمة في المدارس؛ ومن ثمَّ فإنَّ من أهمِّ وسائل تطوير التعليم في هذا الصدد ما يأتي:

أ - إيجاد قسم خاص بالمجلس المقترح يتفرَّغ لمشروع الكتب والمقررات الدراسية والثقافية، ويكون في كل من الدول الأعضاء فرع من هذا القسم ليراعي ما يلائم بيئة دولته في المقررات الدراسية.

ولدعم المشروع؛ فإنه يمكن أن تسهم الجامعات العربية والإسلامية والمؤسسات الخيرية بدفع تكاليف طبع بعض المقررات بكميات كبيرة حسب ما يتيسر، كما يمكن أن تلتزم كل جامعة أو مؤسسة بطبع كتاب واحد أو أكثر في كلِّ سنة مالية، حتى تتم سلسلة الكتب المدرسية التي تقرر لتغطية جميع مواد المناهج المشتركة منها والخاصة للمدارس في مراحل الدراسة المختلفة^(١).

ب - إخضاع الكتب المدرسية التي يعدها القسم للالتزام بالمنهج التربوي الصحيح؛ من حيث المادة العلمية، وطرق تأليفها، وأشكالها ونحو ذلك، كما يجب مراجعتها من هيئة تربوية متخصصة في إعداد الكتاب المدرسي لتواكب الأساليب التربوية في طرق التدريس الحديثة.

ج - المراجعة المستمرة لتلك المقررات وتطويرها وفق مستجدات العصر والتقدُّم العلمي

الذين يحتاجون إلى تقوية مستواهم في اللغة الرسمية؛ ليتمكنوا من أداء رسالتهم بين طبقات المجتمع، سواء في مجال التدريس أو في غيره. هـ - عقد دورات تدريبية خاصة بتكوين معلِّمات التعليم العام ومربيَّات الأطفال، وذلك في البلد الذي يوجد فيه إقبال من النساء على التعليم، بل ينبغي أن يوضع مشروع في تشجيع ذلك.

و - المتابعة المستمرة لإلزام المدرسين بتطبيق طرق التدريس الحديثة في جميع مراحل التعليم، فقد مضت حقبة من الزمن يعتقد الناس فيها أن أساليب طرق التدريس تحتاج إليها مراحل التعليم المتدنية فقط، وأن طلاب الجامعات أنضج من أن يلتزم المحاضر تطبيق تلك الطرق في تدريسهم، ولكن التجارب في ميادين التربية والتعليم العالي أثبتت خلاف ذلك، وهو ما أدَّى ببعض المجتمعات إلى أن تدعو في الآونة الأخيرة إلى ضرورة أن يحمل المحاضر في التعليم العالي، سواء في المعاهد العليا أو كليات التربية وفي الجامعات، شهادات الدبلوم العالي في التدريس إضافة إلى شهادته العلمية^(١).

من هنا أرى أنه ينبغي الاعتناء بهذا الأسلوب في تطوير التعليم في جميع مراحل التعليم بالمدارس العربية الإسلامية في المنطقة ضماناً لرفع مستوى التعليم فيها، بأن تسعى الجهات المسؤولة في المجلس المقترح في ضرورة إدخال الأساليب العصرية في التدريس، واستخدام الأدوات والوسائل التعليمية الحديثة المعينة فيه، وكذلك مختبرات العلوم والورش والمكتبات والكتب التعليمية.

[٢] توفير الكتب المدرسية:

من الملاحظ في المدارس العربية الإسلامية

(١) فقد أعلنت المفوضية العليا للجامعات النيجيرية، قبل سنتين تقريباً في الصحف، أنها ستستغني بعد سنوات قصيرة عن أي محاضر في أي مؤسسة تعليمية لا يحمل معه شهادة الدبلوم العالي المذكورة.

(٢) سبق هذا المقترح في مشروعات الاتحاد وقراراته في السنة الأولى، ص ١٢١، وما زالت الحاجة إليه قائمة حتى الآن.



لأبنائهم أن يدرسوا فيها، فلم يسمحوا لبناتهم بالالتحاق بها لما وجدوا فيها من خطورة شديدة على مستقبل دينهن ومروءتهن؛ ولهذا لم تبدأ بنات المسلمين في دول المنطقة في الالتحاق بالمدارس العصرية إلا في وقت متأخر، وهذا ما أدّى إلى تخلفهنّ ثقافياً.

ولهذا؛ عندما نسعى لتطوير التعليم في هذه البلاد يكون لزاماً علينا أن نعطي تعليمهن عناية لائقة وكبيرة لرفع مستواه العلمي والثقافي والتربوي؛ وذلك أن الأسرة مؤسّسة لها دورها في تنشئة الطفل وتربيته وتعليمه؛ فينبغي بذل المجهودات والإمكانات المتاحة لتطوير تعليم الفتيات ونشره على الطريقة الإسلامية، فيكون ذلك من الوسائل الأساسية لتطوير التعليم العام^(١).

الحديث عن الوسائل والأساليب اللازمة لتطوير التعليم في غرب إفريقيا يتطلب دراسة الأوضاع التعليمية العامة لدول المنطقة

وعلى هذا ينبغي مراعاة الأمرين الآتيين:

١ - أن يعمل المجلس المقترح على إيجاد إدارة مستقلة لتعليم البنات، وقد يستعين في ذلك بخبرات رئاسة تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية وتجاربها الموفقة الناجحة.

٢ - أن يعمل على منع الاختلاط في المدارس بدءاً من المرحلة الابتدائية فصاعداً، فقد أثبتت التجارب أن الاختلاط من أسباب نفور البنات عن المدارس، وخصوصاً إذا بلغ سنّ الزواج أو ناهزته، وهو ما جعل الملتزمات منهن لا يكملن دراستهن إلى المرحلة الثانوية بسبب الاختلاط.

(١) سلسلة التعليم الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٩١.

في العالم، تحت إشراف نخبة مختارة من أصحاب الاختصاص في التربية والتعليم من أبناء المنطقة الغيورين على الإسلام وشريعته وتعاليمه.

د - التنسيق الدقيق والحرص الشديد في تزويد المدارس العربية الإسلامية في المنطقة بهذه المقررات، والتوعية بأهمية الالتزام بها لأصحاب المدارس.

هذا، وإذا استعنا بإيجاد مصدر مستمر للكتب المدرسية الملائمة تربوياً وعلمياً واجتماعياً لطلاب المدارس العربية والإسلامية في غرب إفريقيا بالطريقة السالفة الذكر؛ فإن ذلك يحدث طفرة قوية في تطوير التعليم الإسلامي في المنطقة؛ إذ ما من شك في أن الكتاب المدرسي من أئزم الوسائل الأساسية للتعليم نفسه.

[٤] تزويد المدارس بالأجهزة والأدوات

التعليمية الحديثة:

إن تقدّم علوم التقنية الحديثة المتزايد قد أفاد التعليم بوسائل حديثة تضمن له التطور المستمر من حيث توصيل المعلومات، وتيسير فهمها، والتمكين من ربط العلوم النظرية فيها بالتطبيقية بصورة علمية توفر الوقت والجهد في التحصيل والبحث، ولذلك ينبغي الاعتناء بتوفير الأجهزة التعليمية الحديثة المناسبة لكل فرع من فروع العلم في كل من القسم الأدبي، والقسم العلمي، والقسم المهني كعمل اللغات، ومختبرات الفيزياء، والكيمياء، وورشة الكهرباء، والنجارة.. ونحو ذلك؛ مما تحتاج إليها المدارس من الأجهزة التعليمية المختلفة.

[٥] الاهتمام بتعليم البنات:

سبق أن ذكرنا أن المسلمين كانوا يرفضون إدخال أبنائهم المدارس الحكومية خوفاً من تصيرهم، فلم يكونوا يسمحوا بالتحاق بناتهم تلك المدارس ليُدرسن فيها كذلك، وظل الأمر على ذلك حتى عندما بدأ بعضهم يسمحون

[٦] تنفيذ برامج تعليم الكبار:

لا يخفى أن الجهل بالقراءة والكتابة منتشر في أرجاء دول المنطقة، ولا شك أن الأمية من أهم العقبات التي تعترض سبيل التقدم والنمو المطرد في مختلف نواحي الحياة للمجتمع، وقد أدركت معظم دول العالم خطورة ذلك فوضعت مشاريع تربية ثقافية لمحو الأمية وتعليم الكبار، وجعلته جزءاً مهماً من مشروعاتها التعليمية والتنمية الشاملة؛ لكونه من أهم سمات التقدم العلمي في العصر الحديث.

وقد أشارت لجنة التربية والمجتمع المنبثقة عن المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي، المنعقد بمكة المكرمة في العام ١٩٧٧م، إلى الحاجة الملحة لتطوير برامج مناسبة لتعليم الكبار^(١)، تحقيقاً لرأي أحد الباحثين المشاركين في ذلك المؤتمر؛ بأن تحقيق هدف التعليم الابتدائي الشامل لا يمكن أن يصل إلى غايته إلا مع تنفيذ برامج لتعليم الكبار على مدى واسع؛ لأن أطفال الآباء الأميين عرضة للتخلف عن الإجازات الدراسية، وينتسون بسهولة في مجال محو الأمية، والآباء الأميون أقل ميلاً إلى إلحاق أبنائهم بالمدارس وإبقائهم فيها^(٢)، لذا ينبغي أن يعدّ تعليم الكبار من أهم الوسائل التي يُعنى بها لتطوير التعليم في المنطقة، وأن يكون له جناح مستقل ولجنة خاصة في المجلس المقترح.

ثانياً: الوسائل الخاصة المادية:

[١] توفير مبنى المدرسة وتجهيزه:

إن معظم المدارس العربية الإسلامية في المنطقة تعاني تدهوراً شديداً في المباني غير اللائقة صحياً لفصولها الدراسية، وذلك لقلة

المصادر المالية أو فقدها للقيام بمشاريعها بناءً وتجهيزاً.

وبما أن سياسية التعليم تفرض أن «يكون البناء المدرسي لائقاً في مستواه ونظامه وتوافر الشروط الصحية فيه، وافيةً بأغراض الدراسة في الأبنية المدرسية، أخذاً بأسباب العناية الصحية للتلاميذ علاجية كانت أم وقائية»^(٣)؛ فإن من أهم الوسائل اللازمة لتطوير التعليم الإسلامي بالمنطقة ضرورة العمل على رفع مستوى المباني المدرسية للمدارس العربية الإسلامية؛ بصورة تجعلها على أفضل طراز راق من حيث لياقة الموقع، وبعده عن المصانع والشوارع العامة المزدهمة بالمواصلات، وسعة المساحة للفصول والمرافق والباحات والحدائق وفق المواصفات الهندسية الخاصة بكل منها، وقدرتها المباني على تحمل تقلبات البيئة، وعلى تحقيق أهدافها الخاصة بنوع التعليم الذي تقوم به المدرسة من علمي أو مهني، والمستوى التعليمي الذي يُنفذ فيها، من ابتدائي وثانوي وعال وغيرها، بطريقة تجعله باعثاً على تهيئة الجو للعملية التعليمية^(٤)، وتجهيزها بأحدث الأدوات التعليمية والمعامل والتجهيزات الحديثة لرفع المستوى التعليمي في المنطقة.

[٢] إنشاء المكتبات وتجهيزها:

إن معظم المدارس العربية الإسلامية في المنطقة تفتقر افتقاراً شديداً إلى كتب المقررات الدراسية، وكتب المراجع ومصادر الفنون، ولو استطلعنا إحصاء جميع هذا النوع من المدارس

(٣) الدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى: سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، نشر دار اللواء للنشر والتوزيع بالرياض، ط ١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٥٧، ١٢١.

(٤) الدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى، المرجع السابق، ص ١٢٢ - ١٢٤ بتصرف، وفيه شروط الموقع، وبيان المساحة، وشروط المبنى المدرسي.

(١) المرجع السابق، ص ١٩٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧، ٣٩.



للقراءة والاطلاع والبحث.
٣ - مكتبات عربية تجارية كبيرة لحاجة
طلبة العلم والمسلمين، فإن الكتب المفيدة من
أخطر مفقودات طلبة العلم في المنطقة.

ثالثاً: الوسائل العامة:

[١] إيجاد الوقف الخاص بالتعليم:

من أهم الوسائل والأساليب اللازمة
لتطوير التعليم في المنطقة إيجاد وقف خاص
بالتعليم تكون إدارته تابعة للمجلس المقترح،
ويكون له فروع بالاتحادات الوطنية للمدارس
العربية الإسلامية في كل دولة من الدول
الأعضاء.

وأعتقد أنني لا أحتج إلى عناء في
توضيح أهمية هذه الوسيلة في تطوير التعليم
في المنطقة، وبخاصة إذا أعدنا النظر
إلى ما تعانيه المدارس العربية الإسلامية
في المنطقة من نقص في الموارد المالية
بالمقارنة لما تقوم به المنظمات العالمية
التي تُعنى بنشر اللغات العالمية وثقافتها،
مثل المجلس البريطاني، أو المراكز الثقافية
الفرنسية التي تتسق مع الجامعات والهيئات
المختصة في بلادها على وجه الخصوص،
أو بما تقدّمه الكنائس العالمية والمؤسسات
التصيرية الخيرية في أنحاء العالم على وجه
العموم.

ويمكن أن تقسم موارد هذه الوسيلة إلى
نوعين:

أ - الوقف الخاص بالتعليم: وقد أثبت تاريخ
التعليم الإسلامي أنه وُجد مع وجود التعليم منذ
القرن الرابع الهجري سنة (١٢٧٨هـ)^(١) خلال
عهد العزيز بالله، عندما كان الأزهر معهداً

في دول غرب إفريقيا كلها لوجدنا أن ما يزيد عن
٦٠٪ منها لا تملك أية مكتبة لا مدرسية ولا غيرها!
وقد أفادنا تاريخ التعليم الإسلامي منذ
أقدم عصوره ما أولاه الأقدمون من عناية فائقة
بإنشاء المكتبات لكونها من أهم وسائل نشر العلم
والمعرفة حتى غبطهم فيه الغربيون^(١)، ذلك لما
أدركوا من أن الإنسان مهما توافرت لديه أسباب
اقتناء الكتب من مال ونحوه فإنه لا يستطيع أن
يحوز جميع الكتب التي تصيده، فما ظنك بأكثر
طلبة العلم الفقراء الذين لا يملكون ما يعيشون
عليه، فكيف يجدون ما يشتررون به الكتب!
والمكتبات تسدّ هذه الثغرات عن جميع طلاب
العلم والمعرفة غنيهم وفقيرهم.

لذا فإن المدارس بجميع دول غرب إفريقيا غير
العربية تحتاج إلى إنشاء ثلاثة أنواع من المكتبات:
١ - مكتبات مدرسية تغدّي بالكتب القيّمة
في أنواع العلوم وفنون المعارف المتناسبة مع نوع
المدرسة ومستواها العلمي، وتُرصّد لها ميزانية
سنوية كافية لمتابعة حركة التأليف وإقامة
المعارض وظهور الكتب الجديدة، ويهتم برعايتها
ليستفيد منها التلاميذ والمعلمون.

٢ - مكتبات عامّة تكون تحت إشراف إحدى
إدارات القسم المعنّي بشؤون المكتبات في
المجلس المقترح لاستقبال عامة المستفيدين،
وتوفّر فيها المصادر والمراجع وأمّهات الكتب
التعليمية والثقافية المناسبة التي تساعد على
تممية الفكر، وتفيد طلاب الدراسات العليا

(١) يقول أحد الغربيين (Oga Pinto) عن المكتبات الإسلامية:
«إن المسلمين اهتموا اهتماماً عظيماً بأبنية المكتبات العامة
التي كانت تعدّ لاستقبال الجماهير، وقد شُيّد بناء خاص على
طرز معين لمكتبات شيراز وقرطبة والقاهرة وما ماثله...»
انظر: الدكتور أحمد شلبي: التربية الإسلامية، نظمها، فلسفتها،
تاريخها، عنوانه في الطبقات الأولى: (تاريخ التربية الإسلامية)،
نشر مكتبة النهضة المصرية، ط ٦، سنة ١٩٧٨م، ص ١٤٧ -
١٤٨.

(٢) الدكتور أحمد شلبي، المرجع نفسه، ص ٣٦٨.

لها؛ بطريقة لا تصرفها عن أداء رسالتها في التركيز في رفع مستوى التعليم وتطويره.

[٢] توفير المنح الدراسية:

جعل الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية قضية المنح الدراسية أحد مشروعاته الثلاثة في سنته الأولى عام ١٩٧٧م، ودرس جوانب تنفيذ هذا المشروع بصورة تجعلها من أئزم الوسائل والأساليب لتطوير التعليم في دول غرب إفريقيا، وبخاصة إذا دققنا في هذه النقاط التي أشار إليها:

أ - أن توفير المنح الدراسية للطلاب الذين يرغبون في دخول كليات التربية في العالم العربي يجعلهم يسدّون ثغرة المعلمين غير المؤهلين تربوياً في المدارس العربية الإسلامية، ويصبحون كفايات مؤهلة ومؤهلة غيرهم من أبناء جلدتهم، لضمان خير مستقبل لبلادهم في التربية والتعليم.

ب - الحاجة إلى تنويع التخصصات في المنح الدراسية، بحيث لا تقتصر على الدراسات العربية والإسلامية، بل تقدم منح لتخصصات أخرى في الطب والهندسة والاقتصاد والزراعة والحقوق والعلوم الاجتماعية وغيرها، حتى يشارك الخريجون في بناء وطنهم في جميع المجالات، إضافة إلى أن الطالب الذي يحصل على أحد هذه التخصصات باللغة العربية إذا أصبح مدرساً؛ فإن اللغة العربية والثقافة الإسلامية ستكسب بواسطته أجيالاً من التلاميذ الذين سيتعلمون اللغة العربية والثقافة الإسلامية على يده^(١).

ج - بهذه المناسبة ينبغي لفت نظر

(٢) الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية، مشروعات الاتحاد وقراراته في السنة الأولى، نشر المطبعة العربية الحديثة، ٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية العباسية - القاهرة، ص ٢٦، ودورة تدريب المعلمين في غامبيا، ص ١٢٦.

علمياً أكثر منه مسجداً، وتطوّر فيما بعد^(١)، وهذا ما يجعلنا ندرك ما أولاه المتقدمون من اهتمام بإيقاف ما ينفق ريعه على المؤسسات التعليمية التي كانوا ينشئونها ليضمّنوا مصدر ميزانيات كل مدرسة.

ولا يخفى أن أكبر عائق لتقدم التعليم وتطوّر في غرب إفريقيا فقد مصادر ثابتة لميزانيات مستمرة لتمويله والقيام بمتطلباته المادية، فمن هنا ينبغي إيجاد قسم خاص لأوقاف التعليم في المجلس الإقليمي المقترح، ثم تؤسس فروع لها في الدول الأعضاء لتكون وسيلة تمويلية لتطوير التعليم، مع أهمية الدعاية لها لدى جمهور المسلمين في جميع دول المنطقة وبخاصة المحسنون.

الدراسة الجامعية تعد امتداداً لتلك المجهودات المبذولة للطالب في دراساته بالمراحل الأدنى

ب - الزكاة والصدقات: بأن توجد لجنة خاصة لجمع الزكاة والصدقات من المحسنين، سواء من داخل الدول الأعضاء ومن خارجها، ويُستحسن تكوين اللجنة من ذوي الخبرات في الأعمال الخيرية، ومن المتخصصين في علم الشريعة الإسلامية، وتُعطى اللجنة نوعاً من الاستقلال حسب الضوابط التي توضع

(١) وبخاصة عندما «ظهرت الحاجة إلى تأسيس مكان يخصص لرعاية العلم ونشر الثقافة؛ ظهرت في الوقت نفسه فكرة أن يُوقف على هذا المعهد وقف ينتج إيرادات يكفي للإنفاق على شؤونه وشؤون القائمين بالعمل فيه، وكان المأمون أول من أبرز هذه الفكرة للوجود... فأصبح من ضروريات إنشاء معهد ثقافي أو مدرسة أن يعيّن لها وقف ثابت، تتلقى منه ما يفي بنفقاتها، وما يمدّها بما تحتاجه من مصروفات»؛ الدكتور أحمد شلبي، المرجع نفسه، ص ٣٦٤ - ٣٦٥.



وأقدر المصادر لتغذية المجتمع بكوادر علمية وعقول مبتكرة، تستطيع أن ترفع من شأن العلوم والمعارف، وتسعى في سبيل نشرها وتطويرها، وتوجد في غرب إفريقيا جامعتان إسلاميتان عالميتان، هما: الجامعة الإسلامية في جمهورية النيجر، وجامعة الملك فيصل في تشاد، ويمكن أن تلحق بهما في الوقت الحاضر في نيجيريا جامعة الحكمة - إلورن، بولاية كوارا، وجامعة كاتشينة (الإسلامية) بمدينة كاتشينة - ولاية كاتشينة، وجامعة الهلال بمدينة أبيكوتا في ولاية أوغن، وجامعة المنبع بمدينة أوشوبو في ولاية أوشن، ومؤخراً قامت جامعة راف (الأندلس سابقاً) في كينيا قرب نيروبي.

ويمكن تطوير التعليم من خلال هذه الجامعات ونحوها في المنطقة من الأوجه الآتية:

أ - التنسيق بين هذه الجامعات؛ بإيجاد قنوات التعاون الثقافية ونحوها فيما بينها، والسعي في تطوير التعليم الإسلامي من خلالها في المنطقة.

ب - الإسهام بمجهودات بعض منسوبيها في تكوين المجلس المقترح والتخطيط لإيجاده، والتعاون فيما بينها في تنفيذ برامجها التربوية والتدريبية للمعلمين والمعلمات.

ج - دعم هذه الجامعات أنفسها بصورة مستمرة، وتوسيع دوائرها الأكاديمية بإضافة كليات جديدة في العلوم والآداب والاجتماعيات ونحوها، لتتمكن من أداء رسالتها في المنطقة على الوجه المطلوب.

د - إنشاء مزيد من الجامعات في بعض الدول الأعضاء؛ ففي نيجيريا الآن خمس وعشرون جامعة خاصة، أربع منها تنتمي إلى المسلمين، والبقية من مؤسسات تعليمية تابعة

الجهات المقدمة للمنح إلى ضرورة تأهيل الطالب قبل إكمال دراسته أو بعده مباشرة - باللغة الرسمية لبلده، إما أن يكون قبل عودته إلى وطنه، أو في أثناء الإجازات الطويلة حتى يكون لهم تأثير في البلد، وبخاصة لمن يدرّس منهم في المدارس الحكومية التي قررت تدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية فيها، وليستطيعوا أن يتابعوا مجريات الأحداث في البلاد؛ فقد ثبت أن معظم خريجي الدول العربية الذين لا يتقنون اللغة الرسمية لبلادهم يقلّ الاستفادة منهم في الأوساط الثقافية والدوائر الحكومية، وكذلك المؤسسات التعليمية في مجال التعليم والدعوة.

وهذه الظاهرة عامة في العالم غير العربي^(١)، فينبغي عدم التقليل من شأن هذا الخطر لئلا تكون المجهودات المبذولة من قبل الطلاب أنفسهم، والنفقات التي تتحملها الجهات التي تقدّم لهم المنح كذلك قليلة الفائدة.

[٢] الاهتمام بالتعليم العالي ومؤسساته، وإنشاء الجامعات ودعمها باستمرار:

إن الدراسة الجامعية تعد امتداداً لتلك المجهودات المبذولة للطالب في دراساته بالمراحل الأدنى، وهي «مرحلة التخصص العلمي في كافة أنواعه ومستوياته، رعاية لذوي الكفاية والنبوغ، وتنمية لمواهبهم، وسداً لحاجات المجتمع المختلفة في حاضره ومستقبله، بما يساير التطور المفيد الذي يحقق أهداف الأمة وغاياتها النبيلة»^(٢).

الجامعات أوسع الميادين لنشر العلم،

(١) ينظر مثلاً: إبراهيم براله: الدعوة الإسلامية في كينيا، من ١٩٦٠ - ١٩٩٠م، ص ٢٣.

(٢) الدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى، المرجع السابق، ص ٣٤.

ربيعها لمصلحة المشروعات التعليمية المختلفة، وغالب ظنّي أن إنشاء المطابع من المشروعات الخيرية المفيدة التي قد تجد دعماً سخياً من بعض المحسنين في الدول العربية والإسلامية.

الخاتمة :

إن الحديث عن الوسائل والأساليب اللازمة لتطوير التعليم في غرب إفريقيا يتطلب دراسة الأوضاع التعليمية العامة لدول المنطقة، بغية التوصل إلى تشخيص الواقع الحقيقي للتعليم، ثم البحث عن الوسائل والأساليب التي تلزم لتطويره، وإنني بعد دراستي المتواضعة لذلك ارتأى لي أن أبرز المشكلات التي يعانيها التعليم الإسلامي في معظم دول المنطقة تتركز في عناصر بعضها فنية وأخرى مادية، ومنها أيضاً عناصر خاصة وغيرها عامة، وذلك من حيث فقد المناهج أو ضعفها، وعدم ملائمة كتب المقررات الدراسية أو فقدها، وقلة تأهيل المدرسين، وسوء الإدارة، وبدائية معظم مباني المدارس، وفقد مصادر التمويل والميزانية الدائمة.

ومن ثم تركّز هذا البحث في عرض الوسائل والأساليب التي ينبغي الاستعانة بها لتطوير التعليم من خلال العناصر المذكورة، وفي نظري أن كبرى تلك الوسائل وألزمها لتحقيق بقية الوسائل هي إنشاء مجلس إقليمي للمدارس العربية الإسلامية لدول غرب إفريقيا، واعتقادي أنه لو وُفِّقنا للعمل الجادّ على تنفيذ ما اشتملت عليه هذه المقالة وغيرها من مقترحات؛ فإن غرب إفريقيا ستشهد تطوراً ملموساً ونهضة سريعة في رفع شأن التعليم ومحو الأمية، وسيؤثر ذلك تأثيراً إيجابياً واضحاً في الأوضاع الاجتماعية والدينية.

للنصارى واليهود، بل إن من بينها جامعة تابعة لـ «إسرائيل»!

هـ - العمل على إنشاء فروع للجامعات الإسلامية المعترف بها في العالم، أو المعترف بها لدى كل دولة من دول المنطقة، وبخاصة في التخصصات العلمية المختلفة والاجتماعية، فإن ذلك يوفّر الوقت والجهد والنفقات، فتسجيل جامعة في نيجيريا مثلاً يستغرق سنوات، ويستنفد مجهودات وأموالاً باهظة، فبدلاً من ضياع الجهود في إنشاء جامعة إسلامية أخرى في نيجيريا، وطلب الاعتراف بها من الدولة؛ يُستحسن أن ينشأ فرع لجامعة من الجامعات الإسلامية المعترف بها في نيجيريا لتكتسب الاعتراف منها، ثم تمارس أعمالها بسهولة، وهكذا يمكن أن تُستغل هذه الفرصة الثمينة بدلاً من الإكثار من إنشاء جامعات إسلامية أهلية.

ويضاف إلى ما سبق: الاهتمام بالبحث العلمي، التعاون بين الجامعات في المجالات المختلفة، الاعتمادات الأكاديمية، الابتعاث الخارجي، والتنسيق في ذلك بما يحقق الأهداف، والتعريب والترجمة.

[٤] إنشاء المطابع:

إن إنشاء مطابع كبيرة عربية وإنجليزية دائمة تكون تحت إشراف المجلس الإقليمي المقترح؛ لا يقل أهمية عما سبق في تطوير التعليم في المنطقة؛ لما لا يخفى من معاناة المدارس العربية الإسلامية فيها من نقص شديد في الكتب المدرسية، فضلاً عن الكتب الثقافية العامة، فإنه إذا وجدت في كل دولة مطبعة كبيرة واحدة - على الأقل - فسُتسهم في تطوير التعليم من جهتين؛ إحداها طبع المقررات الدراسية والكتب الثقافية العامة، والأخرى أنها ستكون من وسائل استثمار يعود



حول التعليم الإسلامي في إفريقيا

د. أبو بكر عبد الله شعيب (*)

إن التعليم العربي الإسلامي بحاجة إلى مراجعة شاملة لمواجهة التحديات العديدة التي يواجهها والمتمثلة في:

التحديات الداخلية :

أولاً: اختلاف مناهج التعليم، واستقلال كل مؤسسة بوضع منهجها ومنح شهادتها، وعدم استقرار المنهج حتى في المؤسسة الواحدة أحياناً، وهذا عادة ما يكون في التعليم الأهلي لا الحكومي^(٢)، لذا لا بد من إعادة النظر في المنهج المطبق حالياً والمتوارث عبر الأجيال من الآباء والأجداد؛ بحيث يستوعب المتغيرات في المكان وحاضر العصر، ويتسع ليشمل أساسيات العلوم الضرورية النافعة شرعية وطبيعية كونية، وما يتبع ذلك من إعداد المعلمين المؤهلين علمياً ومهنياً، وتحديث المحتوى، وتجديد أساليب التدريب.

ثانياً: تجميع شتات مؤسسات هذا التعليم تحت مظلة إدارة تربوية واحدة فاعلة ومقتدرة، ذات رؤية واستراتيجية واضحة المعالم، ونجاح أي مشروع رهين بكفاية الجانب الإداري وفعالته، وبراعة التخطيط وحسن التنظيم.

ثالثاً: البحث عن مصادر التمويل لتغطية نفقات هذا المشروع، وإذا كان حجم الإنفاق على التعليم مؤشراً قوياً على مستوى وجوده ومخرجاته؛ فلا يترك مصير التعليم العربي الإسلامي لجهود المنظمات التطوعية

المتتبع لمسيرة التعليم العربي الإسلامي بدول إفريقيا يجد أنها قامت على مبادرات فردية من جمعيات ومؤسسات خيرية من خارج إفريقيا، ومن أهل البر والإحسان من الأفارقة أنفسهم ولم تخضع لسلطة تربوية مركزية، أو لاستراتيجية واحدة، فتعددت المدارس، وتعددت المستويات والشهادات، وسارت دون مرجعية علمية معترف بها.

أما المناهج؛ فيجري الخلط بينهما وبين المقررات الدراسية، وفكرة المنهج نفسها بالمعنى العلمي التربوي مستحدثة وجديدة على التعليم العربي الإسلامي، والمقررات الدراسية مختلفة باختلاف المدارس، وباختلاف الكتب والمراجع المتاحة، أو الجماعة أو الطائفة التي تتبع لها تلك المدارس، وأغلب هذه المناهج لا تتوافر فيها الشروط الفنية والأسس النفسية والتربوية. وكثير منها مجلوب من دول عربية مختلفة.

إن الأساليب المتبعة في هذه المدارس ما زالت هي الأساليب والطرق التقليدية، والتي تقوم على التلقين والحفظ وحشو الذاكرة بالمعلومات، دون الاستفادة من الدراسات النفسية في مجال التعلم، أو الدراسات التربوية في مجالات تحديث نظم الأداء وتطوير أساليب التدريس، وقد تكون لشيوع طريقة التلقين والحفظ مسوغاتها الموضوعية في الزمن الماضي.

(٢) د. يوسف الخليفة أبو بكر: مشروع تطوير التعليم الإسلامي في إفريقيا، [ن، ت]، ص ١٢١.

(*) أكاديمي سوداني - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

والجهات الخيرية وإمكانيات الأهالي الأفارقة البسطاء؟

التحديات الخارجية :

في مقابل المشكلات الداخلية الهيكلية للتعليم العربي الإسلامي تبرز التحديات والمشكلات الخارجية، والتي يمكن إجمالها فيما يأتي:

٤ - تيار العولمة الذي يهدف لخلخلة النظم التربوية القائمة، وإعادة صياغتها بما يتواءم وأهداف الدول الكبرى الممسكة بأعنة هذا التيار، والتعليم العربي الإسلامي هو أول ما تُوجّه نحوه سهام هذه الحملة، فبدؤوا بتجفيف منابعه بحجة محاربة الإرهاب والأصولية، وضيقوا على كثير من الجامعات والمدارس الإسلامية، كما مارسوا الضغوط على عمل المنظمات الخيرية الإسلامية التي كانت تساهم بنصيب الأسد في تمويل التعليم العربي الإسلامي؛ مما أدى إلى شلها وتوقفها^(٢).

رؤية وآفاق:

كان التعليم العربي الإسلامي كالقلعة الحصينة التي احتفى خلفها المسلمون من غائلة الثقافة الاستعمارية؛ بعد انهيار المقاومة الوطنية الإسلامية المسلحة أمام الآلة العسكرية الغربية، غير أن دور هذا التعليم ليس دوراً مرحلياً استنفد أغراضه مع رحيل الاستعمار، بل هو باق ما بقي الإسلام والمسلمون.

وحتى تتحقق له هذه الاستمرارية؛ لا بد من الاستجابة لبعض الشروط لتجاوز التحديات والمشكلات التي سبق الحديث عنها، ومن ذلك:

أولاً: القبول بفكرة التطور، فقد ظل التعليم

١ - أن الساحة ليست خالية تماماً أمام التعليم العربي الإسلامي، فهناك مشروع التعليم الفرنسي (الذي يجسد الأهداف الثقافية الاستعمارية الفرنسية)، والتعليم الإنجليزي، المسنودان بالمال والرجال، والكفايات العلمية، والتجهيزات اللازمة، والنفوذ الاستعماري الذي يناصب التعليم العربي الإسلامي العداوة والبغضاء^(١).

الدولة لا تستطيع أن تتجاهل التعليم العربي الإسلامي إلى الأبد؛ لأنه يمثل رغبة شعبية عارمة

٢ - كما مثل دور الحكومات الوطنية بعد الاستقلال امتداداً للنفوذ الاستعماري في الهيمنة الثقافية والفكرية، وذلك باتباع خطوات محددة؛ أبرزها عدم الاعتراف بالتعليم العربي الإسلامي، وعدم توظيف خريجيه، وحرمانه من المساعدات المالية، وإن كانت بعض الحكومات قد بدأت بالفعل بالاعتراف به، وإدخال مواد ومقررات عصرية تجعل التعليم الإسلامي يواكب التطور والتقدم.

٣ - الاتجاه نحو الجودة والاعتماد

(٢) السلومي، محمد عبد الله : ضحايا بريئة للحرب العالمية علي الإرهاب، ص ٤٥ ، منشورات البيان، الرياض، ط١ ، ٢٠٠٥ م .

(١) عبد الرحمن أحمد عثمان: نحو إستراتيجية التعليم الإسلامي في إفريقيا - مجلة دراسات إفريقية- ع ١١ ص ٢٤ .



فهي ثمرة تعاون بين حكومة السودان، وبعض المنظمات الأهلية والخيرية.

رابعاً: التعليم العربي الإسلامي بحاجة إلى الدولة ليستفيد من ميزانياتها الضخمة المخصصة للتعليم، خصوصاً أن المسلمين هم الممول الرئيس لميزانيات دولهم، ولهم الحق في نفقات التعليم من الميزانية العامة، كما أن التعليم العربي الإسلامي بحاجة إلى الدولة للاعتراف بشهاداته وتوظيف خريجيه حتى لا يكونوا غرباء في دولهم، ومن ناحية أخرى؛ فإن تطوير نُظُم التعليم العربي الإسلامي أمر ضروري للمساهمة الفاعلة في خطط التنمية الاقتصادية والبشرية.

كما أن الدولة لا تستطيع أن تتجاهل التعليم العربي الإسلامي إلى الأبد؛ لأنه يمثل رغبة شعبية عارمة، ولأن المواطنين على استعداد لمساندتها في النهوض بهذا التعليم، لقد أخفقت مشاريع محو الأمية في المنطقة باستعمال الحرف اللاتيني، فلجأت الدولة لتجربة محو الأمية بالحرف القرآني، وربط المدارس القرآنية بالتعليم العام؛ لأن الناس يألفون الحرف القرآني وينفرون من نظيره اللاتيني.

وقد استجابت بعض الدول لضغوط أولياء الأمور فأدخلت اللغة العربية والتربية الإسلامية في المنهج في جميع مراحل التعليم العام كما حدث في السنغال، وهو أول خرق لمبدأ العلمانية في التعليم، فهذا الاهتمام من الدول يُعد من باب الرجوع إلى الحق فضيلة، وهو جدير بالاهتمام والتقدير⁽¹⁾.

العربي الإسلامي يقدم نفسه في قالب واحد، ولم ينل حظه من المراجعة والتقييم، وذلك لانعدام القوة الدافعة للتطور الذي يتلاءم مع التقدم الحديث، ونعني بالتطور إعادة النظر في بنية هذا التعليم، والقائمين عليه، ونُظمه ومناهجه، بقصد التطوير والتجويد.

إن من يقف ضد مبدأ التطوير فإنه يقف ضد الزمن، ولا نظن أن أحداً يرفض هذا المبدأ، ولكن ما هو التطور المناسب الذي ينبغي إدخاله في هذه المؤسسات العلمية. إن التطوير المرغوب فيه بالنسبة للمدارس العربية الإسلامية ينبغي له أن يكون مبنياً على أسس علمية.

ثانياً: ضرورة انتظام التعليم العربي الإسلامي تحت مظلة إدارة تربوية واحدة فاعله ومقتدره، تتولى مهام التخطيط ورسم السياسات وتنفيذها، واستتباط الوسائل، وتوفير الإمكانيات، فالإدارة التربوية الموحدة تعني التعامل مع منهج دراسي واحد بدلاً من العشوائية والتخبط بين عشرات المناهج المختلفة، وتعني الحصول على شهادة موحدة ذات مرجعية علمية معترف بها داخل البلاد وخارجها ولا تقل عن نظيراتها من الشهادات الحكومية.

ثالثاً: تشجيع النماذج الناجحة والاستفادة منها، مثل تجربة الجامعة الإسلامية في النيجر في مجال تطوير التعليم العربي الإسلامي في جمهورية النيجر، وهو مشروع يتم بالتعاون بين حكومة النيجر والبنك الإسلامي للتنمية بجدة ومجموعة من الخبراء في مجال التربية من الذين يهمهم أمر التعليم العربي الإسلامي.

كما أن تجربة جامعة إفريقيا العالمية بالسودان من التجارب التي لاقت استحساناً،

(1) د. بشير عبد الواحد بشير: خارطة الطريق للتعليم العربي الإسلامي في إفريقيا <http://www.afan.ir/arabic/modules/smartsection/item.php?itemid=3>

تُراعى فيها أهداف المنهج ومحتواه الشرعي، بحيث يمكن توزيعه على المراحل، ويُراعى فيه إمكان توحيد الشهادات والامتحانات خصوصاً في نهاية المرحلة الثانوية.

٣ - السعي إلى تنويع المساقات في التعليم الإسلامي، بإبقاء المدارس الإسلامية - أو بعضها - لتدريس علوم الشريعة، وإدخال شيء من التعليم المهني والتقني لتوفير سبل كسب العيش، وإنشاء مدارس تجمع بين تعليم العلوم الشرعية والأكاديمية، ويُراعى فيها توافق المواد الأكاديمية للشريعة بوصفها مصدر القيم.

٤ - الاهتمام بإدارات التعليم العربي الإسلامي الرسمية والتعاون معها، ومدد يد العون إليها على المستويين المادي والفني.

٥ - اختيار المعلم الداعية، صاحب الأهلية العلمية والخبرة العملية، ليكون تأثيره أكثر وأنفع.

٦ - إعطاء المعلم ما يكفيه من الأجر حتى يتسنى له أداء دوره على أكمل وجه.

٧ - إقامة دورات تدريبية تطويرية لمعلمي الدراسات الإسلامية واللغة العربية في بلدانهم.

٨ - تبصير المعلمين بكل ما هو جديد في مجال التربية وعلم النفس وطرائق التدريس الحديثة، وتهيئتهم في مجال الحاسوب والانترنت الذي أصبح لا غنى عنه لمن يبغى التطوير والتحديث.

٩ - ابتعاث عدد من المعلمين من ذوي الكفاية للدراسات العليا بجامعات الدول العربية وغيرها من الدول الإسلامية مثل ماليزيا.

١٠ - السعي عن طريق المنظمات والروابط والوزارات لدى الحكومات الإفريقية

خامساً: من هنا يأتي دور المؤسسات الرسمية مثل الإيسيسكو والألكسو، والمنظمات الخيرية الإسلامية الأخرى، لاستلام زمام المبادرة وتقديم الخبرة الفنية في مجال إعداد المعلمين، وتأليف الكتب، وتقديم المساعدات المادية، وتوفير الإمكانيات المطلوبة لتحقيق النهضة الشاملة للتعليم العربي الإسلامي على قاعدة الشراكة بين الحكومات وسلطات التعليم العربي الإسلامي ومؤسسات ومنظمات العالم العربي الإسلامي المعنية بهذا الأمر.

التطلعات:

من هذه الورقة؛ نخلص إلى أن هناك مشكلات وعقبات تعترض مسار التعليم العربي الإسلامي في إفريقيا، ولتذليل هذه العقبات لدينا بعض التطلعات التي نأمل أن تكون دافعاً ومعيناً للقائمين والعاملين على نهضة التعليم الإسلامي في إفريقيا.

وهذه التطلعات هي:

١ - تكوين روابط للخريجين في الجامعات الإسلامية في الدول العربية والإسلامية من إفريقيا، وتوجيه العناية إليها ودعمها لتمكينها من أداء رسالتها^(١).

التطوير المرغوب فيه بالنسبة للمدارس العربية الإسلامية ينبغي له أن يكون مبنياً على أسس علمية

٢ - تشكيل لجان علمية متخصصة للنظر في إعداد مناهج موحدة للمدارس الإسلامية،

(١) د. خالد عبد اللطيف، التعليم الإسلامي في إفريقيا. www.ansar-al sunna.net/download/af.edu.doc



تشجّع حركة التأليف، وتزيد من نشر الكتاب الإسلامي والكتب التخصصية ذات الفائدة لطالبي العلم، وتعود بفائدة استثمارية للمؤسسات التعليمية والدعوية.

٢٠ - مراجعة الكتب الدراسية بما يتواءم والفكر الإسلامي الصحيح، ويجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويبتعد عن مواضع الخلاف والشقاق، ويدعو للألفة بين المسلمين.

٢١ - عمل كتاب دليل المعلم يُراعى فيه اختلاف المراحل، والإرشاد إلى الطريقة المثلى لإيصال العلم والقيم الإسلامية وترسيخها في نفوس الطلاب.

٢٢ - السعي إلى دعم المدارس القائمة وترميمها وتطويرها.

٢٣ - إنشاء مدارس جديدة، وتوزيعها توزيعاً جيداً، تشتمل على قاعات الدراسة والمكاتب الإدارية، إضافة إلى بناء مساكن لإيواء الطلاب؛ خصوصاً في المرحلة الثانوية والجامعية.

٢٤ - تشجيع البحث العلمي، وذلك ابتغاء عدد مقدر من الطلاب والباحثين للدراسات العليا، ودعم المؤسسات ومراكز الأبحاث المهمة بالبحث في التعليم، وبصفة خاصة في التعليم الإسلامي في إفريقيا.



لاستيعاب خريجي الجامعات الإسلامية في وظائف التعليم العام، ومساواتهم بغيرهم في السلم الوظيفي.

١١ - المطالبة بإدراج مشرفي التعليم الإسلامي في سلك المشرفين بالوزارات الوطنية طبقاً لشهاداتهم.

١٢ - إنشاء جمعيات طلابية ثقافية وعلمية لاكتشاف المواهب وصقلها وتمييزها.

١٣ - التوسع في إنشاء الإسكانات الطلابية الجامعية التي تُعنى بتربية الطلاب تربوياً، وصقل مواهبهم ومهاراتهم.

١٤ - التوسع في المنح الدراسية للطلاب المسلمين في المعاهد والجامعات والدراسات العليا، مع مراعاة التوزيع الجيد للدول والمناطق داخل الدولة الواحدة، والاهتمام بهم تعليمياً وتربوياً؛ حتى يسدّوا حاجة بلادهم بالكفايات العلمية المؤهلة الصالحة.

١٥ - الاهتمام بتعليم المرأة الإفريقية المسلمة بإنشاء مدارس ومعاهد وكليات، وتركز في مناهجها فيما يخص المرأة ويهمها؛ لإعدادها إعداداً يناسب طبيعتها ورسالتها في المجتمع.

١٦ - تزويد المعاهد والجامعات الإسلامية بالمراجع والمصادر باستمرار؛ حتى تعين الطلاب والأساتذة في التحصيل العلمي.

١٧ - إعداد برنامج مستمر في تعليم اللغة العربية - إذاعي وتلفزيوني - يُبث على مستوى القارة، ونسخه على عدة وسائل إلكترونية، وإهداء تسجيلاتها لدعم المكتبات الإسلامية في القارة.

١٨ - إنشاء مكتبات عامة يرتادها المثقفون من أبناء القارة للاستفادة منها.

١٩ - إنشاء مطابع ودور نشر في القارة،

المشهد الإفريقي



تقرأ في المشهد :

- أهم الأحداث
- قالوا عن إفريقيا
- إفريقيا والتنمية
- فرق وأديان
- آراء ورؤى
- بنك المعلومات (جمهورية جنوب إفريقيا)
- ذاكرة التاريخ
- فعاليات



المشهد الإفريقي

أهم الأحداث :

عام ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

1433
2012

باسم تكتل أحزاب المعارضة صالح كيبزابو الانتخابات في «ليري» جنوب غرب البلاد (مسقط رأسه)، وفاز فيها مرشح حركة الإنقاذ الوطني بواقع ٥٢.٩٠٪ من الأصوات؛ بيد أن الأخير شكك في صحة الانتخابات ونزاهتها؛ مشيراً إلى وقوع ما أسماه تجاوزات خطيرة في عدد من المناطق بما فيها العاصمة إنجامينا، حيث كشف أن الحدود مع الكاميرون لم يتم إغلاقها حتى منتصف ظهر الاثنين؛ مما سمح لكثير من مواطني الكاميرون بالدخول إلى تشاد والمشاركة في التصويت.

٧ فبراير ٢٠١٢م - الجزيرة نت

■ ضرب إعصار «جوفانا» مدغشقر يوم ١٣ فبراير في الساعة الثامنة مساءً بتوقيت البلاد، صُنِّف الإعصار في الفئة الرابعة، وقد بلغت سرعة الرياح ١٩٤ كم / بالساعة، فخلع الأشجار وأعمدة الكهرباء، وأفادت التقارير الرسمية أن حصيلة القتلى قد وصلت لغاية كتابة هذا المقال إلى ١٠ قتلى، وحلَّ عيد الحبّ مظلماً على «أتاناناريفو» و «توماسين» أهمّ مدينتين في البلاد؛ إذ تقطعت الكهرباء لفترات طويلة.

١٨ فبراير ٢٠١٢م - Global Voices online

■ انضمت إيران إلى الولايات المتحدة وإسرائيل، وعدد آخر من الدول التي أعلنت عن استعدادها لمساعدة الحكومة النيجيرية في محاربة جماعة «بوكو حرام»، وقال المتحدث باسم السفارة الإيرانية في أبوجا «مانوشيلف صديقي برزهاهي»- في احتفالية أقيمت بمناسبة الذكرى الثالثة والثلاثين للثورة في إيران :- «إن الوضع الأمني الحالي في نيجيريا يتطلب تكثيف جهود الدول الصديقة لها؛ لمساعدتها في التغلب على مشكلة الإرهاب»، وأعرب المتحدث الإيراني - أيضاً - عن استعداد بلاده لزيادة التعاون الاقتصادي مع نيجيريا التي وصفها بأنها سوق منفتح اقتصادياً، وذلك لمساعدتها في توفير مزيد من فرص العمل لأبناء الشعب النيجيري.

يُذكر أن هناك وجوداً شيعياً ملحوظاً في نيجيريا، حيث تقوم طهران بدعم هذا الوجود ورعايته، خصوصاً في المناطق التي يغلب عليها الجهل والفقر.

وكان عدد كبير من الدول، بما فيها الولايات المتحدة وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا وكوريا الجنوبية، قد أعلنت عن استعدادها لمساعدة الحكومة النيجيرية في مواجهاتها ضد جماعة «بوكو حرام».

٢٠ فبراير ٢٠١٢م - وكالة أنباء الشرق الأوسط (أ ش أ)

■ مدد «الاتحاد الإفريقي» التفويض لرئاسة مفوضية الاتحاد بعد الإخفاق في انتخاب رئيس جديد؛ مما أبرز ضعف الاتحاد بسبب بقاء اتخاذ القرارات خلال اضطرابات سياسية شهدتها القارة العام الماضي.

وكانت وزيرة خارجية جنوب إفريقيا السابقة «نكوسازانا دلاميني زوما» تتنافس الرئيس المنتهية ولايته لمفوضية الاتحاد «جان بينج» من الجابون، والذي لم يتمكن من الفوز بأغلبية خلال أربع جولات من التصويت، وبعد ساعات من المداولات، والتي قالت خلالها وزيرة خارجية جنوب إفريقيا إن نائب رئيس المفوضية سيتولى رئاسة المفوضية بشكل مؤقت، وأعلن الاتحاد الإفريقي أنه قرر تمديد تفويض «بينج» لستة أشهر أخرى إلى حين انعقاد القمة التالية في مالابو في يونيو. و «المفوضية» هي أعلى جهاز لأمانة «الاتحاد الإفريقي»، وقال دبلوماسي غربي إن هذه الانقسامات تُظهر مدى التحوّل الذي طرأ على توازن القوة في القارة بعد مقتل واحد من أقوى الداعمين، وهو الزعيم الليبي معمر القذافي، وكان «الاتحاد الإفريقي» تأسس خلال قمة عُقدت في مسقط رأسه سرت. وإخفاق رئيس جنوب إفريقيا «جاكوب زوما» في ضمان الحصول على الأغلبية لـ «دلاميني زوما» (وهي زوجته السابقة)، بعد فترة «بينج» التي وجّه لها الكثير من الانتقادات، تُعد ضربة لجنوب إفريقيا التي ترى نفسها قوة صاعدة تدافع عن القضايا الإفريقية.

١ فبراير ٢٠١٢م - وكالة رويترز

■ فاز الحزب الحاكم في تشاد بالأغلبية المطلقة في المدن الكبرى، وذلك في أول انتخابات محلية بالبلاد، وسقط تشكيل المعارضة بنزاهة العملية الانتخابية، فقد أعلنت اللجنة الوطنية المستقلة للانتخابات في تشاد: أن حركة الإنقاذ الوطني بزعامه الرئيس إدريس دبي حققت فوزاً كاسحاً في ١٢ من أصل ٤٢ دائرة، تقاسمت الفوز مع أحزاب الاتحاد من أجل الجمهورية والديمقراطية المعارض في مدينة «سهر» (ثالث أكبر مدينة في البلاد)، في حين عزز التجمّع الوطني من أجل الديمقراطية والنقّدم (حليف حركة الإنقاذ الوطني) موقعه في منطقة «كيلو» جنوبي البلاد.

أما تكتل أحزاب المعارضة - المنضوية تحت مسمى «تنسيقية الأحزاب السياسية من أجل الدفاع عن الدستور» بواقع ١٦ حزبا - فقد خاض الانتخابات بلوائح موحّدة في ٢٢ دائرة انتخابية، لكنه لم يحصل على الأغلبية في أي منها.

وخسر زعيم المعارضة الديمقراطية ومساعد المتحدث

■ اتهمت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون الرئيس السوداني عمر البشير بالعمل على تقويض دولة جنوب السودان التي انفصلت عن الخرطوم في يوليو ٢٠١١م، مؤكدة عزمها على دراسة سبل تشديد الضغط عليه، وقالت كلينتون أمام مجلس النواب الأمريكي: «إن شعب جنوب السودان صوت مع الاستقلال، ومنذ ذلك الحين، وعلى الرغم من مشاركة البشير في حفل تصيب (نظيره الجنوبي) سلفاكير؛ فهو يقوم بجهد متواصل لتقويض وجود هذه الدولة» - بحسب قولها -.

وأضافت أن «ما يحصل مع البشير؛ هو أنه مستمر في جهوده لإجهاض نتائج معاهدة السلام» الموقعة مع جوبا، مذكرة بأن الولايات المتحدة اضطلمت بـ «دور بالغ الأهمية» في المفاوضات التي أفضت إلى هذا الاتفاق.

١ مارس ٢٠١٢م - فرنس برس

■ أعلنت القوات الحكومية الصومالية المدعومة من الاتحاد الإفريقي: أنها سيطرت على حي في ضاحية شمال مقديشو، بعد تمكها من إخراج حركة شباب المجاهدين منه على إثر هجوم قصير.

وأعلن عبد الله علي انود (قائد القوات الصومالية) أن القوات الحكومية الانتقالية التي تدعمها قوة الاتحاد الإفريقي في الصومال «تقدمت نحو المواقع الأخيرة للشباب في سوكاوهولاها، وسيطرت على أحياء أساسية». وتعد منطقة «سوكاهولاها» آخر معقل للشباب في العاصمة التي تعمها الفوضى، ويأتي الهجوم بعد أسبوعين من شن قوات الاتحاد الإفريقي هجوماً مماثلاً في جنوب مقديشو.

ويقاتل مسلحو حركة الشباب من أجل الإطاحة بالحكومة الصومالية المدعومة من الغرب في مقديشو، والتي تحميها قوات من الاتحاد الإفريقي قوامها ١٠ آلاف جندي.

٢ مارس ٢٠١٢م - فرنس برس

■ أعلن جنود متمردون الاستيلاء على السلطة في مالي، وأمروا بإغلاق الحدود، في انقلاب عسكري على الرئيس «أمدو توماني توري»، مما يهدد باضطراب منطقة الصحراء الإفريقية التي هزتها الحرب في ليبيا، قاد محاولة الانقلاب عدد من صغار الضباط الغاضبين بسبب إخفاق الحكومة في القضاء على تمرد انفصالي مستمر منذ شهرين في شمال البلاد، وكان الجيش (الذي يبلغ قوامه سبعة آلاف جندي)

قد طلب على مدى أسابيع أسلحة متطورة لمقاتلة متمردى الطوارق في الشمال، وكان المتمردون الطوارق قد تلقوا دعماً من حلفاء مسلحين تسليحاً جيداً، كانوا فروا من ليبيا بعد أن قاتلوا لصالح الزعيم الليبي السابق معمر القذافي.

وقرأ جنود «اللجنة الوطنية لاستعادة الديمقراطية والدولة» بياناً على شاشة التلفزيون الحكومي، أعلنوا فيه الاستيلاء على السلطة، وقال أمدو كوناري المتحدث باسم اللجنة: «نعد بإعادة السلطة إلى رئيس منتخب ديمقراطياً بمجرد أن يُعاد توحيد البلاد، وعندما تصبح سلامة أراضيها غير معرضة للتهديد».

ودعت الدول المجاورة لمالي والأمم المتحدة وقوى عالمية، من باريس إلى واشنطن، إلى العودة للعمل بالدستور. ٢٢ مارس ٢٠١٢م - رويترز

■ أقر الرئيس السنغالي عبد الله واد بهزيمته في انتخابات الرئاسة، وهنأ منافسه مكي سال، وهي خطوة فسرت بأنها تعزز مكانة السنغال كدولة ديمقراطية في منطقة تسودها الفوضى السياسية.

ونزل الآلاف من سكان العاصمة دكار إلى الشوارع احتفالاً بفوز «سال»، بعد أكثر الانتخابات جدالاً في السنغال في التاريخ الحديث، وقال أمدو سال - وهو متحدث باسم واد -: «إنه البلد كله الذي فاز، هذه لحظة عظيمة للديمقراطية، والرئيس عبد الله واد يحترم صوت الشعب».

وكان نشطاء المعارضة قد قالوا إن سعي «واد» لتولي فترة رئاسية ثالثة غير دستوري، ورأى بعض الناخبين أن «واد» مثال آخر لزعيم إفريقي مكث طويلاً في الحكم ويسعى للتشبث بالسلطة، وكانت المحكمة الدستورية قد أيدت حجته بأن أول فترة له في الحكم لا تُحسب؛ لأنها بدأت قبل إقرار شرط عدم تولي الرئاسة أكثر من فترتين، وأثار هذا الحكم احتجاجات عنيفة استمرت أسابيع.

ولم يتمكن «واد» من تحقيق أغلبية في الجولة الأولى التي جرت في ٢٦ فبراير شباط، وحصل على ٢٤,٥٪ من الأصوات، وجاء «سال» في المركز الثاني بحصوله على ٢٦,٦٪. ووحد المرشحون - الذين خاضوا الجولة الأولى - صفوفهم وراء «سال» (٥٠ عاماً)، بالإضافة إلى جماعة «إم - ٢٣»، وهي إحدى جماعات المجتمع المدني التي دعت إلى تنحي «واد» البالغ من العمر ٨٥ عاماً.

٢٦ مارس ٢٠١٢م - رويترز



قالوا عن...

الواضح والمنطقي أنه ما كانت ستتخذ مثل هذه الجهود خلال هذه المدة الطويلة، فقط من أجل تعميم ودفن ما هو قليل الشأن ولا يحظى على أي أهمية، إن الأهمية الأساسية لتاريخ إفريقيا تصبح أكثر جلاء عندما نلاحظ أن هذا التجاهل المتعمد لهذا التاريخ؛ جاء نتيجة للغزو والانتشار الأوروبي في إفريقيا، الذي بدأ منذ أواسط القرن الخامس عشر، حيث شعر الأوروبيون بدافع لا يقاوم لتبرير فتوحاتهم الاستعمارية هذه وما تبعها من سيطرة ونهب واحتلال».

«تاريخ إفريقيا ليس كما يصوره الغرب»، الكاتب الأمريكي الكاربي ريتشارد ب. مور

الكفاح الإفريقي للتحرر كان حتى نهاية القرن التاسع عشر كفاحاً مسلحاً، هذه الصفحة من التاريخ الإفريقي تم تجاهلها بصورة مخجلة، ولا أعتقد أن هذا التجاهل وليد الصدفة؛ إذ إن مضطهدي إفريقيا والمؤرخين الغربيين لم يكونوا على استعداد للإدعان لحقيقة أن إفريقيا كان لها ميراث كفاح مسلح. حقيقة؛ لقد قاوم الأفارقة الغزو الأوروبي، وحاربوا بصورة جيدة وغير مسبقة، هذا القتال استمر خلال القرن التاسع عشر بكامله، وفي معظم الحالات كان بقيادة ملوك أفارقة، يشير إليهم عادة الأوروبيون بـ «الزعماء» لتفادي وضعهم في مرتبة الملوك الأوروبيين، ومعظم هؤلاء الملوك الأفارقة يمكن تتبع نسبهم أكثر من ألف سنة إلى الوراء، هؤلاء الملوك الثوريون القوميون الأفارقة ظلوا حتى الآن - في الغالب - مجهولين؛ ذلك لأن المترجمين «البيض» ما زالوا يريدون العالم يعتقد أن الأفارقة بحاجة للأخريين ليخرجوهم من الظلمات إلى النور.

«تاريخ إفريقيا ليس كما يصوره الغرب»، (ج.أ. روجرز)

■ الأوروبيون كانوا على صلة بإفريقيا منذ قديم الزمان - بالتحديد - بشمال إفريقيا، فأسماء مثل «ايسوب»، «ممنون»، «تيرنس»، «كليوباترا» هي أسماء أفارقة تم تصويرهم في الأسطورة والأدب والفنون والتاريخ اليوناني والروماني. في الحقيقة؛ أرض إفريقيا كانت - بالنسبة لليونانيين والرومانيين القدماء - أرض العجائب والدهشة التي تثير الإعجاب، وهذا ما قد يكون وراء المثل الذي كان شائعاً في أوساطهم آنذاك، ومؤداه أن «إفريقيا دائماً يأتي منها الجديد»، ففكرة «إفريقيا الظلامية» السائدة الآن، هي فكرة حديثة نتجت عن دراسات المقارنة الجاهلة التي أجراها الأوروبيون على هذه القارة وشعوبها خلال القرون الأربعة الأخيرة.

«تاريخ إفريقيا ليس كما يصوره الغرب»، البروفيسور كيث. إي. بيرد

■ يقول عن جهل أهله الأوروبيين تعليقاً لاذعاً، ولكنه لا يخلو من طرافة، حيث يقول إن الجغرافيين الأوروبيين في خرائط إفريقيا يملؤون فراغاتهم بصور متوحشة، وعلى المنحدرات غير المأهولة يرسمون الأفيال عوضاً عن المدن.

«تاريخ إفريقيا ليس كما يصوره الغرب»، الكاتب جوناثان سويفت

■ في دراسته «أهمية تاريخ إفريقيا»: «تظهر أهمية التاريخ الإفريقي، وإن لم يكن صراحة، في كل المحاولات التي تنكر أي شيء له قيمة تاريخية يعود لإفريقيا والأفارقة، هذا المسعى الناجح والمباشر واسع الانتشار، والذي تم التوصل إليه خلال خمسة قرون بغرض كسح تاريخ إفريقيا من السجلات والمراجع العامة، هو حقيقة يجب أن تكون واضحة ومحسومة للعقول المستتيرة والمفكرة، فمن

تقرير للفاو: نقص خطير في الغذاء بجنوب

السودان:

يواجه الملايين في جنوب السودان خطر الجوع في غضون السنة الجارية، وفقاً لتقرير مشترك صدر عن منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة FAO وبرنامج الأغذية العالمي WFP.

ويستند تقرير «بعثة تقييم المحاصيل والأمن الغذائي بجنوب السودان» المعدّ شراكة بين المنظمة «فاو» وبرنامج الأغذية العالمي إلى بعثة مشتركة بين خبراء الوكالتين الدوليتين، ووقف التقرير المشترك على أن مستويات انعدام الأمن الغذائي سجّلت تدهوراً حاداً؛ إذ قفز عدد السكان الذين يهدّدهم خطر الجوع المباشر من ٢.٢ ملايين في عام ٢٠١١م، إلى ٤.٧ ملايين في عام ٢٠١٢م، ومن ضمن هؤلاء يواجه ما لا يقل عن مليون شخص أشد درجات انعدام الأمن الغذائي؛ مقارنةً بتسعمائة ألف نسمة في العام الماضي. موقع منظمة الفاو - ١٢ فبراير ٢٠١٢م

دراسة: مشكلات ما زالت تواجه الاقتصاد

الإثيوبي:

أفادت نتائج دراسة أجرتها السوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا «الكوميسا»: أن التنافسية الصناعية الدولية لإثيوبيا ما زالت ضعيفة، وأن البلاد غير مستعدة بعد للانضمام إلى منطقة التجارة الحرة التي أقامتها الدول الأعضاء بالكوميسا.

وقالت الدراسة - التي أجريت بناءً على طلب من وزارة المالية والتنمية الصناعية الإثيوبية بتمويل من أمانة الكوميسا - إن قطاع التصنيع الإثيوبي ما زال غير مستعد بعد للمنافسة على المستوى الدولي، ولا يظهر مؤشرات قوية على التحسن.

وأضافت الدراسة - التي نشرتها صحيفة «فورشن» الإثيوبية الأسبوعية - أن هناك مشكلات ما زالت تواجه الاقتصاد الإثيوبي، ومن بينها بطء الإنتاجية، وارتفاع تكاليف الإنتاج، ونقص المواد الخام، ونقص العملة الصعبة، ونقص العمالة الماهرة، وتكرار انقطاع الطاقة الكهربائية.

إفريقيا اليوم - ٢ مارس ٢٠١٢م

الكونغو تساهم بمبلغ ٢ ملايين دولار في حساب

اليونسكو للطوارئ:

شكرت المديرية العامة لليونسكو «إيرينا بوكوفا»، يوم ٢ كانون الثاني / يناير، حكومة الكونغو لمساهمتها بمبلغ ٢ ملايين دولار في حساب اليونسكو للطوارئ.

اليونسكو تعمل على تنسيق دراسات تهدف لتوجيه السياسة العامة في مجال التعليم، وتدعم بقوة التعليم في مجال فيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز)، من خلال وضع البرامج التي اعتمدها جميع المدارس الابتدائية في المنطقة. وتدعم المنظمة محميات المحيط الحيوي في الكونغو، والتي تعد أساسية في مكافحة ضد إزالة الغابات في بلد تساهم غاباته في صحة الكوكب، وتعمل اليونسكو مع الكونغو منذ فترة طويلة على مكافحة مرض «فقر الدم المنجلي»، وقد اعترفت اليونسكو بهذا المرض كأولوية للصحة العامة في عام ٢٠٠٥م.

موقع اليونسكو - ٢٠١٢/١/٤م

الفاو تعلن انتهاء مجاعة الصومال؛ لكن الوضع

ما يزال حرجاً:

أعلنت الأمم المتحدة أن حالة المجاعة في الصومال أشرفت على نهايتها، لكنها حذرت في الوقت نفسه من أن شبح الجوع ما زال يخيم كتهديد مائل بسبب الجفاف المتكرر في القرن الإفريقي؛ ما لم تتخذ إجراءات طويلة الأجل لإعادة إقرار أوضاع الأمن الغذائي.

وأورد تقرير جديد، من إعداد وحدة تحليل الأمن الغذائي والتغذية FSNAU التي تديرها منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة FAO، وشبكة نظم الإنذار المبكر من المجاعات FEWS NET التابعة للوكالة الأمريكية للتنمية الدولية USAID، أن أعداد من يحتاجون إلى معونات إنسانية عاجلة تراجعت من ٤ ملايين نسمة إلى ٢.٢٤ مليون، أي ما يعادل ٢١٪ من سكان البلاد، وفي ذروة الأزمة كان ثمة ٧٥٠٠٠٠ شخص يواجهون خطر الموت المحقق.

موقع منظمة الفاو - ٦ فبراير ٢٠١٢م



المشهد الإفريقي



الإريتريين الموجودين في السودان؛ على الرغم من حظر ممارسة نشاط الحزب السياسي هناك.

وأضاف: «هناك غبن كبير للقضية الإريترية من قبل الأنظمة العربية والإسلامية، مع حرص النظام القائم على انغلاق إريتريا على نفسها، والتضييق على وسائل الإعلام والإنترنت، لعزل البلاد عن التورات العربية»: مشيراً إلى أن الشعب بدأ يتأثر بما حدث في البلاد العربية، في الوقت الذي يمارس فيه النظام كل أنواع البطش على الشعب الإريترية. وطالب وفد الحزب الإريترية الدول العربية والإسلامية، وبخاصة مصر، بإعطاء منح للطلاب الإريترين في الجامعات المصرية، مع فتح باب التعليم لللاجئين الإريترين وتأهيلهم، وفتح علاقات بأحزاب المعارضة خارج البلاد ودعمها.

جاء ذلك، خلال لقاء الوفد الإريترية الذي ضم كلاً من: خليل محمد عامر الأمين العام للحزب الإسلامي الإريترية للعدالة والتنمية، وعلي محمد محمود مسؤول الشؤون السياسية والعلاقات بالحزب، ومحمد صالح إبراهيم عضو مكتب العلاقات ومسؤول الحزب في الخرطوم، والدكتور عصام درباله رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية، والدكتور طارق الزمر المتحدث الإعلامي باسم الجماعة، ووكيل مؤسسي حزب البناء والتنمية، والدكتور صفوت عبد الغني رئيس المكتب السياسي للحزب، والأستاذ علاء أبو النصر أمين عام الحزب، وذلك ظهر الاثنين بمقر الحزب.

جريدة المصريون - ٢٠١٢/٢/٢٩م

قال إبراهيم ليثومي عثمان المحامي الكيني عضو مجلس أمناء جامعة الأمة وأستاذ الفقه الإسلامي بها: الشيعة أقلية ضئيلة جداً، وهم تغلغلوا داخل كينيا بعد الثورة الإيرانية، ويتلقون دعماً من إيران ولبنان، ومن شيعة الكويت أيضاً.

أما القاديانية: فلها وجود ولكن في عدد محدود جداً غير ظاهر، والمسلمون تنبهوا إلى خطرهم، وعقائدهم مرفوضة، ويجب أن نعلم أن الأسر الآسيوية عندها ارتباطات بأصولها في بلادها دائماً، فالسنّي هناك سنّي هنا، والشيعي هناك شيعي هنا. تُقدر نسبة المسلمين في كينيا بحوالي ٢٥٪. وهناك قوميات تكلمت بالإسلام كالصوماليين ١٠٠٪، والعرب في الساحل أيضاً مسلمون ١٠٠٪، وهناك قبائل «ماجيكيدا» (تتألف من تسع قبائل)، منهم قبيلة «إديغو» هم مسلمون كلهم.

الصومال اليوم - ٢٠١٢/٢/٢٩م

اعتقلت السلطات النيجيرية تسعة مسيحيين، وذلك بتهمة التخطيط لتفجير كنيسة في ولاية «بوتشي» الواقعة شمال نيجيريا، وقال مفتش الشرطة في الولاية «إيكوتشوكوا أدوبا» إن قوات الأمن ضبطت أسلحة ومتفجرات محلية الصنع مع المعتقلين الذين تم القبض عليهم أمس (الأحد) في قرية «ميا براكاتي» الواقعة بالولاية.

وأشار «أدوبا» إلى أن التحقيقات الأولية مع المعتقلين أثبتت أنهم يشكّلون مجموعة منافسة من داخل الكنيسة، وأنهم خططوا للهجوم على الكنيسة صباح أمس الأحد من أجل الانتقام من مجموعة أخرى تابعة للكنيسة؛ مشيراً إلى أن التحقيقات ما زالت مستمرة مع المعتقلين.

الأهرام - ٢٠١٢/٢/٢٧م

كشف خليل محمد عامر الأمين العام للحزب الإسلامي الإريترية للعدالة والتنمية، أن النظام المصري السابق دعم نظام الحكم الإريترية الظالم بما يقرب من ١٠٠ مليون دولار؛ مشيراً إلى أن النظام الحاكم في إريتريا ديكتاتوري مسيحي متعصب يستهدف المسلمين، بالرغم من أنهم يمثلون نحو ٦٥٪ من عدد السكان.

وقال خليل، خلال لقائه عدداً من أعضاء حزب البناء والتنمية (الذراع السياسية للجماعة الإسلامية) بمقر الحزب، إن المسلمين يعانون تهميشاً كبيراً، ومحاولة لطمس هويتهم، حيث تقوم السلطات الإريترية بمنعهم من التحدث أو تعلم اللغة العربية، وخلق مدارسهم ومعاهدهم الدينية، وحرمانهم من الوظائف العامة، وأضاف أن عدداً كبيراً من السكان المسلمين قد فرّوا بدينهم إلى السودان وإثيوبيا، وهو ما عرضهم أيضاً للقتل والاختطاف، وأوضح أن حزبهم نشأ خارج البلاد في غضون عام ١٩٨٨م، وله وجود في السودان، ويضم في عضويته معظم اللاجئين الإريترين المسلمين، ذاكراً أن سبب خروجهم من البلاد يرجع إلى انهيار الوضع الأمني والاقتصادي، إضافة إلى وجود إرهابات حرب بين إريتريا وإثيوبيا.

وأشار خليل إلى أن الحزب يقوم بدعم اللاجئين

■ تحضير مسلسل تلفزيوني من ست حلقات حول نيلسون مانديلا:

أعلن منتجون من كندا وجنوب إفريقيا وبريطانيا في بيان؛ أنهم يحضرون الآن مسلسلاً تلفزيونياً من ست حلقات، مدة كل واحدة ساعة، حول حياة الرئيس الجنوب إفريقي السابق نيلسون مانديلا. وجاء في البيان نقلاً - عن كويكو مانديلا (أحد أحفاد الزعيم الجنوب إفريقي) والطرف في شركة الإنتاج «أوت أوف أفريكا» - أن المسلسل المكرس لشخصية أشهر جنوب إفريقي في العالم؛ «لن يكون مشروعاً جديداً حول «مانديلا القديس»؛ بل محاولة أولى لمعرفة حقيقة «مانديلا الرجل»، مع تكريم أشخاص كثيرين ساعدوه في مسيرته وفي نجاحاته».

ويشارك في إنتاج الفيلم إلى جانب «أوت أوف أفريكا» شركة الإنتاج البريطانية «ليفيت بنك بيكتشرز» والكندية «بلو آيس». ويضع الكاتب البريطاني «نايجل وليامز» نص السيناريو، ولا يُتوقع أن يبدأ التصوير قبل نهاية ٢٠١٢م، ولم يبت نهائياً بعد باسم المخرج والممثل الذي سيجسد مانديلا، وسيكون المسلسل مستوحى من كتابي: «مذكرات لمانديلا» الحائز جائزة نوبل للسلام، (الأول) يحوي الرسائل التي كتبها من السجن وملاحظات ويوميات، و (الثاني) ديوان عن التصريحات الشهيرة له. وتبلغ ميزانية المشروع ٢٠ مليون دولار، وسيصور خصوصاً في جنوب إفريقيا، حيث سُجِن مانديلا ٢٧ عاماً حتى العام ١٩٩٠م، وسيتناول المسلسل علاقته بوالدته، ونشاطه كمناضل، وسنوات الاعتقال، وكيفية بروز زعامته، وانتخابه في العام ١٩٩٤م أول رئيس أسود لجنوب إفريقيا. ويشكل مانديلا (٩٢ عاماً) - بطل النضال ضد الفصل العنصري في بلاده - رمزاً عالمياً، ويعيش الآن في منزله في «كونو» في الكاب الشرقي؛ فيما صحته متعثرة.

(أ ب) - ١١ / ١ / ٢٠١٢م

■ فعاليات أول مهرجان دولي للمعاقين العرب والأفارقة تنطلق في موريتانيا:

بدأت في موريتانيا فعاليات أول مهرجان دولي ثقافي ورياضي للأشخاص المعاقين، بمشاركة عدد من الدول العربية والإفريقية، وأكد رئيس اللجنة المنظمة للمهرجان السيد محمد كمر - خلال مؤتمر صحافي في نواكشوط - أن عشر دول عربية وإفريقية أكدت مشاركتها في النسخة الأولى من هذا المهرجان. وأوضح أن الهدف من تنظيم هذه التظاهرة الثقافية والرياضية هو اطلاع الرأي العام الموريتاني، ومن خلاله العالمي، على قدرة الأشخاص المعاقين في موريتانيا وإفريقيا على الاندماج والتميز في مجتمعهم. إفريقيا اليوم - ٣ / ١٢ / ٢٠١١م

■ دعا المشاركون في المؤتمر الدولي حول (دور النساء في تعزيز التنمية في الدول الإفريقية)، الذي عُقد في مدينة طنجة (شمال المغرب)، إلى توفير الاستقرار والسلم في الدول الإفريقية من أجل تطبيق المشاريع التنموية، وأوصى المؤتمر بوضع بنيات توجيهية من أجل تسيق البرامج التنموية على المستوى الإفريقي، وتشجيع كل أشكال التعاون لدعم استمرار النمو في الدول الإفريقية.

ودعا المؤتمر إلى تعزيز مكانة المرأة في بناء الاقتصاديات الإفريقية، من خلال دعم حضورها في المنظومة التعليمية، وفي ميادين التأهيل المهني والصحة، وتسهيل حصولها على القروض البنكية لإقامة مشاريع تنموية، وأكد المشاركون في المؤتمر ضرورة تكثيف الجهود من أجل إدماج النساء القرويات في الدول الإفريقية في الدورة الاقتصادية، ودعا المؤتمر حكومات الدول الإفريقية إلى سنّ قوانين تجرم كل أشكال التمييز ضد النساء، وإلى تضمين تشريعاتها الوطنية آليات تتيح للنساء فرص تولي مناصب المسؤولية من خلال اعتماد مبدأ المناصفة. ومثلت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في أعمال المؤتمر «مرياما نيانج» متخصصة البرامج في مديرية التربية.

إفريقيا اليوم - ٢٥ فبراير ٢٠١٢م



جمهورية جنوب إفريقيا



الموقع: تقع جمهورية جنوب إفريقيا في أقصى الطرف الجنوبي من القارة الإفريقية، وتحدها نامبيا من الشمال الغربي، وبتسوانا وزمبابوي من الشمال، وموزمبيق من الشمال الشرقي، وباقى حدودها على المحيط الهندي والأطلسي.

المساحة: تبلغ مساحة جنوب إفريقيا ١,٢٢١,٠٠٠ كم.

المناخ: يسود جنوب إفريقيا مناخ معتدل بصفة عامة، ويتراوح تساقط الأمطار فيها ما بين ٦٥ - ١٠٠ سم في العام، وتقل الأمطار على الساحل الجنوبي، وتندر في منطقة الصحراء.

السكان: قرابة خمسين مليون نسمة، نحو ٧٥٪ منهم من السود الذين ينتمون إلى عدد من القبائل، وتعدّ قبائل الزولو أكبر قبائل السود، تليها قبيلة خوسا التي ينتمي إليها الزعيم الإفريقي نيلسون مانديلا.

والسكر ودوار الشمس والقطن والفواكه والخضار بشكل خاص؛ إذ تُعد جنوب إفريقيا سابع مصدرٍ للإنتاج الزراعي في العالم، وكذلك أخشاب البناء والأخشاب المخصّصة لصناعة الورق.

الثروة المعدنية: فيها منجم الذهب الذي اكتشف في عام ١٨٧١م في مقاطعة ترانسفال، والذهب في جنوب إفريقيا يمثل ٤٠٪ من الاحتياطي العالمي، وهناك أيضاً ٦٦ منجماً للألماس يشكّل ٢٤٪ من الاحتياطي العالمي، علاوةً على مناجم الفحم.

التمييز العنصري:

التمييز العنصري على أساس اللون أو العرق أو الدين أو الطبقة موجود من أقدم الأزمنة، ولكن «التمييز العنصري» الذي مارسه المستعمر

وهناك الملونون، الذين هم خليط نتج عن تزاوج بين الأفارقة السود والآسيويين مع الأوروبيين الأوائل، وهناك الهنود الذين جاؤوا مع قوات الاحتلال البريطانية.

العواصم: ولجنوب إفريقيا ثلاث عواصم: اقتصادية في جوهانسبرغ، وتشريعية في كاب تاون، وإدارية في بريتوريا.

اللغات: أهم اللغات هي: الأفريكانية (ويتحدثها نحو ٥,٥ ملايين نسمة)، والكوهسا (ويتحدثها نحو ٦,٥ ملايين نسمة)، أما الإنجليزية فهي لغة السواد الأعظم من السكان، وهناك أيضاً لغة الزولو (ويتحدثها نحو ٨,٢٥ ملايين نسمة)، أما اللغات الرسمية في البلاد فهي ١٢ لغة مختلفة.

أهم المحاصيل الزراعية: الذرة والقمح



الأبيض في جنوب إفريقيا من أشد أنواع التمييز، والذي جعل للأفارقة أماكنهم، وللملونين أماكنهم، وللأسيويين أماكنهم، والأبيض وحده هو الإنسان الحر الطليق الذي يستمتع بخيرات البلد ويستعبد الآخرين، في صورة من أبشع أنواع التمييز التي شهدتها البشرية!!

الأمر الذي جعل المسلمين يقفون ضد هذا التمييز، وكان المناضل نلسون منديلا يثق بهم ويتصل بهم، ويقودان معاً معركة التحرير ضد التمييز العنصري.

الديانة :

٦٨٪ من السكان مسيحيون، ويتوزع الباقون على مسلمين وهندوس وبوذيين ووثنيين، أما اليهود فعددهم قليل لا يتجاوز الـ ٦٠ ألفاً، ومع ذلك فمعظم مصالح البلاد مرتبطة بهم. تبلغ نسبة المسلمين ٥٪ من عدد السكان. وتتقسم الجالية الإسلامية إلى ثلاث فئات عرقية:

الأولى: أكبرها عدداً وأقدمها وجوداً، وهي الفئة المنحدرة من أصول إندونيسية وماليزية، وتتركز هذه الفئة في مدينة الكاب.

والفئة الثانية: هي الفئة المنحدرة من أصول هندية؛ وتتركز أساساً في مقاطعة الناتال، وخصوصاً حول عاصمتها، ويشكّل المسلمون نحو ربع الجالية الهندية.

الفئة الثالثة: وهي الأقل عدداً، وتتألف من السود والملوئين، سواء الذين اعتنقوا الإسلام من سكان البلد الأصليين، أو المسلمين الذين قدموا من إفريقيا الوسطى، وعموماً فهم الطبقة الفقيرة من المسلمين.

الإسلام في جنوب إفريقيا :

تُشير المصادر التاريخية إلى أن رحلة دخول الإسلام إلى جنوب إفريقيا؛ بدأت عندما تعمّد

الهولنديين نقل أعداد من مُسلمي أرخبيل الملايو للعمل بالسُّخرة في مناطق الزراعة بولاية الكاب، وازداد عددهم في أعقاب ثورة الملايو ضد المُستعمر الهولندي، حين اعتقل زعماء الثورة من المسلمين ونفاهم في بادئ الأمر إلى سريلانكا عام ١٦٨٢م، ولمّا كان تأثيرهم في المجتمع الملايوي المُسلم ما زال قوياً؛ فقد أعاد نفيهم في عام ١٦٩٤م، وكانت وجهتهم هذه المرّة جنوب إفريقيا، وكان على رأس من تم نفيهم الشيخ توانج يوسف الذي يُشتهر في المصادر التاريخية بأنه الأب الروحي للمسلمين في جنوب إفريقيا، وهو شقيق ملك جاوا، وزعيم المُقاومة الشعبية ضد الاحتلال الهولندي لجزر الهند الشرقية، وكان بصُحبته ٤٩ من الثوّار المسلمين المنفيين.

وعلى مدى أكثر من قرن عانت الأقلية المُسلمة الاضطهاد الشديد، ولم يُسمح لها ببناء مسجد واحد، بل لم يكن المُستعمر الهولندي يسمح بالصلاة في أي مكان، وكان على المُسلم أن يتخفى عن أعين الجميع وقت الصلاة لأدائها!

وفي عام ١٧٤٩م أُقيم أول مسجد في جنوب إفريقيا، وتحديداً في منطقة الكاب، وهو مسجد (أوال)، وكان السماح للمُسلمين ببناء هذا المسجد



حكمت المحكمة الدستورية بجنوب إفريقيا بتعديل دستوري؛ يمكن الأراذل المسلمين رجالاً ونساءً من إرث الزوج بعد موته حسب أحكام الشريعة الإسلامية.

يمثل الملونون (وبخاصة ذوو الأصول الإندونيسية المالوية) والهنود التركيب الإثني للمسلمين في جنوب إفريقيا، حيث يمثلون ٩٦٪ من إجمالي المسلمين، في حين لا تزيد نسبتهم إلى إجمالي السكان عن ١٢٪ (٩٪ ملونون، ٢٨٪ هنود)، في المقابل نجد أن نسبة السود المسلمين لا تزيد على ٢٠٥٪ من إجمالي عدد المسلمين في البلاد؛ بالرغم من أنهم يمثلون (أي السود) ٧٩٪ من إجمالي السكان.

المساجد والمؤسسات الإسلامية في جنوب إفريقيا:

في جنوب إفريقيا أعداد كبيرة من المساجد، وخصوصاً في مناطق المسلمين الهنود، ولقد أُحقت في عدد كبير من هذه المساجد مدارس لتحفيظ القرآن، وهناك عدد لا بأس به من الكليات الإسلامية تعطي درجة البكالوريوس في الشريعة ملحقة بالجمعيات الإسلامية أو مجلس القضاء الإسلامي، وهناك جمعيات إسلامية كثيرة منتشرة في عرض البلاد وطولها، وخصوصاً في منطقة دربان وكاب تاون وجوهانسبرغ، منها: حركة الشباب المسلم، وجماعة التبليغ، ومجلس القضاء الإسلامي.

كما بُنيت المئات من المدارس بجهود ذاتية، ويلتحق الطلاب المسلمين بالمدارس الإسلامية في المساء، كما يوجد عدد كبير من مدارس تحفيظ القرآن الكريم، وتعاني المدارس ضعفاً في مستوى المدرسين، وقلة الكتب المدرسية.

ويوجد معهد للشريعة الإسلامية في منطقة الكيب، وقد تأسس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة (دربان وست فيل)، ويمثل المجلس الإسلامي

مُقابل أن يندرج شبابهم في صفوف الجيش الهولندي.

وفي عام ١٨٨٢م بدأت أفواج جديدة من المُسلمين الهنود تتجه إلى جنوب إفريقيا، بعد الإغراءات التي قدّمها البريطانيون لهم، والتي تمتلّت في نقل بحري مجاني لهم، وعقود عمل موسمية، والسماح لهم بالبقاء أو العودة بعد انتهاء العقد، وكان أكثرهم يفضّلون البقاء والعمل مزارعين.

بالرغم من كلّ المُضايقات وممارسات الكبت والقهر التي فُرِضت على الأقلية المُسلمة، وكذا على السُكّان الأصليين من السود، فإن مُسلمي جنوب إفريقيا جاهدوا، وكانوا من المُدرة على الصمود والثبات بحيث أُحصي لديهم، قبل تصفية نظام الفصل العنصري، أكثر من ٢٠٠ مؤسسة دينية، ما بين مسجد ومدرسة، كما نجح كثير من الدعاة في الوصول إلى معازل البانتو، وهداية المئات من أفراد هذه القبيلة إلى الدين الإسلامي، وبخاصة في معزل Soweلو القريب من مدينة جوهانسبرج، ومعزل Uape .

سرعة انتشار الإسلام:

وارتفعت في الآونة الأخيرة أعداد المعتنقين لدين الإسلام في دولة جنوب إفريقيا التي تنتشر فيها الديانة المسيحية، وأكد الدكتور شامل جيبي أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة كيب تاون أن أعداد المسلمين ارتفعت بشكل مثير للتساؤل، خصوصاً في أوساط السود، وقد أثبتت مكاتب الإحصاء والسكان تلك الظاهرة، وأضاف جيبي أن المهاجرين المسلمين الذين استقروا في جنوب إفريقيا قادمين من وسط القارة وغربها بغرض البحث عن فرص عمل؛ هم الذين شكّلوا عاملاً مهماً في زيادة أعداد المسلمين.

وكانت حكومة كيب تاون قد سنّت بعض القوانين للمسلمين حسب الشريعة الإسلامية، فقد

المسلمون والعمل السياسي:

وعلى الصعيد السياسي شارك المسلمون في جنوب إفريقيا في الحياة السياسية بوصفهم جزءاً ومكوّناً أساسياً في المجتمع الجنوب إفريقي، ويُلاحظ على السلوك السياسي للمسلمين طابع التوزع والانتشار، وهي سمة مميزة للأقليات بصفة عامة، فهناك عضوية ملموسة من المسلمين في «حزب المؤتمر الوطني» الحاكم، وانضم مسلمون آخرون إلى الأحزاب الأخرى كذلك.

وعلى صعيد ثالث حاول المسلمون تشكيل أحزاب مستقلة تعبّر عنهم، من أهمها: «حزب المسلمين الأفارقة» African Muslim Party، و «حزب جماعة المسلمين» Al-Jama-ah Muslim Party، اللذان خاضا انتخابات ١٩٩٤م على المستويين المحلي والوطني لكنهما لم يحققا نجاحاً، وهو ما تكرر في عام ١٩٩٩م، ولكن في عام ٢٠٠٠م استطاع «حزب المسلمين الأفارقة» الفوز بمقعدين في الهيئة التشريعية المحلية في مقاطعة غرب الكيب، ارتفعت إلى ثلاثة مقاعد عام ٢٠٠٦م، ودخل في تحالف مع قوى المعارضة المعروفة بالتحالف الديمقراطي، وهو ما قد يشير من طرف خفي إلى عدم رضا الناخبين المسلمين عن أداء حكومة المؤتمر الوطني.

وبصفة عامة يمارس المسلمون نشاطهم السياسي بفعالية، وتمارس مؤسساتهم دورها في التأثير في صناعة القرار، وكان لهم دور مميز في مناهضة نظام الفصل العنصري، ومعارضة حكومة الفصل العنصري التي كانت تحكم جنوب إفريقيا سابقاً، الأمر الذي انعكس على النقل النسبي للمكوّن الإسلامي، وخصوصاً من الهنود، وذلك في أول تشكيل حكومي في أعقاب التحوّل الديمقراطي في جنوب إفريقيا عام ١٩٩٤م، حيث ضمّت الوزارة أكثر من أربعة وزراء من المسلمين، وكان هناك نحو عشرة سفراء يمثلون بلادهم في الخارج.



الهيئة الوطنية لجميع مسلمي جنوب إفريقيا.

نقطات من الحاضر:

بعد إجراء أول انتخابات ديمقراطية حقيقية في جنوب إفريقيا، والتي فاز بها نيلسون مانديلا، بدأ المسلمون يأخذون بعض حقوقهم السياسية والاجتماعية، وصار نفوذهم وتأثيرهم يمتد في نسيج المجتمع أكثر من ذي قبل، خصوصاً أنهم كانوا من المناضلين ضد النظام البائد، وراح العديد منهم ضحايا لبطش ذلك النظام، وأُعتقل المئات، ومنهم شيخ المُعتقلين المسلمين في جنوب إفريقيا الإمام عبد الله بن قاضي سماعيل، الذي قضى في المُعتقل ١٣ سنة.

ونجح المسلمون في مجال الإعلام، حيث أصدروا العديد من المطبوعات بعدة لغات، وانطلقوا عبر الأثير من خلال ٥ محطات إذاعية ناطقة بالإنجليزية، إحداهما يصل بثها إلى أكثر من ٥٠ دولة حول العالم عن طريق الأقمار الصناعية، ويصل إلى دول عديدة في منطقة الشرق الأوسط، ويشرف على هذه الإذاعات مجموعة من كبار علماء المسلمين في جنوب إفريقيا، ومن أشهر صحفهم «صحيفة الأمة» التي تصدر في (ديرين)، و «صحيفة الجمعة» التي تصدر في كيب تاون، و «صحيفة القلم» التي تصدر في جوهانسبرج.



ذاكرة التاريخ

الحدود الاستعمارية وأثرها في مشكلات إفريقيا:

كان مؤتمر برلين (نوفمبر ١٨٨٤م - فبراير ١٨٨٥م) الشرارة التي أجتج لهيب السباق نحو إفريقيا، فقد قنن ذلك المؤتمر التكاليف على المناطق الإفريقية، من خلال دعوته لتحديد مناطق النفوذ (وتأكيد) الاحتلال الفعلي (Effective occupation). وكانت النتيجة تسابقاً محموماً لتكوين المستعمرات؛ إما من خلال الاتفاقيات والمعاهدات مع الزعماء والشيخ الأفارقة إغراءً، أو بإخضاع القوميات وتفتيت الممالك والإمبراطوريات بقوة السلاح.

(Hargreaves: ١٩٦٣: ٢٣٥، Haarris: ١٩١٤: ٣٣)

وكانت فرنسا هي الرائدة في ذلك، فمن خلال سعيها للسيطرة على التجارة وتكوين إمبراطورية شاسعة في غرب إفريقيا؛ اتبعت فرنسا سياسة التوسع العسكري، فاكتملت كلاً من إمبراطورية التكرور الإسلامية في أعالي النيجر، وإمبراطورية ساموري في وادي غينيا الأدنى، لتتقدم، وهي تتجه جنوباً، ببريطانيا التي كانت في الوقت نفسه تؤسس لمستعمراتها المهمة في نيجيريا، في غرب إفريقيا إنطلاقاً من دلتا النيجر على خليج غينيا، لكن حسمت كل منهما صراعها حول النيجر باتفاقية عام ١٨٩٨م التي رسمت حدود كل منهما، وأدت لتكوين نيجيريا البريطانية والسودان الفرنسي (Wesseling: ١٩٩٨ - ١٩١١ - ٩٥)، وكان الفرنسيون قد تمكنوا من قبل، انطلاقاً من ميناء جران بسام Grand Bassam على ساحل غينيا، من السيطرة على «بروتو نوفو»، حاضرة مملكة داهومي القوية، بعد هزيمة ملكها في عام ١٨٩٢م.

هذا فضلاً عما قام به الرحالة المستعمرون من مد النفوذ الفرنسي على حوض الكونغو على نهري «أجوا» و «أريانجي»، وقد استطاعت فرنسا من خلال الاتفاق مع كل من ألمانيا (١٨٩٢م) وبلجيكا (١٨٩٤م) وبريطانيا (١٨٩٨م) أن تحدد مناطق نفوذها في المنطقة الواقعة جنوبي بحيرة تشاد وشرقها (Hargreaves: ١٩٦٣: ٢٤٧).

أما محاولات فرنسا في التقدم شرقاً إلى أعالي نهر النيل؛ فقد اصطدمت بالنفوذ الإنجليزي في كل من السودان ويوغندا (Harris)، وهكذا استطاعت فرنسا من خلال قوة السلاح العسكري، وخداع الزعماء الأفارقة، أن تؤسس على أنقاض الإمبراطوريات الإسلامية، في النيجر وغينيا وتشاد والممالك الإفريقية في حوض غينيا والكونغو، حيازات كسبت اسم الدول بعد الاستقلال.

ولم تكن بريطانيا أقل شهية في أطماعها في إفريقيا، وإن كانت أقل في استخدامها للقوة العسكرية على نهر غامبيا من خلال الاتفاق البريطاني الفرنسي في عام ١٨٩١م، الذي احتفظت إنجلترا بموجبه برقعة من الأرض بلغ ما عشرين كيلو مترات على طول نهر غامبيا، لتعلن عليها حمايتها في عام ١٨٩٢م، مكونة منها ما عرف فيما بعد بدولة غامبيا.

أما مدينة «فري تاون»، التي أسسها البريطانيون لتكون مستعمرة للعبيد المحررين من مستعمراتهم في أمريكا، فقد اتخذت نقطة انطلاق إلى الداخل لتكوين «محمية سيراليون»، على حساب شعوب الداخل، ثم حددت حدودها بعقد اتفاقية مع فرنسا في عام ١٨٩٥م.

أما «ساحل الذهب» التي كان الإنجليز قد اتخذوا فيها محطة للتجارة مع الفانتي على الساحل والأشانتي في الداخل؛ فما لبثت أن فرضت عليها الحماية عام ١٩٠٢م بعد صراع مرير مع مملكة الأشانتي لتضاف إليها مناطق المسلمين في الشمال، لتكوّن جميعاً «محمية ساحل الذهب» التي عرفت بعد استقلالها في عام ١٩٥٧م بجمهورية غانا (Hargreaves: ١٩٦٣: ٦٤؛ ١٦٧: ٢٨٩ - ٢٩٠).

وهكذا إضافة لنيجيريا التي كوّنت من عدد مناطق، واحتوت على العديد من القوميات مثل الفلاني/ الإهوسا والبوريوبا والأيبو وغيرهم؛ أسست بريطانيا مستعمرات في كل من ساحل الذهب وغامبيا في غرب إفريقيا، وحددت لكل منها حدودها من خلال اتفاقها مع القوى المنافسة، مثل فرنسا (اتفاقية عام ١٨٩٨م لتسوية الحدود الشمالية)، وألمانيا (اتفاقية عام ١٨٩٨م لتسوية الحدود الشرقية مع الكاميرون).

وكانت ألمانيا، مضيئة مؤتمر برلين، قد لحقت بزكب الدول المستعمرة متأخرة، لكن خلال عام واحد استطاع تجارها ومغامروها أن ينالوا نصيباً من لعم الضحية الإفريقية، فوطدوا نفوذهم في الكاميرون (يوليو ١٨٨٤م)، وفي توجو (ديسمبر ١٨٨٤م)، وجنوب غرب إفريقيا (أغسطس ١٨٨٤م)، ليفاجئوا الآخرين عقب المؤتمر مستبدين إلى ما أقره من حق الاحتلال الفعلي، لتتمكن من خلال الاتفاق مع البرتغال (ديسمبر ١٨٨٦م)، وبريطانيا (اتفاقية أكتوبر ١٨٨٥م، واتفاقية ١٨٨٥م، واتفاقية ١٨٩٠م)، من تحديد حدود مستعمراتها في جنوب غرب إفريقيا التي أصبحت تعرف بنامبيا.

أما حدودها في توجو والكاميرون؛ فقد أكدتها اتفاقيتها مع البرتغال (١٨٨٦م)، وبريطانيا (١٨٩٠م و ١٨٩٢م)، وبلجيكا (أغسطس ١٨٩٤م)، وفرنسا (فبراير ١٨٩٤م)، التي أوصلتها في الكاميرون فقط إلى نهر أوبانجي والساحل الشمالي للجابون (Harris: ١٩١٤: ٧٧).

المصدر: أ. د. محمود عبد الرحمن الشيخ، موقع المشكاة الإسلامية

فعاليات

■ ملتقى الجامعات الإسلامية في إفريقيا:

شهدت جامعة إفريقيا العالمية، مساء الخميس ١٧/٢/٢٣هـ الموافق ١٢/١/٢٠١٢م، «ملتقى الجامعات الإسلامية في إفريقيا»، الذي شاركت «الندوة العالمية للشباب» في تنظيمه. تحدث مدير جامعة إفريقيا العالمية بروفيسور حسين مكي عن مسيرة التعليم الجامعي الإسلامي ومسيرته في إفريقيا، والذي شهد انتشاراً واسعاً، حيث أصبح عدد الجامعات الآن عشرين جامعة، بعد أن لم تكن هناك جامعة واحدة قبل (٢٠) عاماً. كما خاطب الجلسة الافتتاحية كذلك الدكتور خالد العجيمي رئيس لجنة إفريقيا بالندوة العالمية للشباب الإسلامي، معديداً بعض جهود الندوة، وحرصها على إقامة الشراكات الفاعلة مع الاتحادات والجامعات والمنظمات.

وجاءت كلمة رئيس رابطة الجامعات الإسلامية البروفيسور جعفر عبد السلام مؤكدة مكانة إفريقيا وأهميتها ودورها التاريخي والحضاري، وما لجامعة إفريقيا العالمية من جهود قيّمة وأعمال جليلة. وفي ختام الجلسة خاطب المشاركون والحضور وزير التعليم العالي والبحث العلمي بدولة السودان؛ مبرزاً دلالة الوصف «إسلامية» للجامعات، ومقتضيات هذا الوصف، مؤكداً أهمية البحوث العلمية، واهتمام الدولة بجامعة إفريقيا العالمية ورعايتها لها.

■ ورشة تطوير مجلة «قراءات إفريقية» بالقاهرة:

عقدت مجلة «قراءات إفريقية» «ورشة عمل» بفندق سفير بالقاهرة، وذلك في يوم السبت الموافق ٤ فبراير ٢٠١٢م، تحت عنوان «تطوير مجلة قراءات إفريقية»، حضر الورشة لفيف من المتخصصين في الشأن الإفريقي وكبار الصحافيين، وكان في مقدمتهم:

أ. د. السيد فليفل: عميد معهد البحوث والدراسات الإفريقية - السابق -.

أ. ممدوح الولي: نقيب الصحفيين بمصر.

د. باسم خفاجي: مدير مركز المدراء للتنمية والتدريب.

د. عمرو بدران: أستاذ التسويق بالجامعة الأمريكية.

د. أيمن شبانة: مدرس السياسة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية.

د. وسام طه: مدرس بقسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية.

أ. الفاروق عمر: مدير التسويق بمكتب ماس.

أ. أحمد الجمال: مدير المنتدى الإسلامي بالقاهرة.

أ. محمد عبدالعزيز الهواري: سكرتير تحرير مجلة «قراءات إفريقية».

أدار الورشة: الأستاذة رافت صلاح الدين مدير تحرير مجلة «قراءات إفريقية».

بدأت الورشة بكلمة ترحيب، قدمها مدير تحرير المجلة الأستاذة رافت صلاح الدين، بين خلالها أهداف الورشة بكلمة ترحيب، قدمها مدير تحرير المجلة الأستاذة رافت صلاح الدين، بين خلالها أهداف المجلة، وأهداف الورشة، وقام بتوزيع



فعاليات

المحاور والموضوعات على الحاضرين.

تناولت الورشة الموضوعات الآتية:

- أهمية وجود صحافة إفريقية متخصصة.
- واقع الدراسات الإفريقية في المجالات.
- سبل تطوير النواحي الفنية والتحريرية في المجلة.
- أفضل الطرق والوسائل لتسويق المجلة وتوزيعها.

ختام الورشة: اختتمت الورشة بشكر موجّه من الأستاذة رأفت صلاح الدين مدير تحرير مجلة «قراءات إفريقية» لضيوف الورشة والمشاركين فيها، أكد فيه اهتمام إدارة تحرير المجلة بأراءهم وأطروحاتهم، وسعيها للاستفادة منها في المرحلة القادمة.

■ ملتقى «المنتدى الإسلامي» التطويري التاسع للمؤسسات والجمعيات العاملة بالمجال الإنساني

بالقارة الإفريقية:

أقامت «مؤسسة المنتدى الإسلامي» ملتقاها التطويري التاسع للمؤسسات والجمعيات العاملة بالمجال الإنساني بالقارة الإفريقية في ماليزيا في المدة من ١٩ - ٢٥ ربيع أول ١٤٢٣هـ، الموافق ١١ - ١٧ فبراير ٢٠١٢م، هذا الملتقى الذي يهدف أساساً إلى تطوير قدرات قيادات العمل الخيري والإنساني بإفريقيا، وتدريبهم على أفضل أساليب الإدارة والبناء المؤسسي لمؤسساتهم المختلفة.

افتتح «المنتدى الإسلامي» هذا الملتقى تحت عنوان (نحو شراكة استراتيجية فاعلة)، بحضور ورعاية الدكتور مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا - الأسبق - وباني نهضتها التي تعيشها حالياً.

تميّز الملتقى بإتاحته الفرصة لعدد كبير من رجال الأعمال لاستكشاف آفاق التجربة الماليزية عن قرب، وبيئة الاستثمار في هذه الدولة، من خلال شراكة وتجربة حقيقية بين مؤسسات القطاع الإنساني والخيري التي يمثّلها «المنتدى الإسلامي»، وقطاع رجال الأعمال والشركات والذين يساهمون بصورة كبيرة في دعم العمل الخيري والإنساني بصورة عامة.

يهدف «المنتدى الإسلامي» من هذا الملتقى، وغيره من الملتقيات التطويرية والإدارية، إلى تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني في تحسين الكفاءات والقدرات الإنسانية وتطويرها، وبناء مؤسسات فاعلة تسهم حقاً في مساعدة الناس وتحسين مستوى حياتهم.

كما تساهم أيضاً مثل هذه الملتقيات في عمليات التواصل بين الشعوب المختلفة، والاستفادة من التجارب والخبرات التي تتمتع بها عدد من دول العالم المختلفة.

الجدير بالذكر؛ أن عدد الجمعيات التي شاركت (٢٥) من (١٩) دولة، وعدد المشاركين (٧٠)، ومدة الملتقى كانت (٧) أيام.



لقاء مجلة (قراءات إفريقية)

مع معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي سابقاً

حوار: رأفت صلاح الدين - أحمد مقدم النهدي

لي مؤلفات عديدة، طُبِعَ منها (١٩٣) كتاباً، منها (معجم أسر بريدة) في ٢٣ مجلداً، و (معجم بلاد القصيم) في ستة مجلدات، و (الأمثال العامية في نجد) في خمس مجلدات، و (معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة) في ١٣ مجلداً، أما المؤلفات المخطوطة فتزيد على مائة مؤلف، بعضها في مجلدات كثيرة، وكتب في الرحلات وأحوال المسلمين كثيراً من المؤلفات؛ إذ بلغت (١٦٧) كتاباً، طُبِعَ منها (١٢٩) كتاباً.

في إطار جهود مجلة قراءات إفريقية لتوعية المسلمين بشؤون القارة الإفريقية في جميع المجالات، وبخاصة الدعوة الإسلامية، وأحوال المسلمين فيها، يسر المجلة أن تستضيف علماً من أعلام الدعوة إلى الله، وأديباً رحّالة، زار كثيراً من مدن القارة، وقدم الجهود الكثيرة لفتح منافذ الدعوة بها، وكتب المذكرات والرحلات والمؤلفات التي تكشف أسرار هذه القارة وأحوالها، وتعالج قضاياها، وتقدم الخبرة للدعاة في مجال الدعوة إلى الله تعالى وغيرها من المجالات.

■ فضيلتكم غني عن التعريف، لكن حبذا لو قدّمتم بطاقة تعريف سريعة كمدخل لهذا الحوار حتى يتفاعل معكم القارئ؟

- محمد بن ناصر بن عبد الرحمن العبودي، وُلدت في مدينة بريدة في عام ١٣٤٥هـ، شغلت مناصب عديدة، منها: إدارة المعهد العلمي في بريدة لمدة سبع سنين، ثم الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لمدة (١٢) سنة، فوكيل الجامعة لمدة سنة واحدة، ثم الأمين العام للدعوة الإسلامية في المرتبة الخامسة عشرة (رتبة وكيل وزارة) لمدة ثماني سنوات، ثم الوظيفة الحالية (الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي)، وأنا الآن في المرتبة الممتازة.

الأغلبية من شعوب الدول الإفريقية تسارع إلى اعتناق الإسلام إذا توفرت لهم الظروف المناسبة، مثل الدعاة، ووسائل النشر، والإعلام

جرى اختياري في المهرجان الوطني للتراث والثقافة «شخصية العام الثقافية» في المملكة العربية السعودية لعام ١٤٢٤هـ، وحصلت على «وسام الملك عبد العزيز» من الدرجة الأولى، وعلى «ميدالية الاستحقاق في الأدب»، أشارك في عضوية لجان أدبية وعلمية وإدارية عديدة، كما حصلت على «وسام السلطان قابوس للثقافة والعلوم والفنون» من الدرجة الثانية، وذلك بمناسبة الاحتفاء بمسقط عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٦م.



■ يوصف الشيخ بأنه أديب الرحلات، والرحالة المتنقل، وواصف هموم المسلمين، وبالكاشف عن عادات وتقاليد الشعوب.. ماذا تمثل هذه الأوصاف لكم؟

- الوصف بالرحالة وصف صادق لأنه واقع، ولا يُشعر بمدح أو ذم، أما بقية الأوصاف، مثل أديب الرحلات أو غيرها، فإنني لا أقول بذلك؛ لأن الذي أعرفه عن نفسي أنني كنت أذهب إلى مواطن المسلمين ومؤتمراتهم واجتماعاتهم استجابة لذلك منهم، أو بمبادرة من الجهة التي كنت أعمل فيها، وهي الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ثم الأمانة العامة للدعوة الإسلامية، وأخيراً رابطة العالم الإسلامي، من أجل هدف نبيل، هو تقوية العلاقة بالإخوة المسلمين، ومساعدتهم في شؤونهم الدينية.

■ كيف بدأت علاقتكم بإفريقيا؟ وما أول الرحلات إليها، وما أهمها؟ خصوصاً أن أولى رحلات الشيخ على الإطلاق كانت إلى إفريقيا؟

- عندما عُينت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في عام ١٢٨٠هـ، وكانت آنذاك مجرد فكرة أمر بتحقيقها وإخراجها إلى حيز الوجود الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله، وعند وضع نظام الجامعة كنت عضواً في لجنة وضع نظامها، وكانت اللجنة تجتمع في الديوان الملكي في الناصرية في الرياض آنذاك، وقررت اللجنة أن تكون حصة الطلاب السعوديين في الجامعة الإسلامية لا تزيد على الخمس (أي ٢٠٪)، وسائر المقاعد لأبناء المسلمين في العالم، وبخاصة البلدان الأكثر حاجة للتعليم الإسلامي في إفريقيا وآسيا، وعلى الأخص في إفريقيا؛ لأنها كانت ميداناً للجهود التصيرية المكثفة في تلك الفترة وقبلها.

وعندما فتحت الجامعة الإسلامية في عام ١٢٨١هـ لم تكن لدينا معلومات كافية عن أحوال

المسلمين جمعيات وأفراداً في إفريقيا، فكانت طلبات الالتحاق تأتي من جهات لا تعرفها؛ لذا رأينا في الجامعة أنه لا بد من إرسال وفود إلى إفريقيا للاطلاع على أحوال المسلمين، ومعرفة جمعياتهم ومؤسستهم، وفي الوقت نفسه توعيتهم توعية إسلامية بما ينبغي أن يكون عليه المسلم. وكان نائب رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المقيم فيها المباشر عملها هو صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وهو شخص معروف بمحبته للخير ومساعدة المسلمين، فوضعت منهجاً للقيام بأول رحلة إلى إفريقيا وعرضته عليه فوافق عليه، بل حبّذته وأمر بتنفيذه، رحمه الله جزاه عن المسلمين خيراً.

وأخذت معي شيخين من الجامعة، هما الشيخ أبو بكر جابر الجزائري والشيخ عمر محمد فلاته، وسافرنا إلى ١٣ قطراً إفريقياً، في شرق إفريقيا ووسطها، واستغرقت رحلتنا ثلاثة أشهر و ١٩ يوماً، وكان ذلك في عام ١٢٨٤هـ، وكان الملك سعود عندما سافرنا هو ملك البلاد، ونائبه هو ولي العهد سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز، وعندما عدنا إلى المملكة في ختام تلك الرحلة من شهر شعبان عام ١٢٨٤هـ كان الملك هو فيصل بن عبد العزيز. وقد اكتشفنا من خلال رحلتنا أن معلوماتنا عن المسلمين كانت ضحلة، وأحياناً تكون محدودة، لذلك وضعنا خطة لرحلة ثانية تكون معنا فيها مساعدات نقدية فورية للمدارس والجمعيات الإسلامية، وكنا أخذنا شيئاً قليلاً معنا منها في الرحلة الأولى، فسافرت مرة أخرى إلى إفريقيا في عام ١٢٨٦هـ، وليس معي إلا الأستاذ عبد الله بن حمود البحوث، رئيس المحاسبة في الجامعة الإسلامية رحمه الله، ومن تلك الرحلة الأولى بدأت علاقتي الوثيقة بالقارة الإفريقية، ومعرفة أحوال المسلمين فيها، وكيفية تقديم المساعدات اللازمة لهم. وكان لتجاوب القيادة في بلادنا أثر عظيم في

تحقيق ذلك، بالرغم من ضعف الدخل من النفط؛ إذ كان سعر البرميل منه في عام ١٣٨٤هـ دولارين الإربعاً.

■ ما آخر رحلاتكم، وماذا تمثل الرحلات لكم؟ وما رأيكم في المقارنة بينكم وبين ابن بطوطة وغيره من الرحّالين العرب المشهورين؟

- آخر الرحلات كانت إلى أمريكا الجنوبية، وبالتحديد إلى الأرجنتين والأرغواي والباراغواي، ثم فنزويلا، ومن هناك سافرنا إلى روما من أجل زيارة المسلمين في جزيرة صقلية التي كانت بلاداً عربية مسلمة لفترة تبلغ ٢٤٥ سنة، ثم تكالبت عليها قوى العدوان واقتطعتها.

وقد بدأت فيها الآن حركة إسلامية نشطة على نطاق إنشاء «المصليات» (جمع مصلى)، وهي أماكن للصلاة أكثرها مستأجر، وفي صقلية الآن سبعون مسجداً، وزرنا في عاصمة صقلية (مدينة بالرمو) سبعة مساجد، وقدمنا مساعدات نقدية عاجلة، وهي مساعدات رمزية من أجل دفع الإيجار، أو من أجل المصروفات المتكررة كالكهرباء والتدفئة.

كما زرنا بعد زيارة صقلية مباشرة جزيرة قبرص، وتجوّلنا فيها، وبخاصة القسم التركي، ووجدنا المساجد في القسم اليوناني والتركي عامرة بالمصلين، ولا مشكلة للمسلمين فيها إلا المشكلة السياسية، أما قيام المساجد والصلاة فيها وتعليم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام فإنها موجودة ولا مشكلة حولها.

أما مقارنتي بابن بطوطة رحمه الله؛ فإنها مقارنة مع الفارق؛ لأنه تحمّل مشقات في أسفاره، مع صعوبة الأمن في التنقل من بلد إلى بلد، أما نحن فالأمر على عكس ذلك؛ ولذا أقول إن ابن بطوطة لا نظير له بين الرحّالين العرب.

■ يسر الله لكم تقديم قائمة كبيرة من المؤلفات، فما أهم مؤلفاتكم المتعلقة بالقارة؟

- ربما كان أهمّ كتيبي عندي هو أول تلك

الكتب، وهو «في إفريقية الخضراء.. مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن أحوال المسلمين»، فهو الكتاب الأول، وهو الذي ذكرت فيه ما رأيته وسمعته، بل وعملناه مما يتعلق بالإسلام والمسلمين في تلك الرحلة الأولى، وقد طبع ذلك الكتاب عدة مرات، وترجم إلى لغات عدة، وقد بلغت كتيبي التي كتبتها عن إفريقية أربعة عشر كتاباً، كان آخرها «المستفاد من السفر إلى تشاد»، وهو مطبوع، و «العودة إلى غرب إفريقية»، وهو مطبوع أيضاً، و «من غينيا الاستوائية إلى ساوتومي»، وهو مطبوع كذلك.

■ ما أهم الدول والمدن التي زرتوها؟ وبم تتميز وتشتهر؟

- يصعب هنا ذكر المدن التي زرتها في إفريقية؛ لأنها كثيرة، ولكننا كنا نتخذ من مدينة نيروبي مقراً لنا، أو شبيهاً بالمقر، ننتقل منه ثم نعود إليه لننتقل إلى جهة أخرى؛ لأن الرحلات في ذلك العصر، الذي هو العقد الثامن من القرن الرابع عشر، غير ما هي عليه الآن.

ولكن كانت هناك مدن كان لها طابع خاص، مثل جوهانسبرج وبريتوريا التي كانت مقر الحكم العنصري، وتغيّر ذلك، ومثل مدينة الرأس «كيب تاون» التي فوجئنا بكثرة المساجد فيها، ومثل دولة الكنفو التي عاصمتها «كنشاسا» بلاد الاضطرابات في ذلك الوقت وحتى الآن، ومثل عواصم بعض البلدان الإفريقية في غرب إفريقيا التي كانت ذات أقلّيات مسلمة في السابق، وهي الآن ذات أكثرّيات مسلمة مثل «فري تاون» عاصمة سيراليون، و «غادوغو» عاصمة فولتا العليا التي صار اسمها الآن «بوركينافاسو».

ومثل مدينة «لواندا» عاصمة أنجولا التي لم يكن فيها مسلمون أصلاً في السابق، بسبب سياسة الاستعمار البرتغالي التي كانت تحرم القيام بالدعوة الإسلامية، والآن فيها مساجد



ونشاط إسلامي لا بأس به.

أما الشق من السؤال الذي يقول: ما هي الدول التي زرتموها، فالجواب أنها كل الدول الإفريقية دون استثناء.

اللغة في إفريقيا ليست مشكلة أمام الدعاة؛ لأنهم يكونون في الغالب من القبيلة نفسها أو ممن يحسنون لغتها

■ ما أهم مشاهداتكم في إفريقيا؟ وأهم المواقف التي ما زالت عالقة هناك في ذهنكم؟

- المواقف المهمة كثيرة، ولكن أصعبها عندما وصلنا إلى مدينة «كنشاسا» عاصمة الكونغو، وكانت تُسمّى آنذاك «ليوبولدفيل» (أي مدينة ليوبولد) وهو ملك بلجيكا التي كانت تستعمر الكونغو، وكان وصولنا في الليل، ولم نجد أي غرفة في أي فندق، ودلّنا السائق الذي ركبنا معه على أخ ليبي تاجر مقيم هناك، فنزلنا ضيوفاً عنده حتى تعرّفنا المسلمين فيها بعد ذلك.

والأمر الثاني عندما سُرقت حقيبتي في مطار «بوجمبورا» عاصمة بورندي، وقد تمّت استعادتها بسبب لطيف، وهو أنني قبل السفر إلى بورندي وضعت في تلك الحقيبة ثوباً لي في جيبيه نقود سعودية لم يعرفها سارقو الحقيبة، فجلبوا تلك النقود على أناس سنغاليين من تجار الماس الذين عرفوها، وكانوا عرفوا بسرقة الحقيبة، فانطلقوا فوراً لرئيس الجمعية الإسلامية في بورندي الذي أحضر الشرطة، وقبضوا على الذي كانت معه النقود فأقر بسرقة الحقيبة، وأرسلها لرئيس الجمعية الإسلامية إليّ وأنا في نيروبي.

وكنا نحمل نقوداً كثيرة للمسلمين ولا نعلنها عند الدخول؛ لأنهم لم يكونوا يطلبون ذلك في

أعقاب الاستعمار، فأراد ضابط الجوازات عند مغادرتنا البلاد تفتيش أجسامنا حذراً من أن يكون معنا «ماس» مهرب، ولكن ممثل الجمعية الإسلامية الذي معنا تدخل بسرعة، وأظنه أعطاه شيئاً، فتركنا نمر، وإلا لصادر نقودنا كلها.

أما أغرب المشاهدات: فإنها منظر من رجال قبيلة (الماساي) في شرق إفريقيا، ومنطقتهم في الحدود بين كينيا وتنزانيا، وقد خرق الرجال آذانهم، وأثقلوها بأشياء ثقيلة حتى استرخت وصارت تصل في تدليها إلى الكتف، والأدهى من ذلك أنهم لا يتحرزون من أن يرى الناس عوراتهم! فإذا أراد أحدهم حك ظهره مثلاً أدخل عصا تحت ثوبه وحك به ظهره وعورته بادية! والإسلام فيهم قليل، والنصرانية أقل.

■ ما أغرب المواقف وأطرفها التي مرت بكم في إفريقيا؟

- كنت في الجابون، وذهبت إلى مكان البيع والشراء، والبضائع فيه على بسطات، فوجدت رجلاً معه ظبي صغير جميل المنظر، فقلت لمراقبي الذي معي من أهل البلاد: ما أجمل هذا الظبي! وأعتقد أن لحمه لذيذ لو كان «مُذكى» لاشتريته. فترجم ذلك لصاحبه، ولكنه قال: لو كان «مذبوحاً» لاشتريته، فما كان من البائع إلا أن سارع يقول: نذبحه لك الآن. وكان الظبي قد مات منذ يومين!

■ ما الطرق التي يتبعها الشيخ في التوثيق؟ وما مدى استعانتكم بوسائل التقنية الحديثة؟ هل لكم مركز أو موقع يمكن الرجوع إليه؟

- التوثيق هو بالمشاهدة؛ لأن الأخبار تتناقض، وقد يفسدها رواتها كما قال المثل العربي القديم: «وما آفة الأخبار إلا رواتها». أما الاستعانة بوسائل التقنية: ففي ذلك الوقت المبكر من استعمال التقنية لم نكن نستفيد منها، ولكننا نعتمد على ما كان اعتمد عليه أسلافنا

الرحالة المسلمون من تجسّم الصعاب والوصول إلى معرفة الحقيقة عبر ذلك.

أما الموقع؛ فأحد الإخوة أنشأ موقعاً باسمي على الشبكة العنكبوتية، ولا أدري اسمه ولا عنوانه!

■ **كيف يمكن أن نصف تاريخ إفريقيا وحضارتها، وبم تميزت ثقافياً؟ وكيف يمكن الاستفادة منه؟**

- لإفريقيا تاريخ وحضارة تتمثل في تقاليد وعادات مرعية، مثل مقت الكذب، واحتقار من يشرب الخمر، وعدم الاعتداء على المرأة قهراً عنها.

ومن الأشياء الطيبة فيها تكريم الآباء والأمهات، بل تكريم المسنين كلهم، واحترامهم، والرجوع إليهم عند طلب النصح.

ومن عادات الأفارقة - على وجه العموم - مقت الحذقة وتدليس الأمور، بل هم صرحاء يصلون إلى ما يريدون أن يقولوه أو يفعلوه بطريقة مباشرة.

أما إذا أسلم الرجل منهم؛ فإنه يسلم عن عقيدة، ويبدل كل ما في وسعه لمصلحة الإسلام والمسلمين في بلده والمحيط الذي يعيش فيه.

ويمكن الاستفادة منه بتكثيف الدعوة إلى الله، وببذل الجهد والمال في ذلك، وعدم الملل فضلاً عن اليأس من الاستجابة.

■ **ما طبيعة الوضع القبلي في إفريقيا؟ وما مدى تأثيره في واقع الأفارقة؟**

- الوضع القبلي في إفريقيا على وجه العموم متأصل ومؤثر، ولكن لحسن الحظ أن الدين الإسلامي استفاد من ذلك؛ إذ كثيراً ما يتجه الدعاة إلى رجل مهم في القبيلة ويدعونه إلى الإسلام، وقد يسلم، فيسلم بإسلامه عدد من أفراد القبيلة.

ولكن إذا لم يكن ذلك، وكان نصرانياً، وهم يظنون أن النصرانية دين المنصّرين ليست ديناً أصيلاً في إفريقيا، فأسلم بعض أفراد قبيلته فإنه

لا يغضب لذلك، بل يشعر بأن ذلك من حقه، فهم في هذا الأمر ليسوا كما في بعض المجتمعات في أوروبا وآسيا التي تقاطع من يسلم ويهددونه بقطع مصدر رزقه وقوت عياله.

ومما يُذكر هنا دخول الإسلام في وقت مبكر إلى «يوغندا» - بالباء في أوله -، وهي منطقة، أو قسلاً إنها جزء من «يوغندا» - بالباء -، وعندما جاء الإنجليز إلى منطقة «يوغندا» وجدوا فيها ملكاً اسمه «الكاباكا»، وهذا اسم لكل من ملك فيها، فعقدوا معه معاهدة حماية، وأضافوا إلى «يوغندا» مناطق لم يكن لها حاكم عام.

وقد ابتدأ الإسلام من مملكة «يوغندا» التي هي الآن جزء من يوغندا، وقد كاد (الكاباكا) أن يسلم، ولكن الداعية الذي تولّى دعوته لم يكن حكيماً؛ فأخبره أنه لا بد من أن يختن دون أن تسقط نقط من دمه على الأرض، وكان لدى الناس هناك اعتقاد أنه إذا نطق من الملك دم ففسد ملكه، فلم يسلم، ولكن حفيده أسلم، وأسلم أناس من كبار قومه بعد ذلك.

هذا مع أن الجميع الآن يعرفون أن الختان ليس شرطاً من شروط الإسلام، ولكنه سنة من سنن المرسلين.

ومن الأشياء التي شاهدناها؛ أن الذي يسلم ولم يختن عندما تمضي عليه مدة يكون فيها الإسلام قد وفر في قلبه يسعى هو إلى أن يختن، وذكرت مرة ما حصل للأخ أنغليولي رئيس الجمعية الإسلامية في المارتنيك، الذي ذهب إلى مستشفى الجزيرة، لأنها جزيرة في البحر الكاريبي، وطلب أن يختن المستشفى، فقال مدير المستشفى: هذه عملية ليس لها لزوم طبي. فنصّب محامياً شكاً المستشفى إلى المحكمة، وحكمت المحكمة بالزام المستشفى بختته، وقد تم ذلك.

■ **كيف هو وضع اللغات في الساحة الإفريقية؟ وكيف يتعامل الناس هناك مع هذا المكون الثقافي؟**



وما مدى انتشار العربية بينهم؟

- وضع اللغات في إفريقيا ليس مشكلة أمام الدعوة والدعاة؛ لأن الدعاة يكونون في الغالب من القبيلة نفسها أو ممن يُحسِنون لغتها، وبعض ذلك يتم عن طريق لغة المستعمرين السابقين.

والأفضل الذي جربناه أن يقوم بدعوة القبيلة فرد من أبنائها، وهذا من الحكمة التي وردت في الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

ما طبيعة الصراعات القبلية والدينية وحجمها في إفريقيا من وجهة نظرهم؟ وما تأثيرها في القارة بصفة عامة، والمسلمين بصفة خاصة؟

- الصراعات القبلية في إفريقيا غالبيتها سياسية وليست دينية، ولكن يحدث أن يكون أحد المتصارعين مسلماً، أو جماعته الذين معه جماعة مسلمة؛ فينتهز المنصرون وأنصارهم ذلك ويمدون خصومهم بالمال والسلاح ليقاتلوا به المسلمين؛ ولذلك يجب أن توجد جهات من ذوي الحكمة والبصيرة في معالجة مثل هذه المواضيع. وبالنسبة إلى ما أراه؛ فإن ذلك حاصل على نطاق ضيق.

ما أهم القوى المتنافسة والمتصارعة على القارة لاستغلال ثرواتها؟

- أهمها الشركات الأجنبية، من أوروبية وأمريكية وحكوماتها، من أجل المصالح الاقتصادية، وأهم ما يكون ذلك من أجل الصراع على النفط واستغلاله، وكذلك من أجل مادة اليورانيوم التي توجد في أماكن من إفريقيا.

ما رؤيتكم للنشاط التنصيري في القارة؟ وكيف يمكن مواجهته؟

- النشاط التنصيري قديم، ومستمر حتى هذه اللحظة، بل زاد في العصور الأخيرة عدد الدعاة إلى النصرانية (المنصرين)، وهم يملكون أموالاً تأتي إليهم عن طريق الهبات والأوقاف من

أثرياء بلادهم.

وقد أحسوا بالدافع بالنسبة إليهم، وهو انصراف أعداد كبيرة من الناس في بلاد النصرانية العريقة كأوروبا، إلى درجة أن بعض الكنائس لا يأتي إليها أحد من النصارى، فيضطر أهلها إلى أن يبيعوها حتى للمسلمين في الوقت الحاضر؛ لأن المسلمين يزادون والمؤمنين بالنصرانية ينقصون.

وذكرنا هذا بالمسألة المثارة في فرنسا في الوقت الحاضر، أعلنتها رسمياً أول مرة وزير الداخلية الفرنسي في اجتماع له برؤساء المسلمين، وهي قوله: إن المسلمين يخالفون القانون فيصلون في الشوارع، والقانون الفرنسي يمنع الصلوات في غير أماكن العبادة. ثم كرّر ذلك الرئيس الفرنسي الحالي (ساركوزي) فذكر هذه المسألة.

وهذا الأمر يبرز إلى حيّز الوجود في الوقت الذي تعاني فيه بعض الكنائس قلّة المصلين فيها، وتعاني فيه الجوامع كثرة المصلين صلاة الجمعة الذين لا تتسع لهم المساجد.

وأذكر أنني عندما زرت مدينة (أسيسي) في إيطاليا قبل عشرين سنة، فقال لي أحد قساوستهم الكبار إن مهمته التي كلفه بها الفاتيكان، وهو من العاملين فيه، أن يعيد فتح ٢٢٧ كنيسة في روما القديمة، كانت أغلقت لعدم وجود المصلين المسيحيين فيها.

فقلت له: ما السبب في ذلك؟

فقال: أخذهم المجتمع الاستهلاكي، هم يأكلون ويشربون ولا يشتغلون بغير ذلك.

فقلت له: إننا لا نفهم ذلك؛ لأن المسلمين في بلادنا وفي أوروبا تتزايد أعداد المصلين فيهم، ولا نعرف مسجداً ولو واحداً أغلق بسبب عدم وجود مصلين، بل إن مشكلة بعض المساجد أنه لا يتسع للمصلين كلهم.

وأقول - الشيء الذي لم أقله لذلك القسيس:-

أنسب عنوان ترونه؟

- نقول: إن الناس في إفريقيا يدخلون في دين الله أفواجا، ولكن الدعاة يقصون، وأحياناً لا يوجدون، وهذا أمر خطير تجب المبادرة إلى تلافيه والتحذير من السكوت عليه.

■ **ماذا عن واقع الدعوة الإسلامية في إفريقيا؟ وما أهم المؤسسات وأكبرها، والشخصيات العلمية والدعوية المؤثرة الموجودة في القارة؟**

- ليست الدعوة الإسلامية دعوة سياسية، أو مَن مَلَك مَالاً أو جاهاً بذله لما يريد الحصول عليه، ولكنها معجزة إلهية؛ إذ نجد أن الإسلام انتشر في بعض الأماكن على أيدي أناس ليست عندهم إمكانيات مادية، ولا مناصب رفيعة، ولا جاه مذكور عند الناس، ولكن لديهم ما هو أهم من ذلك للدعوة، وهو الإخلاص في العمل، وتمثيل الإسلام في أنفسهم بالعمل الصالح الذي يقتدي بهم الناس عليه فيسلمون.

■ **ما هو دور رابطة العالم الإسلامي في هذا الموقع؟**

- كان لرابطة العالم الإسلامي أثر عظيم في السابق، فلا تكاد توجد قرية في كل أنحاء العالم إلا ولها أثر فيها، أما الآن وبعد حوادث ١١ سبتمبر وتخوف المسؤولين في المؤسسات الإسلامية من أن يُنبذوا بأنهم متعصبون، وأنهم يُسيئون إلى غير المسلمين، وبعض الحكومات غير المسلمة صارت تمنع الدعاة والمسؤولين في الرابطة من دخول أراضيها بالحجّة المذكورة، أو أنهم دعاة تفرقة، كل هذا قلل من العمل الإسلامي المنطلق من البلدان العربية عموماً.

■ **ما أهم احتياجات الدعاة؟ وما الأولويات الدعوية التي تحتاج إليها القارة؟**

- احتياجات الدعاة كثيرة، وأهمها أن يكفل للداعية ما يكفيه وأسرته من ضروريات الحياة عن طريق رواتب مناسبة، وأن تُوفّر له السبل للدعوة، مثل وسائل المواصلات والاتصالات،

إن سبب عدم ذهاب المسيحيين الأوروبيين إلى الكنائس ليس المجتمع الاستهلاكي، وإنما هو عدم إيمانهم بما يقوله رجال الكنيسة لهم، ويؤكد ذلك ما بلغنا أن بابا الفاتيكان جمع كبار أعوانه من المنصرين، وقال لهم: إن وضع المسيحية في أوروبا ميئوس منه، فعليكم أن تضاعفوا جهودكم في آسيا وإفريقيا حتى تعوّضوا عن ذلك.

أما السؤال الذي يقول: كيف تمكن مواجهة النشاط التنصيري؟ فالجواب أن ذلك يكون بإيجاد الدعاة، وتكثيف الدعوة، وأن يُؤكّد على الدعاة أن تكون دعوتهم كما في الآية الكريمة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

■ **من زاوية أخرى مستجدة؛ ما رؤيتكم للتمدد الشيعي في القارة، والذي يسعى بشكل واضح للسيطرة والنفوذ، ليس عليها فحسب، بل على أجزاء مجاورة من العالم العربي والإسلامي؟**

- الذي يلاحظه المتتبع للأمر: أن الدعاة إلى المذهب الشيعي ينصرفون بجهودهم وأموالهم، بل ونشاطهم كله، إلى تشييع أهل السنّة، وليس إلى إدخال الكفار الذين وُلدوا على دين غير دين الإسلام إلى دين الإسلام.

وقد نجحوا في كثير من الدول؛ لأننا لاحظنا أن الدعوة الإسلامية التي توضح المذهب السنّي وتشرح عقيدة السلف الصالح قد قلت، في حين كان الدعاة إلى التشييع يزيدون، والأموال التي ينفقونها تكثر وتصل إلى بلاد كثيرة، وبخاصة في إفريقيا.

والعلاج لذلك ظاهر، وهو مضاعفة النشاط في الدعوة إلى الله، وإيضاح الأمر للمسلمين بأن التشييع فيه خطر عظيم على البلاد التي سكانها من أهل السنّة والجماعة؛ لو نشأ فيها حزب شيعي سيشق عصا المسلمين، ويقضي على وحدتهم، ولا بد من جهة قادرة على إيضاح ذلك للمسلمين.

■ **لو أردنا عنواناً لواقع المسلمين في إفريقيا؛ فما**



حوارات وندوات

وعزٌّ؛ لأننا إذا فعلنا ذلك ربطنا المسلم برباط من الإيمان، وأسهم ذلك في حثّه على الدعوة إلى الإسلام وليس مجرد الصومود عليه.

■ **ما خلاصة تجاربكم في إفريقيا؟ وبم تنصح الدعاة في داخل إفريقيا وخارجها؟**

- خلاصة التجارب أن العمل الإسلامي بالتعاون مع الإخوة الإفريقيين يحتاج إلى تعهد مستمر بالزيارات والاتصالات، كما يحتاج إلى تقوية الاتصالات أيضاً بزمعءاء المسلمين الأفارقة عن طريق دعوتهم إلى زيارة المملكة، والاجتماع بالعلماء والجهات التي تدعم الدعاة إلى الله في المملكة، ودعوتهم إلى الحج والعمرة بموجب برنامج، لا تتكرر فيه الدعوة لأحد، أو يُحرم منها بالكلية أحد.

■ **كيف يمكن استفادة مجلة «قراءات إفريقية» من خبرات «رابطة العالم الإسلامي» في مصلحة القارة السمراء؟**

- يمكن استفادة قراءات إفريقية وغيرها بما لدى الرابطة من تجارب ومعلومات في الدعوة، وذلك بطلب ما تمسُّ الحاجة إليه عند مباشرة العمل فيها.

■ **كلمة أخيرة لمجلة «قراءات إفريقية»: كيف يمكنها خدمة القضية الإفريقية؟ وكيف تستطيع أن توجد لها دوراً ريادياً في محيط العمل الإعلامي المتعلق بإفريقيا، خصوصاً مع ندرته؟**

- أن تسير في الدعوة بحكمة، وضمن النطاقات السياسية، والدعوة التي لا تصطدم بأنظمة أو تعليمات مهمة نافعة في أي بلاد توجّه دعوتها إليها.

أما إيجاد الدور الريادي في العمل؛ فيتمثل بالمساعدة في الأعمال الخيرية الإفريقية، مثل بناء المساجد، ومساعدة المدارس الإسلامية، والدعاة إلى الله الذين ليست لهم رواتب من خارج إفريقيا، والله المستعان وعليه التكلان.

وأن تُرسل إليه الكتب الإسلامية باللغات الرئيسية في إفريقيا، وأن تُعقد دورات أو حلقات دراسية هدفها توعية الدعاة، وبث الروح المعنوية فيها.

■ **ما مدى استجابة الأفارقة للدعوة الإسلامية؟ وما مدى نشاط الدعاة في الأوساط الإفريقية؟ وكيف ترى مستقبل الإسلام؟**

- بالنسبة إلى استجابة الأفارقة للدعوة الإسلامية؛ فهو أمر فاق تصوّر المتصوِّرين، ومن أوضح الأمثلة على ذلك أن عدة دول إفريقية كان المسلمون فيها أقلية فصاروا الآن أكثرية، مثل سيراليون وبوركينا فاسو، وما نعرف بلداً إفريقياً واحداً نقص فيه عدد المسلمين عمّا كانوا عليه قبل استقلال ذلك البلد، بل العكس هو الصحيح. ومن المهم في هذا الصدد أن المسلمين الآن صارت لهم في أكثر الأقطار الإفريقية إسهامات كثيرة ومتوسطة في إدارة شؤون بلادهم، ومن أقرب الأمثلة على ذلك «ساحل العاج» التي لم يكن عليها رئيس مسلم إلا في عام ١٤٢٢ هـ. عندما نجح الأخ المسلم العريق في إسلامه (الأمين وتارا) في الوصول إلى رئاسة الجمهورية عن طريق الانتخاب النزيه، فكان أول رئيس مسلم لهذه البلاد.

■ **ما أكثر الشعوب الإفريقية استجابة للإسلام؟**

- الأغلبية من شعوب الدول الإفريقية تسارع إلى اعتناق الإسلام إذا توفّرت لهم الظروف المناسبة، مثل الدعاة، ووسائل النشر، والإعلام.

■ **لو حدثتمونا عن المنظمات والمؤسسات المحلية والخارجية في ظل الأوضاع الدولية، وكيف يتم تفعيل دورها في القارة؟**

- يصعب الحديث عن المؤسسات في إفريقيا إلا بوجه عام لكثرتها، واختلاف الظروف المحيطة بها.

■ **ما هي بنظركم أهم الأولويات للدعوة في إفريقيا؟**

- الأولويات تعريف الناس بالإسلام، وبما يجب أن تكون عليه علاقة الإنسان بالخالق جلّ

حفل افتتاح

مشروع مناهج العلوم الشرعية للمدارس الإفريقية



افتتحت مؤسسة (المنتدى الإسلامي) مشروع مناهج العلوم الشرعية للمدارس العربية الإسلامية بإفريقيا، تحت رعاية معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبدالله بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء وإمام وخطيب المسجد الحرام، والذي نفذته مؤسسة (بصائر للاستشارات التربوية).

أقيم الحفل في قاعة مداريم بفندق مداريم كراون - الرياض مساء الأحد ١٨/٤/١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢/٣/١١م، وقد شارك في حفل الافتتاح عدد من الشخصيات من رجال أعمال ومهتمين بالتعليم بالشأن الإفريقي.

أهداف المشروع:

يسعى مشروع مناهج العلوم الشرعية للمدارس الإفريقية إلى تطوير مناهج شرعية لمدارس التعليم الإسلامي في إفريقيا، تقوم على الالتزام بالكتاب والسنة، وفق الاتجاهات التربوية الحديثة، ويهدف المشروع إلى بناء شخصية المتعلم بناء متكاملًا، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ملبيًا متطلبات المجتمع، ومحققًا لأماله في بناء الأجيال.

وقد روعي في المشروع تحقيق احتياجات المتعلم الذاتية والاجتماعية والمستقبلية، والتلاؤم مع بيئته التي يعيش فيها؛ بما يؤهله للتفاعل الإيجابي معها، والمشاركة البناءة فيها.

برنامج حفل الافتتاح:

شمل برنامج الحفل: الافتتاحية، ثم تلاوة آيات من الذكر الحكيم. ثم كانت كلمة الأمين العام للمنتدى

الإسلامي الشيخ / خالد بن عبد الله الفوزان. تناول فضيلته فيها الحديث عن التحديات التي تواجه التعليم الإسلامي في إفريقيا، وجهود المنتدى في مواجهة هذه التحديات، كما أكد حرص المنتدى الإسلامي على التواصل مع المؤسسات الإسلامية المتخصصة في مجال التعليم، مشيرًا إلى أن حاجة إفريقيا لا يمكن أن تسدها مؤسسة واحدة أو مؤسستين؛ بل يحتاج الأمر إلى شراكة كثير من المؤسسات. تلا ذلك تقديم عرض تعريفي بالمشروع، والمراحل التي مرت بها عملية الإعداد حتى مرحلة الافتتاح.





وفي الختام: تم تكريم الداعمين لهذا المشروع، حيث تسلّم الشيخ محمد بن عبدالعزيز الموسى درع التكريم، كما تم تسليم درع لمؤسسة محمد وعبدالله السبيعي الخيرية، كذلك تم تكريم فريق العمل الذي أشرف على إنجاز هذا المشروع.

كما قامت المؤسسة بتكريم راعي الحفل معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد.

وأخيراً: دعي السادة المشاركون في الحفل إلى القيام بجولة داخل المعرض المصاحب، والاطلاع على المناهج التعليمية من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية، والتي شملت ١٠٢ كتاب للمعلم والطالب.

تبع ذلك حفل العشاء لراعي الحفل والضيوف الكرام.



بعدها كانت كلمة المشرف العام على المشروع الدكتور/ محمد بن عبدالله الدويش. تناول فضيلته فيها الحديث عن أهمية القارة الإفريقية، موضحاً المنهج الذي التزمته مؤسسة بصائر في إعداد المناهج، وأوضح أن الهدف من إعداد مثل هذه المناهج هو بناء الشخصية المتوازنة، المتسمة بالوسطية، والمهتمة بواقعها، وأوضح أنه تم مراعاة البيئة الإفريقية خلال عملية إعداد هذه المناهج.

بعدها تم الإعلان عن افتتاح الموقع الإلكتروني للمشروع بيد

معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبد الله بن حميد

ثم كانت كلمة معاليه، حيث أشاد بالفكرة والإنجاز الذي تحقّق، موضحاً أنه عمل مؤسسي ومنظم، ومثمناً حرص هذه المناهج على التعاطي مع مستجدات العصر وفق رؤية إسلامية أصيلة.



بصائر
للاستشارات التربوية

فتوى
جواز صرف الزكاة لمشروع مناهج العلوم الشرعية في المدارس الإسلامية والعربية في أفريقيا

أصحاب الفضيلة الشائخ والعلماء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد
سألت فضيلتكم عن جواز دفع الزكاة لمشروع بصائر المناهج العلوم الشرعية في المدارس
الإسلامية والعربية في إفريقيا، وهو مشروع حيوي دعوي يعنى بطباعة الكتب الشرعية وتوزيعها على المدارس
الإسلامية في إفريقيا، كما يسعى المشروع لتطوير طلبة حاضرة تخطى أميري كازانوسيا وقند وبانكستان
وإندونيسيا وغيرها، ولا تغفل هذه المشروعات ودورها في تعليم العلم الشرعي ونشر عقيدة أهل السنة
والمجاهدين، وحيث يعنى المشروع لفتحاً في التمويل، فهل يجوز دفع الزكاة في مصارف المشروع؟

الجواب:
الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فيجوز دفع الزكاة لمشروع بصائر المناهج العلوم الشرعية في المدارس الإسلامية والعربية في إفريقيا، لأن
نشاطه في تعليم العلم الشرعي وينصير الناس به، وهو من الدعوة إلى الله تعالى، وما كان كذلك: فهو داخل
في مصرف (وي سئل الله) لأن هذا المصروف يشمل الدعوة إلى الله تعالى، بل إننا من أعظم أنواع الجهاد، كما
قال الله تعالى في سورة الفرقان - وهي من السور الملكية التي نزلت قبل فرض الجهاد باليد - (وجاهدكم به
حاهداً كجهدكم، وإننا نمكنا المستبين والأبواب على المسارعة في دعم هذا المشروع لما في ذلك من عظيم المنفعة
وإذن الله، ولما فيه من الأثر الطيب والصدقة الحارة التي يتبعها ما الكبرون.
وفق الله العاملين لكل خير، ويبارك في جهودهم، إنه جواد كريم.

د. يوسف بن عبد الله الشيبلي
د. محمد بن سعود العنصيمي